د. أحمد خالد مصطفى

عشيرة برهوت

رواية

عصير الكتب

كتابيستا

«مكتبة كتابيستا»
للمزيد زورونا علي تليجرام
t.me/k3tabi

إهداء

إلى أساتذتي في مدارس منارات المدينة المنورة

المدرسة التي درست فيها الابتدائية.. والمتوسطة.. والثانوية

الأستاذ مروان قدري مدرس اللغة العربية في المتوسطة.. على غير العادة في الحصص الأخرى كنت أنتظر حصة الأدب وأترقب دخولك.. أتدري.. هذه الروايات التي أكتبها.. كلها بدأت كشغف صغير ولد من حصصك.. جعلتني أنتبه أن هناك شيئًا جميلًا في الأرض اسمه الأدب العربي.. وبالمناسبة لا زلت أتابع أشعارك على اليوتيوب.

الأستاذ إبراهيم نصير مدرس اللغة العربية في الثانوية.. ما زلت أذكر حصة التعبير ومواضيع التعبير الغريبة التي كنت أكتبها.. أذكر مرة كان لدينا موضوع تعبير عن التطور التكنولوجي.. فكتبت أنا قصة عن شخص عربي من الصحراء سافر بالزمن من الماضي فوجد نفسه في زمننا.. أصدقائي ضحكوا كثيرًا على هذا الذي فعلته.. لكنك لم تفعل.. بل أعجبك.. وصححت لي أشياء.. حينها عرفت أن الخيال ممكن في الأدب.. وليس محظورًا.

الأستاذ تامر إسماعيل مدرس اللغة العربية والملقب بشاعر الرسول.. الصديق قبل الأستاذ.. عندما كنت أكتب قصصي القصيرة على المنتديات كنت أرسلها لك وكنت تهتم وتطلب مني المزيد بشغف..

صدقني جزء كبير من الطاقة والثقة كان سببها أنت.. فالكاتب منا يحتاج دوماً لشخص قدير في اللغة العربية يقرأ أعماله بهذا الشغف.. عندها يشعر أن له قيمة حقيقية.. بالمناسبة ما زلت أتطلع للحصول على نسخة من ديوانك صهوة الجوزاء في مدح الرسول ﷺ..

الأستاذ عادل إمام مدرس اللغة العربية في الابتدائية.. قواعد اللغة العربية لا زلت أحفظها كما أحفظ اسمي بسبب طريقتك.. أذكر أنك رأيتني مرة أقول كلمة عابرة بالإنجليزية فعلمتني أن لغتنا هي الأجمل.. والأكثر قوة.. لم أنس هذا أبدًا ولن أنسى.

الأستاذ خالد مطر مدرس اللغة الإنجليزية.. صاحب الروح الخفيفة والحس الفكاهي والصوت الندي.. لو كان هناك شيء واحد جعلني أحب اللغة الإنجليزية وأتحدث بها بطلاقة تامة فهو أنت.. بالمناسبة لا زلت أذكر تلك النظرة التي نظرت لي بها وأنا في الابتدائي في أحد الامتحانات.. كنت أحاول النظر لورقة زميل.. عندها رأيت منك تلك النظرة كأنك تقول.. أنت تفعل هذا يا أحمد؟ فلم أفكر بعدها في النظر إلى عمل أي أحد حتى اليوم.. طبعًا أنت لا تذكر هذا لكني أذكر.. طريقتك جعلتنا نحب اللغة.. الأفلام الهوليودية التي كنت تأخذنا لمشاهدتها في غرفة الصوتيات والمرئيات.. ثم تعلق على كل مشهد وتشرحه.. الأناشيد التي كنت تجعلنا ننشدها في الفصل بالإنجليزية من ألحانك.. كل هذا صنع جيلًا يعشق الإنجليزية.

الأستاذ باسل الحاج مدرس الأحياء.. لن أنسى أبدًا كيف دخلت لنا في أول حصة.. وكان الفصل هرج ومرج.. ثم بدأت تشرح.. وللمرة الأولى يسكت الطلبة بهذه السرعة.. ويبقون صامتين يتطلعون لك حتى نهاية الحصة.. وظلوا يسمعونك حتى بعد أن دق الجرس وإلى بداية

الحصة التالية وهم يريدون المزيد.. حتى الكسالى منهم.. طريقتك باهرة جدًا في الإلقاء.. جعلتنا نحب هذا العلم.. كنت وأنا أسمعك أحب هذا العالم الذي تكشف لنا دقائقه في كل حصة.. عالم الأحياء الدقيقة والبكتيريا وأسرارها.

الأستاذ السيد عبد الخالق مدرس الرياضيات.. المدرس الوحيد الذي كنت أكتب وراءه كل كلمة يخط ها.. كنت أكره الريا ضيات لكني أ صبحت أ حبها و أحصل فيها على ج وائز و أدخل فيها مسابقات.. شخصيتك الآسرة فرضت نفسها.. تبسيط اللوغاريتمات والجذور والدوال وهذه الأشياء الصعبة.. لا أدري كيف حولتها إلى أشياء أحبها وأفكر فيها وأستخدمها حاليًا في بعض التحليلات التي أضطر إلى عملها.

الأستاذ مصطفى سلامة مدرس الكمبيوتر.. الأستاذ والجار في المدينة المنورة.. سأخبرك أنني أحببت عا لم البرمجة عند ما رأيتك تتحدث عنها بذ لك الانبهار.. كان الكمبيو تر بالنسبة لي هو فقط الألعاب التي أحملها عليه.. لكنه أصبح شيئًا آخر لأول مرة.. فكرت لأول مرة أنه يمكن لنا أيضًا أن نصنع برامج وألعاب ليس فقط أن نستخدمها.

الفصل الأول

مجرد بئر

مجرد لعبة..

المكان.. قرية اسمها «ذعبلوتن».. أقصى جنوب السعودية..

الزمان.. يوليو 2025..

قرية أبعد من جميع تصوراتك.. نقطة مرمية في الخريطة أسفل صحراء الربع الخالي.. فمن أي جهة من الجهات تأتيها.. سيكون بينك وبينها أكبر صحراء رملية متصلة في العالم..

إذا أردت الوصول إليها وأنت في السعودية فأقرب شيء مأهول منها يبعد ألف وثلاثمئة كيلومتر على الأقل .. يسكنها قبيلة الرواشد .. من أعز القبائل السعودية .. وأكثرها عشقًا للصحراء .. لا عجب وهم يسكنون في كبد الصحراء وليس حولهم أحد.. فيها مدارس وكافة الخدمات.. ومطار..

الجو غائم يحجب الشمس.. وهو أجمل وقت ليخرج أهل ذعبلوتن إلى البر ويلمسوا الرمال الذهبية بأقدامهم وينظروا إلى كثبان الصحراء دون أن تلفحهم الشمس على وجوههم..

رمال كأنها أمواج الذهب.. مفتوحة مد البصر.. سحب تصنع أشكالاً بديعة فوق رأسك.. وفي الليل تشب النار وتنظر في النجوم وأنوارها بقبة السماء.. لذلك لن تجد أحدًا من أهل هذه القرية في منزله اليوم.. بل ستجدهم هناك.. في الصحراء.. فرش مفرودة.. لحوم تشوى.. أطفال تلعب بالرمال.. ومن لم يجرب اللعب بالرمال لم يلعب قط.

وبما أننا لم نأتِ إلى ذعبلوتن في أقصى الأرض لنطالع الرمال الذهبية بل لنبدأ قصة مروعة في الغالب فدعني أخبرك أن كل شيء يبدأ هناك وراء ذلك الجبل.. تحت هذا القمر في غمرة الليل..

خلف الجبل الصغير كان حطب ونار وشاي.. وثلاثة أصحاب من أهل هذه القرية يجلسون أكثر جلسة رائقة في هذا العالم.. يقول أحدهم وهو سمين بشكل واضح ويدعى «مفلح»..

- أتدرون.. رائحة البر والصحراء تساوي الدنيا وما فيها..

كان صاحبه الثاني يهوي على النار بهدوء.. وهو يختلف عنه تمامًا.. شديد الأناقة والوسامة كأنه في عرس ويدعى «ياسين» قال وهو ينظر إلى النجوم:

- أي والله كأنك وحدك بهذه الدنيا..

بجوارهم صاحبهم الثالث «هتان» الذي يدفن وجهه في التابلت الحديث الخاص به ويبدو شبيها بالكوريين بهذا الشعر والملابس.. كانوا يسمونه الكوري رغم أنه ليس مفتونًا لهذه الدرجة بالفنون

الكورية.. لكن اللقب الذي يلصق في الإنسان هنا لا يزول أبدًا.. كان قليل الكلام ومنطويًا نوعًا ما.. قال لهم وهو يمسك بخرطوم النارجيلة:

- الليل هادئ جدًا اليوم كأنه يرقد معنا.

أخرج السمين مفلح جواله وهو ينحني بزاوية معينة ليأخذ صورة احترافية لسيارته الكبيرة الرابضة تحت قرص القمر وهو يقول:

- انظروا كيف يقف هذا اليوكون تحت قرص القمر.. صدق الذي سماه الوحش الأسود..

وبالفعل كانت سيارته الجمس يوكون دينالي 2025 تبدو كالوحش تمامًا في هذه الظلمة.. وهي سيارة دفع رباعي فخمة مصممة خصيصًا للسير في أخطر دروب الصحراء وأي نوع من الأرض تقريبًا مهما كانت وعرة.. بل ربما لو أردت أن تصعد بها فوق جبل ستصعد بك.

أخذ مفلح أكثر من صورة ثم عاد إلى الجلوس باعتدال بعد أن بذل جهدًا جسديًا لا بأس به في التحرك لالتقاط هذه الصور وأشعل سيجارته بشكل تلقائي وهو يقول:

- هذه أقوى سيارة في الوجود الآن.. حتى شركة جمس قالوا إنهم غالبًا لن يخترعوا أي شيء أقوى منها..

مط ياسين شفتيه وهو يعدل شماغه الأنيق ويقول:

- كاذبون.. كل سنة سيضعون لك شيئًا جديدًا.. وبعد عشر سنوات ستجد الجمس الخاص بك قادر على التحول إلى روبوت ترانسفورمر تحارب به الجمسات الأخرى.

ضحكوا على كلامه كثيرًا وقال ياسين بطريقته المعهودة للمزاح:

- أتدري يا كوري.. هذا الأهوج الذي ترى معه الآن سيارة جمس يوكون.. في قديم الزمن في المدرسة قبل أن نتعرف عليك كانت عنده سيارة ونيت قديمة.. وكان يأخذني بها إلى البر.. وكل مرة تغرز بنا في الرمل.. في مرة تركته ورفضت الذهاب معه.. ذهب

وحده كالأحمق.. وانطلق بها في البر واختفى هناك.. ولم نعثر عليه إلا في اليوم التالي.

هز الكوري رأسه بطريقة ساخرة وهو يقول:

- يا للدنيا..

كانوا جميعًا في منتصف العشرينيات تقريبًا.. مفلح السمين يعمل في المركز الحكومي في البلدة.. وياسين يعمل مدرسًا في مدرستها المتوسطة.. والكوري هو ابن صاحب المزرعة الكبيرة في البلد.. وثلاثتهم من الطراز المغامر الذي يحب الرحلات والبر.

قال لهم ياسين وهو يحمل كوب الشاي:

- ماذا عندكم من مواضيع اليوم؟

اعتدل الكوري على غير عادته وقال وعينه تلمع في هذا الظلام:

- أنا عندي موضوع.. لكنه موضوع يحتاج لرجال يسمعوه.. ورجال ينفذوه..

اهتموا لكلامه لأنه عادة لا يتكلم أصلاً وتكون حواراته أغلبها ردود ولا يبدأ الحديث إلا نادرًا..

قال الكوري:

- عثرت على تطبيق من التطبيقات الممنوعة.. حملته من أعماق الدارك ويب.. لكنه يحتاج إلى قلب قوي ليفتحه.

قال مفلح ساخرًا وهو يهرش في رأسه:

- الأحمق يقول دارك ويب.. يريد أن يصبح تاجر مخدرات غالبًا.

عقد الكوري حاجبيه الطويلين قائلاً:

- التطبيق يحتاج إلى قلب أقوى من المخدرات.

قال ياسين وهو يمط شفتيه:

- قل موضوعك دون مقدمات.

قال الكوري:

- لا أحد يدري من هو صاحب التطبيق.. لكنه صممه لعشاق الرعب ومدمني الخوف الذين يملكون قلباً ميتًا.. كتب في صفحة التطبيق على الدارك ويب أنه دائمًا ما يسمع كلامًا كثيرًا عن الأماكن المسكونة بالجن وعندما يذهب بنفسه إلى المكان يجده عاديًا ومملًا.. فقرر أن يصنع هذا التطبيق..

قال له مفلح:

- ماذا يعمل هذا التطبيق.. يحضر لك الجن؟

قال الكوري:

- بل أقوى..

وبدأ الكوري يشرح.. وأصبحت قلوبهم تخفق مع كلامه..

· · — · ✶ · — · ·

شد الكوري نفسًا من شيشة معسل الزغلول الذي يفضله والذي لم يبدُ متناسبًا مع مظهره على الإطلاق وهو يقول:

- هذا التطبيق الآن هو تريند رقم واحد على الدارك ويب.. صاحب التطبيق سمح لأي واحد في العالم أن يضيف في التطبيق أي مكان مسكون قريب منه ويكتب تجربته عن المكان والرعب الذي واجهه فيه ويضع صورًا وفيديوهات.. كل هذا عادي لكنه وضع شرطًا.. أن المكان المسكون لن يضاف للتطبيق إلا لو كان هناك على الأقل 10 أشخاص زاروا المكان وكتبوا أنهم رأوا فيه شيئًا مرعبًا جدًا.. طبعًا الناس في البداية أضافوا للتطبيق آلاف الأماكن

المسكونة هنا وهناك.. لكن لم يحقق الشرط إلا حوالي ألف مكان في العالم فقط.. هم المتاحون في التطبيق الآن.. والقائمة تتجدد.

قال ياسين باهتمام:

- كل هذا جميل لكن من الممكن أن أكلم أنا عشرة من أصحابي ونضع تقييمات أن هذا المكان مثلاً مسكون ونحن أصلاً نكذب أو نتوهم.

قال الكوري:

- لأجل هذه الحركات وضع صاحب التطبيق نظام تقييمات للأماكن المسكونة.. يعرض لك أولاً كم شخصًا زار المكان بالفعل حسب نظام تحديد الموقع في البرنامج.. وكم شخصًا منهم كتب أنه رأى أشياء تخلع القلب.. بناء عليه يضع تقييمًا للمكان ودرجة الرعب فيه.. طبعًا هناك أماكن كثيرة في البرنامج حققت نسبة تقييم عالية وكاملة.. يعني زاره 100 شخص مثلاً كلهم بلا استثناء رأوا أشياء مرعبة.. هكذا يكون المكان تقييمه كامل.. وعمومًا أغلب الأماكن في البرنامج حاصلة على تقييمات فوق التسعين بالمئة..

فتح الكوري التابلت الخاص به وشغل التطبيق أمامهم.. كان اسم التطبيق بالإنجليزية BlackMap الخريطة السوداء.. وقال:

- الشيء الذي جعل التطبيق تريند هو أن هناك مؤشرًا آخر غير مؤشر الرعب.. هذا الأحمر هنا.. مؤشر الخطورة.. يعرض لك كم شخصًا زار المكان ورجع.. فكما أن البرنامج يسجل الذهاب بنظام تحديد الموقع كذلك يسجل العودة.. بالتالي فالأماكن التي يزورها أشخاص كثيرون ولا يعودون منها يكون مؤشر الخطورة فيها أحمر جدًا.

قال مفلح وعلى وجهه تعبير يوحي بالغباء:

- لا مشكلة.. ممكن شخص يزور المكان ويغلق نظام تحديد الموقع في جواله.

قال الكوري:

- لا تقدر.. إذا أغلقت نظام تحديد الموقع في جوالك سيسجل البرنامج أنك ألغيت الرحلة.. والأكثر من هذا أنت لا تستطيع أن تزور أي مكان من الأماكن المسكونة في البرنامج في أي يوم تشاء.. بل يجب أن تفتح البرنامج وتكتب أنك تريد الذهاب وهو يحدد لك يوم معين تذهب فيه وتحجز رحلة.. حتى لا تذهب وتجد أشخاص آخرين في المكان في نفس اليوم فيفسدون عليك المتعة.

قال ياسين وقد بدأت الفكرة تعجبه:

- عجيبًا.. هناك حجز أيضًا.. يبدو أن صاحب البرنامج يأخذ الموضوع بجدية شديدة.

قال مفلح وقد وصل حماسه إلى أقصاه:

- حسنًا افتح البرنامج.. جرب شغله هنا في القرية.

قال الكوري بابتسامة غامضة:

- ومن قال لك إنني لم أجرب.

· · — · ✶ · — · ·

كانت شاشة التطبيق توضح خريطة العالم وعليها جماجم حمراء في مواضع كثيرة جدًا هي الأماكن المسكونة في العالم.. قال الكوري:

- انظروا.. الآن سأحدد على قريتنا.

مد مفلح عنقه وقال:

- ما هذا؟ لا يوجد شيء هنا في القرية.

قال ياسين هازئًا:

- طبعًا لا يوجد شيء.. لا أحد يدري شيئًا عن دمبلوتن.. الوحيد الذي نزل التطبيق في قريتنا هو هذا الكوري المعتوه.

قال الكوري وهو يشير إلى موضع معين:

- انظروا أين هو أقرب مكان مسكون منا.

نظر صاحبيه إلى التابلت في عناية وقال ياسين:

- هذا تحتنا في اليمن.. ليس بعيدًا بالمناسبة.. ما اسمه؟ فوجيت؟

قال الكوري:

- فوجيت هذا هو الاسم الأجنبي.. أما اسمه العربي فهو برهوت.. بئر برهوت.

قال مفلح وهو يسعل من الدخان:

- سمعت به.. يقولون إن فيه سجن الجن.

قال ياسين وهو يرفع حاجبًا:

- بئر برهوت هذا كل ما يقال عنه كذب.. أصلًا هناك حملة استكشافية عمانية نزلوا البئر ولم يجدوا أي شيء غريب بالعكس كلها مناظر طبيعية وجميلة.

قال الكوري:

- انظر للتعليقات..

فتح الكوري التعليقات أمامهم وقرأوها معًا..

كان هناك تعليق يقول.. «شباب المكان المسجل في البرنامج ليس هو البئر نفسه.. بل هي أرض ملعونة قريبة من البئر».

وتعليق آخر: «الله المستعان انتبهوا يا شباب اتركوا عنكم اللعب.. هذه الأرض كلها مكان خسف.. وعذاب».

وتعليق ثالث يقول: «لا تذهبوا هناك.. مؤشر الأمان على البرنامج أحمر على آخر درجة.. عشرة سجلوا ذهاب لكن لم يرجع أحد».

تعليق رابع يقول: «نحن ساكنين قريب منه في جبال المهرة.. البئر عادي زرناه مرة.. لكن هذه الأرض التي بجواره لم نقربها.. يقال إن فيها مدينة كاملة مسكونة بالجن».

التعليقات الباقية فيها أدعية حفظ وذكر لله.. كان الشباب رغم طريقتهم الساخرة لكن قلوبهم قوية.. ومن يعش في الصحراء يكن أقوى بكثير جدًّا ممن يعش خارجها.. قال الكوري وكان أكثرهم تهورًا:

- ها.. عندكم قلب؟

قال ياسين وملامحه لا زالت تفكر:

- كيف نذهب لهذا المكان من هنا..

قال لهما مفلح وهو يخبط صدره:

- هذه عندي..

ونظر إلى الوحش الأسود القابع تحت ضوء القمر.. جمس اليوكون دينالي.. 2025..

. . — .✶. — . .

قال الكوري وهو يفتح التابلت على خرائط جوجل:

- المكان ليس بعيدًا عن هنا.. لو شددنا العزم على اليوكون سنكون هناك بعد حوالي 3 ساعات.

قال مفلح مستنكرًا:

- كيف 3 ساعات.. ألا تقول إن المكان في اليمن؟

أدار الكوري لهم التابلت الخاص به وكبر صورة الخريطة وهو يقول:

- الموضوع أبسط مما تتصور.. أولًا سندخل عمان ببساطة.. حدودها من هنا عشر دقائق.. ثم نمشي داخل عمان حول ساعتين الى حدود اليمن.. ومن هناك للبئر حوالي ساعة.

قال مفلح وقد أتاه التكاسل عن الأمر كله وهو يستلقي على متكأه مجددًا:

- عمان ثم اليمن؟ رحلة متعبة.. ما الذي يجعلنا نمشي كل هذا؟

قال له ياسين وكان صاحب الرأي فيهما:

- بالعكس.. كلها 3 ساعات.. دعنا نستمتع.. نمر على بلدين.. عمان ثم اليمن.. ومن الممكن ونحن في اليمن أن نزور مصيف حوف وسط الجبال.. وعند الرجوع ونحن في عمان ربما نمر على صلالة.. يقولون إن فيها أروع إطلالة جبال خضراء في العالم.. جنة الله في الأرض.

قال مفلح وهو غير مرتاح للأمر:

- عزيزي هذه حدود بلدين.. دخول وخروج وتفتيش وصداع.

قال ياسين بلهجة واثقة:

- عمان واليمن لا تحتاج تأشيرة من السعوديين.. لكن الأهم أين نسكن؟ هل هناك مكان سكن قريب من البئر؟

بحث الكوري ودقق عينه في التابلت طويلًا وكان يجيد البحث عن أي شيء على الإنترنت ثم قال:

- نعم هناك فندق في بلد اسمها شحن داخل حدود اليمن.. بينها وبين البئر حوالي نصف ساعة.

سمع مفلح نبرة الحماس في كلامهم فزفر بغير ارتياح وهو يقول على مضض:

- فليكن.. عالبركة.

قال ياسين بطريقة مازحة:

- اليوكون الخاص بك وحش.. إذا تريد أن تنزل به داخل البئر سينزل.

ضحكوا على طرافته المعتادة فهم يحبون مزاحه وقال الكوري وهو ينظر لليوكون:

- لكن هناك شرطًا.. إذا سافرنا.. لن يتولى مفلح القيادة.. لأنه أرعن ويمشي على آخر عداد السرعة.

قال له ياسين:

- طبعًا لن يقود.. حتى لو كانت سيارته.. أنا سأقود.

كان ياسين من النوع المغامر المجنون لكنه يحرص في جميع رحلاتهم على الأمان وهو الذي يخطط عادة لكل شيء من الألف إلى الياء.

قال مفلح:

- لا بأس هذا أكثر راحة أصلاً.. سأجلس بالخلف متكئًا مع الدخان.

ولم يُضع الكوري وقتًا كعادته المتهورة.. بل دخل على تطبيق الرعب **BlackMap** وطلب حجز موعد إلى أرض برهوت.. ثم ابتسم ساخرًا وقال:

- عجيب.. كل الأيام متاحة.. يبدو أنه لا أحد يفكر في الذهاب أصلاً.. سأحجز رحلة غدًا.. أرسلت لكم التطبيق على التيليجرام وفحصته

وتأكدت أنه خال من الفيروسات.. حملوا التطبيق وسجلوا فيه.. وسأرسل لكم دعوة للرحلة اقبلوها..

قضوا ليلتهم تلك بين قراءة عن بئر برهوت ومشاهدة فيديوهات لا تنتهي خصوصًا الكوري فقد كانوا يعتمدون عليه في أمور البحث.. ثم في ظهيرة اليوم التالي كان اليوكون قد امتلأ صندوقه الخلفي بأغراض الثلاثة وحقائبهم وانطلقوا على الطريق..

قال الكوري:

- شباب.. أنا دخلت أمس أقرأ عن التطبيق وأبحث.. اتضح أنه يمكنك أن تفتح لايف من داخل التطبيق خصوصًا في الأماكن اللي مؤشرها أحمر.. فلو أصابك أي مكروه وأنت في المكان المسكون.. يمكن للمتابعين مثلاً أن يبلغوا هيئات الإنقاذ.

قال ياسين وهو يركز في الطريق:

- هل هناك أحد فتح لايف من قبل؟

قال الكوري وهو يفتح أحد اللايفات:

- نعم انظر هذا الشخص مثلاً ذهب إلى قلعة إدنبرة في سكوتلاندا وفتح لايف والناس يتفاعلون معه.

قال ياسين وهو ينظر بطرف عينه:

- رائع.. أحيي صاحب التطبيق صراحة.

قال الكوري:

- اكتشفت شيئًا آخر أيضًا أكثر إثارة.. هناك مساعد صوتي بالذكاء الاصطناعي مدمج في البرنامج وتابع لشات جي بي تي.. لكنه معدل ومضاف له معلومات عن الرعب والأساطير وقاعدة بيانات كبيرة للغرائب.. فلو شغلته وأنت هناك وقلت له بصوتك إنك تقف

أمام مخلوقات فضائية كيف يمكن الهرب.. سيدلك بكل جدية ولن يتعامل أنها أساطير.. أو أنك أحمق.

قال مفلح وهو مستلق على أريكته والسيجارة في فمه:

- لا أدري كيف تتحملوا هذا الشات جي بي تي.. أنا أظن أنه هو نفسه **«الجبت»** المذكور في القرآن.. فالله يقول.. يؤمنون بالجبت والطاغوت.

التفت له الكوري وقال:

- يعني بالله عليك.. الأمريكان وعلماء التكنولوجيا الأشرار هؤلاء.. قبل أن يعملوا الشر الذي يخططون له سيفتحون القرآن وينظروا إلى كلمة جبت.. فيقولون لبعضهم دعونا نسمي برنامجنا الجديد الشرير جبت.

ابتسم ياسين وهو يقود متطلعًا للطريق بتركيزه المعتاد ويرد بدلًا من مفلح:

- لا طبعًا.. لكن هذه إشارة.. أن هذا الشيء الذي يشغل قلوب الناس في العصر الحديث اسمه جبت.

تجادلوا كثيرًا وأمضوا ثقل الطريق في أمور ومواضيع لا فائدة منها وساعدهم اليوكون الذي يبدو من الداخل كأنه غرفة خمسة نجوم.. وظلوا يتضاحكون حتى وصلوا الفندق في البلدة الصغيرة الحدودية **«شحن»** قبل المغرب بقليل..

بقوا في الفندق حتى دقت الساعة أول الليل.. ثم نزلوا من غرفهم وبعضهم ينظر إلى عيون بعض.. واستعدوا للانطلاق إلى أرض برهوت.

سأل ياسين رجل الاستقبال في الفندق إذا كان قد سمع عن أي شيء مرعب يخص بئر برهوت.. وكان يحسن الكلام مع الناس واستخراج المعلومات منهم.. قال له الرجل:

- لا أبداً.. ما سمعنا عن البئر نفسه إلا كلام الأولين.. مثل أن الجن بنوه... ورغم هذا كثير من قومنا ذهبوا للبئر ولم يحدث لهم أي شيء.. لكن ما سمعناه وأرعبنا لم يكن عن البئر نفسه.. لكن عن الطريق اللي تؤدي إلى برهوت.. يقولون إن الذي يمشي فيها لا بد أن يواجه جن الطريق.. يأتيك

بأي صورة.. من أجل ذلك إذا ذهبت إلى هناك إياك أن تقف إلا عند البئر نفسه... ولا تذهب له في الليل طبعًا.. لأنك لن ترى شيئًا.

نظر الثلاثة لبعضهم وقد أثارتهم كلمات الرجل نوعًا ما.. وحيوه ثم ركبوا اليوكون.. وانطلقوا إلى مآلهم.

· · — · ✶ · — · ·

انطلقت السيارة بهم على طريق برهوت.. لم تكن القلوب خائفة على الإطلاق.. فمثلهم تربى في منطقة مقطوعة عن العالم في الصحاري الظلماء الممتدة مد البصر.. فليس من المنطقي أن يخافوا من مكان لمجرد أنه مقطوع.. لكنها التجربة والمغامرة ولا شيء آخر.

بعد حوالي ربع ساعة من المسير ظهر أمامهم مدخل كبير لشارع على اليسار.. خفف ياسين سرعة السيارة تلقائيًا بحرصه المعهود فقال له الكوري:

- لا تدخل من هنا.. هذا الطريق سيأخذك إلى بئر برهوت نفسه.. طريقنا ليس من هنا.. ما زالت حوالي عشر دقائق على الأرض التي نريدها.

قال لهم مفلح من الخلف:

- كيف حال قلوبكم.. بقيت عشر دقائق.

قال ياسين وهو يمشي بالسيارة بسرعة منخفضة:

- قلبي بدأ يدق لكن دقة الملل.. المكان كله ليست فيه أي حركة.

ظهر على جانب الطريق شيء كأنه مبنى مهجور واضح أنه متروك منذ مدة طويلة حتى إن حوائطه بدأت تتهالك على بعضها.. قال مفلح ساخرًا:

- هذه الكافيتريا يبدو أنها مهجورة من سبعين ألف سنة.

قال الكوري:

- أكيد خسر نقوده.. من ذا الأحمق الذي يفتح كافيتريا في مكان كهذا.

نظر ياسين إلى السماء والأجواء حولهم وقال بلهجة يريدها جادة:

- لا توجد قطعة ضوء واحدة حولنا بالمناسبة.. لو أغلقت نور السيارة لن نرى شيئًا على الإطلاق.

وبالفعل أغلق نور السيارة لثانية فوجدوا أنفسهم كأنهم في بحر من الكحل الأسود.. حتى النجوم احتجبت وراء سحب سوداء.. ابتسموا هازئين.. وأخذ ياسين يفتح النور ويغلقه وهو يلهو ويلعب بلا اهتمام.. فالبيئة التي جاؤوا منها كانت تماثل هذا السواد وأكثر منه.

وبينما هو يغلق النور ويفتحه هكذا.. فجأة.. وفي اللحظة التي فتح فيها النور.. ظهر لهم من بعيد في الظلام على جانب الطريق شيء كأنه امرأة تمشي معطية لهم ظهرها وحجابها منحسر عن رأسها وتحمل بين يديها شيئًا تمشي به ببطء.

في هذه اللحظة وحدها.. دقت في قلب ياسين دقة الخوف لكنه أخفى هذا وراء ملامح تتصنع الجدية.. وكان ظاهرًا على عيون الشباب بعض القلق.. ربما لأن المرأة ظهرت هكذا بغتة.

كان الكوري أول من تكلم وقال وهو ينظر في الأفق:

- ليس هناك شيء بالجوار يمكن أن تخرج منه هذه.

دقق ياسين عينيه وهو يهدئ السرعة حتى وقف بالسيارة قبل المرأة بمسافة وكان النور مسلطًا عليها.. التفتت لهم المرأة التفاتة عادية وتبين أنها تحمل رضيعًا متلحفًا بأغطية حمراء زاهية وأنها تملك ملامح فيها بعض الحسن وإن كان البؤس هو الطابع العام الذي يلفها.. قال مفلح:

- اذهب وقف عندها.. ما بالك وقفت هنا..

قال الكوري:

- انطلق بالسيارة.. هذه ليست بشرًا.

قال مفلح:

- فلتكن من الجن لا فارق.. ألست جئت هنا لتراهم.. لم تأتِ هنا لننظر إلى وجوه بعضنا البعض.

قبض ياسين على عجلة القيادة في توتر وهو لا زال يحاول حسم قراره الأخير.. فقد كان من الطراز الذي لا تعجبه المخاطرات غير المحسوبة.. ثم حسم قراره..

· · — · ✶ · — · ·

تحرك ياسين بالسيارة ببطء شديد وهو يقترب من المرأة التي اتضح وجهها شيئًا فشيئًا وهم ينظرون لها في وجل لم يقدروا على إخفائه.. فتح الكوري نافذته المواجهة لها بقلق.. وقرب ياسين جسده من النافذة وقال بأدب جم وهو ينظر إليها وإلى رضيعها:

- أتحتاجين شيئًا يا أختي؟

كانت تبدو متوترة جدًا.. قالت لهم بلهجة يمنية وصوت فيه خجل بائس وهي تنظر إلى وجوههم نظرات سريعة قلقة:

- أتأخذوني فقط للقرية.. هي ليست بعيدة من هنا.. على طريقكم.

أومأوا برؤوسهم وقد اطمأنوا من هيأتها المضطربة أنه لا شيء يستحق القلق.. وإن كان الكوري ينظر إلى الأجواء حولهم في ريبة لعل عينه تقع على أي شيء يصلح أن يكون قرية أو نجمًا ربما خرجت منه لكن الظلام كان دامسًا جدًا.. فتحت المرأة الباب الخلفي وجلست بجوار مفلح الذي لم يعد على وجهه أي نوع من القلق.. بل كان يشعر بشيء من الابتهاج الخفي.. ربما لجلوس امرأة بقربه..

شعر الكوري بالحرج وأنه كان يجب أن يفتح الباب الأمامي ويخرج ليجلسها مكانه ثم فكر وقال لنفسه إنه لا فارق فستكون بجوار رجل في الأمام أيضًا.. فقال لها:

- أتريدين الجلوس بالأمام؟

صدر عنها شيء من الكلام يدل على الشكر.. وأنها مرتاحة هكذا..

لاحظ ياسين شيئًا حدث عندما جلست المرأة بالخلف.. صدر صوت طويل خافت جدًا من السيارة اليوكون.. كأن شيئًا ما اشتغل لمدة في الخلف ثم وقف.. لم يذكر ياسين أين سمع هذا الصوت من قبل.. ونظر إلى مفلح بشكل تلقائي لأنها سيارته هو لكن مفلح كان في شأن آخر.. كان يحاول النظر إلي الرضيع ليلاعبه لو كان يصلح للملاعبة ويختلس النظر إلى المرأة.. تحرك ياسين بالسيارة وهو يقول لها بجدية:

- أين هو طريقك بالضبط يا أختي؟

قالت له بصوت فيه لهجة جبلية:

- بعد عدة دقائق ستجد طريقًا صغيرًا فرعيًا إلى اليسار.. معذرة هو طريق لم تكمله الحكومة.. لكن بقية الطريق شبه ممهدة.

أومأ لها ياسين برأسه.. كان الكوري يشعر بقلق بالغ بدأ يتزايد منذ أن قالت كلمتها.. فهذا هو نفس الطريق الذي يريدون الذهاب إليه.. بدأ يشعر في نفسه بذلك الشعور الذي يأتي لبعض البشر عندما يكون هناك خطر يقترب.. ولم تمض دقائق حتى ظهر الطريق الفرعي غير الممهد ودخلت فيه السيارة..

كان الابتهاج الذي في نفس مفلح قد بدأ يصور له أنه يمكن أن يكون مرحًا ليكسر الثلوج فقال وهو يختلس نظرة إلى وجهها:

- هل تدري يا أخت.. كنا نظن أنك جنية.

كانت المرأة ساهمة تنظر من النافذة بشيء من الغم كأنها جزء من الظلام.. ولم ترد عليه.. فتنحنح قليلاً ومد يده إلى الرضيع يحاول لمسه وهو يقول بلهجة ملاعبة:

- هل أنت جني يا صغيري أم إنسي جميل؟

كان وجه الرضيع يبدو غريبًا متجعد الجلد أكثر مما ينبغي مما جعل يد مفلح تتجمد قبل أن تصل إليه..

وفجأة انتفضت المرأة وصدرت منها لفظة غاضبة وقالت:

- لا تلمسني يا هذا أليس عندك أدب؟

نظر ياسين في مرآة السيارة بغضب شديد وهو يصيح في مفلح:

- لو مسستها سأرميك بنفسي خارج السيارة لتأخذ المشوار مشيًا على قدميك السمينتين.

اعترض مفلح أنه لم يمسها أصلاً وأنه كان يشاكس رضيعها.. وساد الصمت بعدها بضع دقائق من التوتر الذي هبط على الجميع..

وكان مفلح أكثر من أصابه الحنق.. فهو ليس من الرجال الذين يفعلون هذه الأمور أبدًا.. لكن المرأة فعلت شيئًا مريبًا فجأة جعل مفلح يصاب بانعقاد اللسان التام.. وعجز عن النطق.. فهو الوحيد الذي رأى هذا الشيء الذي تفعله.

· · — · ✶ · — · ·

رغم العصبية التي كانت تقول بها كلمتها منذ قليل وجدها مفلح تمد يدها خفية عن الأنظار وتتحسس يده التي كان يسندها على المتكأ الذي بجواره.. ورغم أن اليد الأنثوية التي تتلمس في الظلام شخصًا كان يسعى إليها ويخفي في نفسه ربما تشعره بالسرور.. إلا أن كل ما شعر به مفلح هو الفزع وهو ينظر إلى يدها البيضاء الموضوعة على يده..

أصدر مفلح شهقة وهو يحدق في المرأة التي كانت تنظر بإمعان إلى يده ثم تنقل عينها إليه..

شهقة مفلح جعلت الكوري يلتفت وينظر إلى الوراء ناحيتهما.. وانتقلت نبضة الفزع إلى قلب الكوري بدوره وهو ينظر إلى المرأة عن قرب..

لم تكن هي.. بدت كأنها أكثر نحافة في الوجه.. وأكثر بياضًا مما بدت به أول مرة.. نظرت إليه المرأة بشيء من السخرية وهي تقول:

- هلا أسرعتم قليلاً..

نظر الكوري أمامه وفي عينه ألف سؤال.. قال لنفسه إن ما شعر به هو غالبًا لأنه نظر لها الآن بشكل أوضح بينما عندما شاهدها في الطريق كانت متدثرة بالظلام.

فجأة زادت السيارة من سرعتها بشكل غير متناسب مع وعورة الطريق.. نظر الكوري إلى ياسين الذي كان يثبت عينه على لوحة السيارة وعلى عينه كثير من الارتباك.. قال له الكوري:

- ما بك أسرعت هنا الآن..

وجد ياسين يحاول النظر أسفل قدمه إلى شيء ما.. فقال الكوري:

- ماذا بك؟

قال ياسين وهو يحاول فعل شيء بقدميه:

- الدواسة.. يبدو أن..

هذا يعني أنه عندما ركبت المرأة النحيفة السيارة استشعرت السيارة وزناً كبيرًا جدًا قد دخل وبدأت تعدل نفسها على هذا الأساس وأصدرت صوتًا طويلاً يعبر عن الثقل الشديد الذي حل.

سقطت جميع القلوب أسفل الأقدام.. وبدأ ياسين يحاول النزول من المقعد بسرعة ليمسك دواسة البنزين بيده وهو يقول للكوري بحزم:

- أمسك مقود السيارة.

قبض الكوري يده بقوة على المقود وهو ينظر إلى الأمام في فزع بينما مفلح ينظر إلى وجه المرأة الذي بدا له كأنه ازداد نحافة واسودادًا تحت العينين..

كانت صخرة واحدة كبيرة تظهر في وسط هذا الطريق الغير ممهد وهم على هذه السرعة كفيلة بأن تقلب السيارة كلها رأساً على عقب حتى لو كانت يوكون دينالي..

وبالفعل.. لم تمض ثوان حتى ارتطمت عجلة السيارة الأمامية بحجر كبير جعل التوازن يختل ويد الكوري التي كانت تحاول السيطرة على المقود دفعته إلى الناحية الأخرى دون قصد فانعطفت السيارة بعنف شديد وانقلبت بقوة بالغة وارتطم سقفها بالأرض ثم عادت تتقلب مجددًا ثم سقطت على جنبها..

وفي أثناء هذه الانقلابات كلها انكسر زجاج السيارة الجانبي والكوري يغطي وجهه بيديه حتى رمته الصدمة خارج السيارة لخفة وزنه ولم تنجح مخدات الهواء أن تنقذه واصطدم ياسين بتابلوه السيارة من الأسفل وهو منحن في قسم الدواسات.. أما مفلح فكل الذي كان يراه في الثواني التي انقلبت فيها السيارة هي تلك المرأة وهي تقرب وجهها منه بطريقة مختلة شامتة بينما السيارة تدور بهما وتصطدم حتى استقرت على جنبها وليس بداخلها شخص واحد في وعيه.

وهناك.. في مكان غير بعيد من هذا الحادث.. كانت هناك لافتة حديدية قديمة.. من شدة قدمها مالت إلى الوراء فلم تعد واضحة للأنظار.. لافتة مكتوب عليها كلمة واحدة بخط ممسوح لكنه مقروء:

برهوت..

مجرد رحلة..

طريق أسفلتي متعرج يسير بين الجبال في مكان بأقصى جنوب اليمن السحيق..

الشمس بدأت في الهبوط وهي تلقي نظرتها الأخيرة على الأجواء من بين رؤوس الجبال...

الطريق فارغ إلا من بضع شوارد من غبار تتجمع على بعضها لتقطع الرتابة كل حين..

وبين أركان الصمت والغبار المتطاير تدخل إلى مشهد الطريق سيارة زرقاء صغيرة متواضعة من طراز الهاتشباك.. وأي سيارة تمر من هذا الفراغ المترامي تشعل الفضول في عيون الناظرين..

عائلة يمنية من أربعة أشخاص.. متوسطي الدخل تمامًا مثل سيارتهم..

الأب ناصر.. عسكري سابق.. يقود السيارة بيد واحدة ويسند الأخرى على متكأ اشتراه خصيصا لراحته.... لديه علامات حرق وخدوش في يده تدل أنه قضى وقتًا طويلًا في الحرب وراء تلك الجبال.. يملك وجهًا وسيمًا لم تنجح كل هذه الآثار في إخفاء ملاحته.. فمه يتحرك بذكر الله بشكل تلقائي يدل على أنه معتاد على الذكر.

الأم بجواره ساهمة في الطريق وتظهر على وجهها أكوام من الحزن الدفين.. اسمها فاطمة.. فقدت ابنًا لها منذ زمن فذهبت الحياة من وجهها وذهب الشغف.. وأصبحت تعيش كأنها لتصنع الحياة..

في المقعد الخلفي يستلقي المراهق «شهاب».. ممتلئ قليلًا ذو شعر ناعم غير مسرح.. عينه اللامعة تظهر كل حين عندما يعدل نظاراته ذات الإطار الأسود وينظر من ورائها إلى شاشة لابتوب حديث تشتغل عليه روبلوكس.. منصة الألعاب ذات الرسومات الهزلية.. وهناك تباين واضح بين جدية ملامحه وسخافة الرسومات.. ومن الواضح أنه يهتم كثيرًا بالإلكترونيات ففي جيبه جوالان ضخمان وحوله باور بانكس كثيرة.

الرابعة في هذه السيارة هي الصغيرة «لين».. ملامح ذات جمال جبلي واضح.. لكنه مظلوم خلف هذه العين السارحة التي تتحرك كل حين بطريقة غير طبيعية.. كانت مصابة بالتوحد.. كما أنها خرساء لا تتكلم.. ليس لعدم قدرتها.. لكنها توقفت عن الكلام منذ سنة بعد صدمة موت أخيها الصغير.. كانت يدها تمسح على وجه دميتها المحجبة في شرود.. وهناك قطة مشاغبة ترقد على حجرها وتتململ كل حين..

كانوا في طريقهم إلى محمية حوف.. المصيف الجبلي الشهير حيث يلتقي البحر بالجبل والغابات الخضراء.. وسيقضون هناك مدة لا بأس بها كما هو واضح من صندوق السيارة الممتلئ بالأغراض والأكياس الكبيرة المحشوة بالملابس.

بدأت القطة تقوم من تململها وتتحرك في السيارة بشكل عصبي غير مبرر مما دعا الأم إلى أن تلتفت في الخلف لابنتها وهي تقول:

- لين.. ضعي القطة في الكرتون حتى لا تقفز على أبيك وهو يقو

نظرت لين بطريقتها الصامتة دون أي رد فعل فقالت الأم:

- شهاب..

تحركت يد شهاب تمسك بالقطة وعينه على الشاشة لا تفارقها فوضعها في الكرتون وأغلق عليها بكرتون آخر والقطة تحتج وتضرب جدران محبسها في غضب.. أصدرت لين تعابير محتجة على وجهها وضمت الدمية إلى صدرها.. والحق أنه لولا هذه الدمية المحجبة ذات العين الكبيرة السعيدة ما كانت لين ستمر من هذه الأزمة أبدًا..

عم الصمت بعد هذا إلا من صوت القطة التي تكافح لضرب جدران الكرتون وموسيقى ألعاب روبلوكس المرحة التي تصنع خلفية غير متسقة تمامًا مع هذا الملل والحر..

فجأة ضيق الأب ناصر عينه وهو ينظر إلى المنظر الذي يواجهه على الطريق.. وانتبه الجميع للمنظر.. وانعقدت الحواجب..

· · — ·✶· — · ·

انبسطت الملامح بعد ثانية واحدة من انعقادها.. فهناك عند حافة الطريق كانت هناك مجموعة كبيرة من ا لقرود تتقا فز على سور الطريق الحد يدي وتلهو في طرافة.. خفف الأب ناصر سرعة سيارته تمهيدًا لإيقافها وهو يبتسم وينادي على ابنته لين مشجعًا.. ظهرت السعادة على ملامح لين الصامتة دائمًا ولمعت في عينها لمعة الفرح.. وقبل أن يقف ناصر بالسيارة عند القرود أغلق جميع النوافذ حتى لا يقفز أحدهم بالداخل.

بدأت بعض القرود تثب وتدور في مرح وكل من الأب والأم يستديرون إلى الخلف ينظرون إلى لين وهي تطالع من النافذة في شغف.. قالت لها أمها:

- حبيبتي تريدين أن تطعميهم بعض الموز؟

نظرت لها لين في صمت موافق فقالت الأم:

- شهاب.. اسحب من صندوق السيارة خلفك ذلك الكيس الصغير الأخضر.

لم يرد شهاب عليها فنظرت له لتكرر قولها بشكل حازم.. وجدته شارداً ينظر إلى القرود في شيء من القلق من وراء نظارته.. قالت له:

- شهاب.. ماذا هناك.. هل تسمع..

قال شهاب وعينه تتحرك يمنة ويسرة:

- هذه القرود.. انظري..

نظرت الأم إلى القرود غير فاهمة وهو يقول بشرود:

- هذه القرود تمشي منتصبة أكثر من اللازم.

ظهرت ملامح هازئة على الأم وهي تقول له:

- ما بك يا عزيزي.. ها هو القرد يتقافز منحنياً أسفل بابي.. وهذه القرود الأخرى هناك..

فجأة ارتفع القرد منتصباً أمام زجاج بابها فشهقت وتصلبت أصابعها من المفاجأة.. وعلى الجهة الأخرى وقف قرد آخر عند جانب ناصر مفرود الظهر يمشي في بطء وهو ينظر داخل السيارة.. كانت القرود حول السيارة تصدر صوتاً مختلفاً عن صوت القرود العشوائي.. صوت أشبه بهمهمة مكتومة طويلة تصل إلى مسامعهم رغم أن الأبواب والنوافذ مغلقة.

قفز أحد القرود فوق مقدمة السيارة.. وجلس متربعاً وتأمل الجميع من خلال الزجاج الأمامي.. لم تكن جلسته عادية مثل أي قرد يلهو.. بل كان جالساً في هدوء.. وبقية القرود يدورون حول السيارة ويقربون وجوههم من الزجاج بطريقة حيوانية مختلة.. لم يكونوا يتصرفون كقرود على الإطلاق..

وقبل أن يستوعب أحد من العائلة ما يحدث.. مد واحد من القرود يده بمهارة وفتح باب السيارة بعنف.

كان الباب الذي فتحه القرد هو أخطر باب في السيارة.. الباب الذي بجانب الطفلة لين.

فعل الأب ناصر الشيء الصحيح الوحيد الذي يجب أن يفعله ها هنا.. انطلق بالسيارة فجأة فانغلق الباب الخلفي بقوة قبل أن يفعل القرد أي شيء.. هذه الانطلاقة المفاجئة أزاحت القرد الذي كان يجلس على المقدمة وأسقطته أرضاً أمام السيارة فدهسته وانطلقت..

وكثير من القرود المتجمعين في الأمام صدمتهم السيارة بعنف فأصدروا زمجرة عالية وهم يتناثرون هنا وهناك.. ابتعدت السيارة كثيراً والقرود ينظرون لها من بعيد ويصدرون همهمات مقيتة لا زالت أصداؤها تصل إلى الأذن.. قالت الأم بصوت مملوء بالفجع:

- ما هؤلاء بالضبط يا ناصر.. ملاعين مسخهم ربي قرود؟

صاح شهاب وهو يشير للوراء برعب:

- أحدهم متعلق خلف السيارة.

نظر الجميع إلى الوراء فرأوا قرداً يطالعهم من الزجاج الخلفي غاضب الملامح بشكل واضح.. ضرب شهاب بيده على الزجاج عدة مرات والقرد ينظر له بعين متسعة.. ثم رفع القرد يده بحجر كبير يريد أن يضرب به الزجاج..

تحرك ناصر بالسيارة يميناً ويساراً بعنف حتى يسقطه لكن مخالب قدمه كانت متشبثة بالسيارة بقوة وهو يرفع يده بالحجر وملامحه مليئة بالتشفي الحيواني.

مد ناصر يده بسرعة إلى درج السيارة وسحب مسدسه القديم بطريقة متمرسة وصوب ناحية القرد وهو يقول:

- اكسره إن شئت يا رجيم.

نظر القرد بعين واعية إلى المسدس ثم انحنى مخفياً جسده خلف السيارة.. وسمع الجميع صوته وهو يتحرك بمخالبه على جسم السيارة.. صاح الأب ناصر:

- أغلقوا أقفال الأبواب.. ابتعدوا عن الزجاج.

ولم يكد حتى أن يتم جملته إذ هوى الحجر الضخم على نافذة الطفلة لين بأقصى قوة.. كان القرد قد علق نفسه بالأسفل ومد يده ليضرب بالحجر بعزم حتى كسر الزجاج ومد يده الطويلة المشعرة ليقبض على ملابس لين ويسحبها لكنها كانت بعيدة عن الزجاج فلم تجد يده القميئة سوى الدمية.. فسحبها بقوة مما جعل لين تصرخ غاضبة وتكاد أن تتقدم بجسدها ناحية النافذة لولا أن أمسك بها شهاب بأيد من فولاذ.

وبسرعة تحرك شهاب ليميل بجسده إلى صندوق السيارة ويسحب أكبر كيس من أكياس الملابس ويحشره حشراً مكان الزجاج المكسور.. كانت سرعة بديهته وتصرفه غالباً بسبب مئات المواقف التي تضعه فيها ألعاب روبلوكس وتتطلب منه التصرف فيها..

نزل القرد بجسده أسفل السيارة.. وسمع الجميع ضربات عنيفة بالأسفل.. قالت الأم:

- هذا اللعين يصدق أنه سيخترقنا من الأسفل؟

عقد ناصر حاجبيه في قلق شديد من هذه الضربات.. وفجأة ظهرت الدمية على مقدمة السيارة..

كانت يد القرد البنية ترفعها وتميلها أمامهم باستفزاز.. بدأت لين تصدر صوت البكاء بحرقة وناصر يجز على أسنانه في عزم وإصبعه جاهز على زناد المسدس.

ارتفعت يد القرد فوق رأس الدمية وسحب لها حجابها بعنف فأصبحت حاسرة الرأس.. ثم مد إصبعيه وقلع البؤبؤ المثبت وسط كرات العين فيها فأصبحت عينها بيضاء كلها..

كان واضحاً من صوت لين في البكاء والذي أصبح يميل إلى الحرقة أن الفتاة ستصاب بصدمة عصبية.. وأن القرد اللعين يتعمد هذا خاصة عندما خمش وجه الدمية ليشوهها.. ولم يتحمل ناصر أكثر من هذا.

فجأة أوقف السيارة وهو يقول:

- فلتكن ممسوخًا أو حتى شيطانًا.

وفتح باب السيارة ونزل بحركة غاضبة ورفع مسدسه وأطلق عدة مرات بحرقة على القرد.. ورغم نور السماء الخافت قبل بدء الليل.. إلا أن ناصر يعرف أنه لا يخطئ هدفه أبدًا.. وكان معروفًا بهذا في العسكرية..

وبالفعل أصابت طلقاته القرد في مقتل فسقط مرتميًا على الأرض.

بقي ناصر مصوبًا مسدسه وهو ينظر إلى القرد الميت.. ثم تحرك بسرعة حذرة إلى المكان الذي رمى القرد إليه الدمية وانحنى ليأخذها من الأرض ثم عاد ودخل إلى السيارة وأغلق الباب والتفت إلى لين وأعطاها الدمية لكنها أمسكت بالدمية في حنق باكي ورمتها إلى صندوق السيارة بالخلف.. احتضنها أخوها شهاب بحنان كبير وقال:

- حبيبتي لا تقلقي سأصلحها لك حينما نصل.. سأعيدها أجمل مما كانت.. أنت تعرفينني.

كان ناصر ينظر إلى تابلوه السيارة في فزع.. قالت له فاطمة:

ناصر ما الأمر؟

قال لها

مؤشر البنزين أحمر.. لقد كان مملوءًا عن آخره.

استدار شهاب ومد عنقه لينظر إلى موضع معين ثم قال:

- أبي.. هناك شيء سائل يسقط من السيارة طوال الطريق.

خفق قلب ناصر وهو يقول:

- المسخ اللعين أفسد خزان البنزين.. إن الضربة التي ضربها بالأسفل لم تكن عشوائية.. هذه السيارة لن تستمر أكثر من بضع دقائق..

نظر الجميع إليه.. ثم إلى الظلمة التي نزلت على الطريق.. وإلى العيون التي يخيل إليهم أنها تختفي بين الصخور وتنظر لهم في شماتة.. وانتظار..

· · — · ✶ · — · ·

فجأة أوقف السيارة بعزم ونزل منها بجرأة وسط هذا كله والأم فاطمة تصيح فيه:

- يا ناصر ماذا تفعل؟

قال لها وهو يغلق الباب:

- لا بد أن نوقف هذا التسريب.

دار ناصر حول السيارة ووقف عند شباك شهاب القريب من خزان البنزين ووضع يده في جرابه وأخرج المسدس وناوله لشهاب وهو يقول:

- لا توفر الطلقات.. مثلما علمتك في الديرة.. هناك ذخيرة في الدرج.

أخذ شهاب المسدس بقلق ووضع يده على الزناد بإحكام.. نظر الأب حوله نظرات سريعة ثم نزل أسفل السيارة وفتح كشاف الجوال باحثًا عن الضربة التي خربت خزان البنزين.. كان يعلم أن الوقوف هكذا خطر كبير.. لكن هذه السيارة لن تسير أكثر من خمس دقائق أخرى.. بعدها سيقفون إجبارًا لا اختيارًا.. بحثت يده الخبيرة عن التسريب حتى وجد ضربة أحدثت شرخًا متوسط الطول في الخزان.. فقال بصوت غاضب:

- أظافر المسخ كسرت جسم التانك.

ومن النافذة كان شهاب يصوب مسدسه بيد متدربة لكنها غير متمرسة.. وفيها الكثير من الرجفة.. ويده الأخرى تعبث في جواله في نفس الوقت وينظر إلى الطريق كل حين وهو يصوب.. صاحت فيه أمه:

- ما الذي تفعله بالضبط.. أهذا وقت جوال؟

تجاهل شهاب الرد تمامًا وهو ينظر إلى الجوال بتركيز ثم ينادي على أبيه ويقول:

- أبي.. لقد دخلت على اليوتيوب وعرفت كيف نصلح شق التانك.

لم يرد أبوه وهو يحاول سد الشرخ بقطعة من قماش فصاح شهاب:

- معجون اللاصق الأسود.. الأنبوبين.. نخلطهم معًا.. ثم نجعلهم يجفون على الشق في بضع دقائق.. لدينا منه في صندوق السيارة.

خرج ناصر من تحت السيارة وقام واقفًا وهو يقول:

- الله يوفقك.. صحيح.. كيف غابت عن بالي؟

وبالفعل دفن الأب يده بين الأغراض في صندوق السيارة حتى أخرج أنبوبي اللصق وارتاحت ملامحه عندما شعر بيده أن الأنبوبين مملوءان.. وهرع إلى الأسفل يجفف الشرخ ويضع عليه اللاصق بدقة وتوتر حتى انتهى وهو يمسح قطرات عرق جبينه ويخرج من تحت السيارة.. وقبل أن يقوم من مقامه.. شاهد ظلالهم واقفة هنالك على جانب الطريق.. كان واضحا من هيئة الظلال المشعرة أنهم القرود.. الغريب أنه رآهم واقفين فقط بلا أي حركات عدائية.. فقط يقفون متجاورين.. ثم وجدهم يستديرون ويغادرون المكان..

أخذ الأب المسدس من يد شهاب وقال:

- أرأيت الذي رأيته؟

مسح شهاب جبينه هو الآخر وقال بخفوت:

- كانوا واقفين على هذا الحال منذ أن نزلت أنت تحت السيارة.

نظر الأب إليهم ثم ربت على كتف ابنه بسرعة وذهب ليركب السيارة ويشغلها بسرعة وينظر إلى التابلوه.. ثم يقول:

- ابحث لو كانت هناك محطات بنزين قريبة يا شهاب.. لن تواصل هذه السيارة سوى نصف ساعة.. وربما أقل..

وبأصابع خبيرة وسريعة عبث شهاب في اللابتوب قليلاً حتى عض شفتيه وقال بأسف:

- أقرب واحدة على بعد ساعتين.

تمتمت الأم بذكر الله وقلبها يكاد يقف وناصر يسير بالسيارة بسرعة قليلة ثابتة للحفاظ على البنزين إلى أقصى وقت ممكن.. كان أمله الوحيد أن يجد قرية بالجوار.. وبالفعل كان ولده شهاب يبحث في الخريطة عن أي قرى بين هذه الصحاري والجبال الشاسعة.. لكن بلا جدوى.

قالت الأم بأسى:

- لماذا مشينا من هذا الطريق يا ربي..

عض الأب على شفتيه وهو يقول

- طريق الساحل كان أطول كثيرًا من هذا...

فجأة تهللت أسارير الأب وهو ينظر إلى مكان مضيء ظهر على جانب الطريق.. وبدأت دقات قلبه تتحول كلها من الضغط النفسي إلى الفرح.. ثم لم تلبث ملامحه أن تغيرت مرة أخرى بينما تتضح ملامح المكان.. لم يكن محطة بنزين.. بل كان مجرد استراحة صغيرة جدًا وشبه مهجورة في طابعها العام.

أوقف السيارة بجوار الاستراحة ونزل وهو ينظر إلى المكان بعين ساخطة.. من هذا المختل الذي يضع استراحة في هذا المكان بدلاً من محطة بنزين تخدم الطريق.. خاصة أن كل شيء في الاستراحة يوحي أنه لا أحد يرتادها إلا قليلاً.. نافورة الماء الصغيرة الجافة بما فيها من ماء آسن.. اللوحة نصف المضيئة التي لا تتضح حروفها فلا تقدر أن تقرأ اسم الاستراحة.. موسيقى شعبية لا تدري ما هي تنبعث من مكان ما في الخلفية.. تجاوز ناصر كل هذا ودخل إلى المكان..

استراحة عادية.. طاولات.. مقاعد.. بشر جالسون على المقاعد...

شاب نحيل يقوم على الطلبات.. تلفاز قديم في الزاوية يعرض شيئًا مشوشًا ولا ينظر أحد إليه.. نظروا له لثانية عند دخوله ثم عادوا إلى ما هم فيه من اللهو والقهوة.. حتى إنه ألقى السلام فلم يعتنِ أحد بالرد عليه.. توجه ناصر إلى الشاب النحيل راعي الاستراحة وحكى له سريعًا عن مشكلة البنزين وسأله عن محطات أو قرى قريبة.. فهز الشاب رأسه ببطء ثم نظر إلى عيني ناصر وقال:

- واضح أنها أول مرة لك على الطريق.. ألم يقولوا لك إن هذا الطريق لا يجب أن تقف فيه لأحد... ولا لأي شيء عمومًا؟

قال له ناصر:

- ما قال لي أحد شيئًا كهذا.. لكن لماذا؟

صمت الشاب طويلاً ثم قال؛

حتى لا يحدث لك مثل الذي حدث.

ثم نظر الشاب لناصر وقال:

- اسمع... هذا الطريق ميت.. ليس فيه حياة... لكن بعد حوالي 5 كيلومترات... هناك منعطف واحد على اليسار خارج الخط... هناك ستجد قرية حية.

استبشر ناصر بهذا الكلام وشكر الرجل وعاد إلى السيارة وهو أكثر حماسة مما تركها.

وهناك في الاستراحة.. وعندما أعطاهم ناصر ظهره مغادرًا.. توقف كل من كان يلهو عن لهوه.. ورفع الجميع رؤوسهم ببطء ناظرين إليه في جمود.. وكذلك راعي الاستراحة النحيل.. تابعوه دون أن يرمشوا حتى غاب عن الأنظار.. وظهر شبح ابتسامة على وجوههم.. جميعًا.

· · — · ✶ · — · ·

منذ أن تحركت السيارة والطفلة لين لم تكف عن البكاء.. ولم يكن بكاؤها عاديًا بل حارقًا.. ذلك البكاء الذي تشعر عندما تراه بالشفقة على هذه الطفلة ولا تدري لماذا تفعل بنفسها هكذا.. كان شهاب يربت عليها ويحايلها طيلة الوقت بلا فائدة.. كان يعلم أنها تفعل هذا كله بسبب ما حصل للدمية.. كانت صديقتها الوحيدة بعد موت أخيها..

وكانت تسميها الدمية ريما.. والحق يقال إن المشهد الدموي الذي عمله القرد في الدمية ما زالت آثاره تغص نفسه حتى الآن.. مد شهاب يده إلى الخلف وأحضر الدمية ريما وأخذ يقلب فيها.. هذه الدمية أصبحت مخيفة بشكل مستفز.. كأنه قد أصبح لها وجه شيطان.. لكن برغم كل شيء فإن إصلاحها سهل جدًا.. مد شهاب جسده إلى الخلف ووضع الدمية بعناية في صندوق السيارة الخلفي وعاد يعتدل في جلسته وهو يفكر في عقله منشغلًا بطرق إصلاحها حتى أضاءت الأجواء

فجأة بنور حاد ومض في وجوه الجميع لمدة ثانية ثم توقف.. سمع بعدها شهاب صوت أبوه وهو يغالب نفسه لئلا يطلق سبة فقال بدلًا عنها كما هي عادته:

- أستغفر الله العظيم يا رب.. نسيت ارتداء الحزام.. الرادار الله لا يوفقه صادني.

نظر شهاب إلى الخلف حيث موضع الرادار. إن هذا الطريق مخدوم كما هو واضح. لماذا يحرصون على وضع هذه الكاميرات الصيادة ويتجاهلون محطات البنزين مثلًا.. خفف الأب من سرعة السيارة قليلًا وهو يقول:

- هذا هو المنعطف الذي قال عليه الشاب في الاستراحة.

دخلت السيارة إلى الطريق الفرعي وناصر يمشي بها ببطء.. كان طريقًا فارغًا تمامًا ليس فيه شيء يمكن رؤيته على اليمين أو الشمال.. فقط طريق يسير وسط الظلمة.. السماء فيها سحب متشابكة وراءها نور أحمر خافت كأن الشفق يسحب آخر جزء منه ليغادر المكان.. لين تضيف على المشهد صوت ألم وحرقة لا بأس بهما.. القطة بدأت تخبط في الكرتون خبطات عنيفة جدًا وسريعة كأنها تريد أن تخترقه وتخرج بأي طريقة.. أخذ شهاب الكرتون ووضعه بجوار الدمية فتضاعفت سرعة القطة وخبطاتها وأصبحت تموء صارخة بألم هي الأخرى مما اضطر شهاب إلى أن يأخذ الكرتون ويعيده إلى جواره.

مرت السيارة إلى جوار لافتة قديمة ومائلة إلى الخلف فلا تظهر لأحد ممن يدخلون لهذا الطريق الفرعي تقريبًا.. لافتة مكتوب عليها «برهوت».. والحديد الذي في اللوحة يحدث صريرًا كلما حركتها الرياح.

قال الأب وهو ينظر بإمعان في الطريق:

- شهاب... انظر عندك في الجهاز.. القرية.. باقي عليها كم دقيقة؟

وبحركة سريعة فتح شهاب جهازه ونظر فيه بعناية.. وكان واضحًا من حركة عينه السريعة وتوتر شفتيه أن في الأمر مشكلة ما.. خرائط جوجل لا تعمل أبدًا رغم أن الإنترنت يعمل بكفاءة وبسرعة.. بيانات الهاتف مفعلة عنده ومتبقي فيها أكثر من نصفها.. لكن سيرفرات خرائط جوجل لا تستجيب أبدًا.. حتى عندما فتح جوجل إيرث لم يحصل على أي شيء.. رغم أن موقع جوجل نفسه يعمل.. هناك شيء ما يبدو يشوش على إشارات الجي بي إس.. لكن شهاب لم يكن سهلًا فيما يخص التكنولوجي.. كان قد حمّل عنده في الجهاز نسخة كاملة من خرائط جوجل لليمن كلها تعمل بدون إنترنت.. وببعض النقرات عرف ما هو الطريق الذي يمشون عليه الآن.. وحدد موقع الطريق الفرعي الذي دخلوا فيه لتوهم.. لكن ضربات قلب شهاب تصاعدت فجأة وتوسعت عينه قليلًا وهو ينظر للشاشة.. لقد وجد الطريق الفرعي بالفعل.. لكن المشكلة أن هذا الطريق الفرعي قصير جدًا لم يكتمل منه حتى كيلومتر واحد.. يبدو أن الحكومة لم تكمله لسبب ما.. وهم الآن يمشون على الطريق لأكثر من ربع ساعة كاملة.

مجرد بعثة..

بعثة استكشافية ذاهبة بكل عتادها إلى بئر برهوت..

نظرة واحدة إلى السيارة المدرعة التي جاؤوا بها تعرفك أن وراءهم تمويلًا ضخمًا.. سيارة هامر ثقيلة مكتوب عليها اسم شركة ما ومجهزة لتحمل أي ظروف ممكنة والخروج منها بسلام.. يعلوها طبق دائري متصل بالأقمار الصناعية لتحديد الموقع وتشغيل الإنترنت بأعلى كفاءة في أعماق الصحاري.. وأجهزة قياس جيولوجية وحبال وعدد لا بأس به من أوعية الوقود الاحتياطية والبطاريات الإضافية ومعدات الحفر والتنقيب والتسلق والتعلق وكل شيء يمكن أن يخطر على البال.

بداخل السيارة أربعة أشخاص وكلب مثل الوحش مكمم الفم حتى لا ينبح ويزعجهم طوال الطريق..

أربعة وجوه مختلفة الطبائع تمامًا.. والجنسيات..

أولهم ذلك الذي يقود المدرعة ووجهه مليء بالجدية يدعى حازم.. مهندس جيولوجي مصري شاب.. له شعر أسود طويل يعقصه فوق رأسه ولحية سوداء أنيقة تحيط وجهه بطريقة منظمة ويملك حاجبين طويلين يعطيانه مظهرًا وسيمًا..

الجميلة بجواره في المقعد الأمامي هي الدكتورة مريم.. تونسية.. دكتوراه في الجيولوجيا.. رقيقة الوجه جدًا تضع نظارات دقيقة تزيدها لطفا.. لها شعر بني ناعم تجمعه بربطة بسيطة وراءها كذيل الحصان.

وفي الخلف الممول ميشال رجل أعمال لبناني يرتدي بذلة كحلية فاخرة لا تتناسب مع هذه البعثة على الإطلاق.. له شعر بني ثقيل ومصفف بعناية وواضح من مظهره أنه ليس شخصًا طيب المعشر على الإطلاق.

بجواره في الخلف حيدر.. دليل يمني.. كل شيء في هيئته تدل أنه ساحر.. كبير السن نوعا.. أملس الوجه تمامًا بلا لحية ويملك صوتا رفيعًا فيه بحة غير مريحة.. ويثرثر كل حين بدون أن يطلب منه.. كان يقول لهم:

- هذا الطريق كريه جدًا عند الشعب هنا.. لا أحد يرتاده رغم أنه مصروف عليه بإسراف.. والحكومة بسبب هذا تكاد تشد في شعرها.

رفع المهندس حازم عينيه إلى المرأة وقال:

- ما الذي يكرهه الناس في الطريق.. ربما قلة محطات البنزين؟

مط حيدر شفتيه وقال بصوته الرفيع:

- الطريق كله مستعمر بالجن.. هكذا قال آباؤنا.. قبائل الجن هنا فوق كل حجر.. لأن الطريق يمر وسط ديارهم ومساكنهم. . أي إنسي يمشي على هذا الطريق لا بد يواجهونه بأي شيء.. أهلنا يقولون إياك أن تقف لأحد في هذا الطريق.. ولو حدث ووقفت سيكون هذا هو آخر يوم ترى الدنيا.

قال له اللبناني بامتعاض:

أساطير مثل هذه تؤخر البشر الألبياء من استكشاف أماكن هامة وفريدة على الأرض.. آخرهم كهف لاويا في الفلبين.. أربعمائة سنة وهم يقولون إنه مسكون بالأرواح وأنهم يسمعون فيه صراخ الضحايا والشياطين.. لم تشجع المستكشفون ودخلوه فاتضح أنه كهف جيولوجي كارستي طبيعي شديد الجمال وأصبح مزارا سياحيًا يدر الأموال.

عدلت دكتورة مريم نظارتها بطريقة اعتادت عليها وهي تقول له:

- سمعت أن هناك بئرا آخر غير هذا تماما اسمه أيضًا بئر برهوت.. وهو في اليمن كذلك.. صحيح؟

قال حيدر:

- نعم ذاك في حضرموت.. ليس بعيدًا من هنا..

قالت له مريم باهتمام:

- أي واحد منهما هو بئر برهوت الحقيقي؟

رد المهندس حازم هذه المرة وقال:

- البئر الذي في حضرموت هو الحقيقي المذكور في الحديث.. النبي -صلى الله عليه وسلم- قال «شر ماء على وجه الأرض ماء في وادي برهوت بقبة حضرموت».. يعني النبي حدد مكانه.. أما هذا الذي نحن ذاهبون إليه اسمه خسف فوجيت.. وقد حدث الخلط لما انتشرت أخبار في الصحف عن «اكتشاف بئر برهوت».. والخبر أصلاً عن البعثة التي جاءت قبلنا إلى خسف فوجيت.

قال الساحر:

- صحيح نعم.. بئر برهوت الحقيقي هو في وادي برهوت في حضرموت.. لكن هذا الوادي أخذ اسم برهوت لأن الأرض نفسها

القديم برهوت وهي أرض واسعة تمتد من حضرموت إلى بئر فوجيت أرض ملعونة كلها.. فيها بلدان بادت وهلكت... خسف فوجيت هنا.. فعندما تسمع الأهالي هنا يقولون بئر برهوت فهذا ليس غلطًا بسبب كثرة القول لكن الغلط حدث لأن الأرض كلها اسمها

قالت الدكتورة:

- لماذا سموه خسف؟

قال لها الساحر حيدر:

- منذ زمن ليس بالبعيد.. سكن هنا على أرض فوجيت قوم من مجرمين وسفاكين دماء.. وكانوا يعبدون ملوك الجن.. وذات يوم نزل بهم العذاب وانقلبت بهم الأرض وانخسفت.. قيل إن بعضهم لا زال يعيش تحت الأرض.. وقيل إن الجن الذين كانوا يعبدونهم هبطت عليهم ملائكة سجنتهم في هذه الأرض الملعونة إلى الأبد فصارت مسجنا لعتادة الجن فلم يخرجوا منها حتى اليوم.. لهذا لا يجرؤ أحد من الأهالي على الاقتراب من هنا..

لم يعلق أحد على كلامه وإن كان قد أثار في نفوسهم شيئا من عدم الارتياح رغم أنهم جميعًا لا يؤمنون بالخرافات.. طال الصمت في السيارة فأراح اليمني الكهل ظهره على المقعد وقال للمهندس حازم:

- سأغفو قليلا.. ما زال الطريق طويلاً.. استمر كما أنت حتى تجد لافتة مديرية شحن.. فإذا وجدتها ادخل بعدها يمينا.. وستدخل القرية التي سنسكن فيها.

ساد مزيد من الصمت لا تسمع فيه سوى صوت زمجرة الكلب التي كان يزداد عصبية كل حين وغطيط الساحر اليمني.. وانشغلت ميشال بالنظر إلى الجوال بينما مريم تسرح بعينها في الطريق وحازم يركز في الطريق وتفلت منه كل حين نظرة خجولة إلى مريم في المرآة يحاول أن يغضها.. كان أسعد يوم عنده حينما وقع اختيار الممول عليها هي بالذات من بين كل الموجودين في قسم الجيولوجيا في المركز البحثي الإماراتي الذي يعملون فيه.

ومضى كثير من الوقت حتى وجد المهندس حازم لافتة مديرية شحن ورأى بعدها بقليل طريقاً إلى اليمين بالفعل.. فدخل فيه بالسيارة.

وبعد دقائق معدودة اكتشف أن الطريق الذي دخله مقطوع.. وأن الحكومة لم تستكمل عمل الأسفلت فيه.. وأن بقيته غير ممهدة بشكل كامل.. لكنه لم يكترث لهذا فالسيارة الهامر من الطراز الذي لا يشعرك باختلاف هذه التضاريس البسيطة..

ورغم أن الخريطة توضح أمامه أن هناك طريقاً هنا بالفعل وأنه يوصل بطريقة ما إلى مديرية شحن.. لكنه كان يشعر أنه أخطأ في شيء ما.. وبالفعل كان قد أخطأ.. فتلك اللافتة التي رآها منذ قليل لمديرية شحن كانت تقول بوضوح إن مديرية شحن باقي عليها 20 كيلومتراً..

أما هذا الطريق المقطوع الذي دخلوا فيه بالخطأ فهو يؤدي لقرية أخرى.. لها لافتة أخرى.. مائلة إلى الوراء لا تظهر للعيان.. لافتة حديدية صدئة مكتوب عليها تلك الكلمة المقبضة.. برهوت..

ربع ساعة من السير الهادئ بالسيارة في ذلك الطريق غير الممهد.. بعدها انتبه المهندس حازم أن نظام الملاحة في السيارة به خلل ما.. الخريطة المتصلة بالأقمار الصناعية تقول له إنه باقي 13 دقيقة ويصل إلى شحن.. لكن هذه الـ13 دقيقة لا تنقص مهما مضى في

الطريق.. حاول إعادة تشغيل النظام في شاشة السيارة فظهرت له نفس المدة.. 13 دقيقة..

قال المهندس حازم:

- دكتورة.. حاولي تشغيل نظام الجي بي إس العادي لديك في الجوال وانظري هل نحن نمشي على الطريق الصحيح أم لا.

نظرت مريم إلى جوالها بضع ثوان وهي تشغل الخريطة وتكبر، ثم قالت:

- نظام الجي بي إس معطل هنا فيما يبدو.. والخريطة الأوفلاين تقول بكل وضوح أننا حالياً في وسط جبل وليس هناك طريق أصلاً.

استيقظ الساحر حيدر من غفوته بسبب وعورة الطريق أو بسبب أصواتهما ونظر حوله بقلق شديد وقال:

- ما هذا.. أين دخلت أنت؟

حكى له المهندس حازم سريعاً ففتح النافذة ونظر منها إلى المكان وأدار رأسه للخلف ليرى ثم قال:

- هذا ليس الطريق.. مديرية شحن طريقها أسفلتي كامل حتى نهايته.. ألم أقل لك أن تنتظر اللافتة.. قف هنا الآن وعد من حيث أتيت.

استعد حازم ليوقف السيارة ويعدل دفتها لكن فجأة صاحت مريم:

- انظروا هناك..

نظر الجميع إلى حيث أشارت..

وهناك.. وأمام أعين الجميع.. كانت توجد سيارة يوكون دينالي مقلوبة على جانبها وتبدو في حالة سيئة جداً.. توقف المهندس حازم

بالسيارة وهو ينظر لليوكون المقلوبة من بعيد بدهشة ثم أفاقه قول الساحر اليمني:

- هيا من هنا.. لا تجعلوا أي شيء يأخذ أعينكم.. حذاري.. نحن في أرضهم..

قالت مريم بانفعال:

- هناك شخص داخل اليوكون.

مد حازم عنقه قليلاً ودقق النظر.. بالفعل كان هناك شخص في السيارة هامد لا يتحرك.. فكت مريم الحزام على الفور واستعدت للنزول فقال لها الساحر:

- إياك.. سيقتلوننا.. نحن في أرض برهوت..

نظر له المهندس حازم وقال:

- هل حقاً تصدق نفسك.. هل أصحابك من الجن عندهم يوكون دينالي موديل السنة؟

حاول الساحر أن يعترض لكن المهندس حازم كان قد فك الحزام هو الآخر ونزل يتبع الدكتورة مريم التي كانت أول من هرع لينقذ من في السيارة..

اقترب حازم ومريم من مقاعد اليوكون المقلوبة والتي تشي بحادث مروع.. كان هناك شخص مستلقياً في المقعد الأمامي ويبدو أنه ميت.. أو فاقد الوعي على أحسن الأحوال..

ولم يكن ذلك الشخص سميناً.. ولا طويلاً أنيق الملبس.. ولا كورياً.. بل كان رجلاً أسود الوجه داكن اللون جداً له شعر طويل بشكل ملحوظ ويستلقي على مقعد السائق في السيارة المقلوبة كأنه ميت..

· · — · ✱ · — · ·

وضعت مريم يدها على رقبة الرجل -

- هناك نبض خفيف جدًا يكاد يتوقف.. لكن حرارة جسمه لا بأس بها.. ما زال هناك فرصة لإنقاذه.. هل يمكننا أن نحمله معنا؟

قال حازم:

- نعم لكن لا بد من حمله بحرص شديد فقد يكون به كسر.. سأذهب لتقريب السيارة.

هرع حازم إلى السيارة ودخلها في لهفة وهو يقول:

- الرجل حي.. يمكننا إسعافه.. ستضطرون للنزول معنا لنحمله.

قال الساحر اليمني:

- لن أنزل من هذه السيارة.. هذا أحد ضحايا برهوت.. إنها رسالة واضحة لتبتعد من هنا...

وقال اللبناني ميشال:

- وأنا لن أحمل أحدًا.. لا وقت لدينا.. إذا كنتم مصرين فأسرعوا حتى لا نضيع يومًا كاملًا.. اليوم هنا بنقود.

وأشعل سيجارته وهو يزفر دخانها في ضيق..

لم يكترث بهما حازم على أي حال وأدار مفتاح السيارة ليقربها لكنه فجأة تجمد مكانه ونظر إلى لوحة السيارة في عدم فهم.. البنزين ينضغط.. لكن السيارة لا تتحرك قيد أنملة واحدة كأنها ثقلت وصارت في وزن الجبل..

صاح الساحر حيدر بقلق:

- ماذا هناك.. ما بها السيارة..

حاول حازم تحريك السيارة عن طريق أي نظام آخر غير الدواسة لكنه فشل ثم فتح باب السيارة ونزل تحتها وهو ينظر إلى العجلات

واحدة بعد الأخرى لعل هناك حجرًا أو شيئًا أمام العجلات يمنع السيارة من الانطلاق رغم أن هذا صعب لأن عجلات الهامر مثل المدرعة تفتت أي شيء.. لكنه لم يجد أي أحجار بالأسفل ولا حتى حصى.

شغل كشاف الجوال وفتح غطاء السيارة ثم نزل تحتها لينظر من الأسفل لعل شيئًا ما انحشر في الماكينة بشكل ما لكن كل شيء كان سلسًا.. ولا شيء يعطل أي شيء.. حاول تحريك السيارة عدة مرات بالضغط على الدواسة لكن لا فائدة.. فقط يرتفع صوت البنزين وتحاول السيارة تحريك نفسها كأنها تحاول تحريك جبل من الحديد.. بدا له أن هناك شيئًا ما في كمبيوتر السيارة فنادى على مريم وأشار لها حتى تأتي بسرعة وقال وهو ينظر للسيارة:

- اللعنة على هذه الآلات العملاقة الغبية.

كانت مريم خبيرة في الإلكترونيات والبرمجة وهي التي جهزت نظام السيارة لهذه الرحلة منذ البداية.. فأخرجت جهاز اللابتوب ووصلته بالسيارة على الفور فأخرج لها كل بياناتها.. كل شيء ممتاز.. كل شيء مثل الجديد.. لا توجد قطعة في السيارة فيها عطب.

وبينما هما يتحركان حول المدرعة ويكشفان عليها يمنة ويسرة.. فتح الرجل الأسود عيناه..

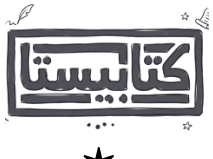

الفصل الثاني

على حدود برهوت

في جانب من وادي برهوت كانت سيارة العائلة اليمنية تجري في طريق ممدود وسط الظلام وولدهم شهاب ينظر إلى اللابتوب بذهول تام حتى كادت عيناه من اتساعهما تمس جدار النظارات.. الخريطة أمامه فيها جبل صخري صلد كبير متشعب أمام وجوههم بينما هم يسيرون الآن في طريق صحراوي ليس به أي جبال.. وآخر تحديث للخريطة كان منذ يومين.. حتى لو كان آخر تحديث هذا منذ شهر أو حتى من مئة سنة.. يستحيل أن يختفي جبل هكذا ويحل محله طريق.

قطع أفكاره فجأة قول والده بصوت مرتاح:

- قلت لك يا شهاب.. هذه الإلكترونيات عادة تخرف في الأماكن البعيدة.. ها هي ذي القرية أمامك.

نظر شهاب من النافذة إلى ما هو بوادر قرية ستظهر بعد قليل بالفعل.. كان هذا واضحًا من المباني التي بدأت تظهر على اليمين والشمال والشارع الذي صار أكثر نعومة.. زادت الدهشة في عقل شهاب لكن ظهور المباني أدخل الاطمئنان على قلوب الجميع.. إلا الصغيرة لين التي كان بكاؤها مستمرًا لم ينقطع منذ لقطة القرود.

كانت تشد قميص والدها وتشير بيدها إلى الخلف باكية.. كانت هذه طريقتها التي تستعملها إذا خرجوا من المنزل وهي تريد العودة.. قال لها شهاب:

- نحن نحتاج إلى البنزين يا لين.. سنملأ السيارة ثم سنعود على الفور إلى البيت.

لم يكد ينهي جملته حتى ظهرت محطة بنزين على جانب الطريق.. خفف الأب ناصر من السرعة ودخل إلى المحطة التي كانت فارغة تمامًا كما يبدو من النظرة الأولى.. قال الأب:

- شهاب انزل وانظر هل هناك من أحد هنا.

نزل شهاب من السيارة ونظر يمنة ويسرة وتحرك مشيًا إلى المباني الظاهرة في المحطة لكن كل شيء كان صامتًا ولا أثر لبشر في الجوار.. ماكينات ملء البنزين تبدو قديمة لكن ليس عليها غبار مما يدل أن المكان ليس مهجورًا..

عاد شهاب للسيارة وقال:

- للأسف لا يوجد أحد هنا.. يبدو أنهم أغلقوا اليوم.

قال الأب ناصر:

- لا بأس.. سنجد أحدًا في القرية نملأ من سيارته بالخرطوم.

دخلت السيارة إلى القرية التي كانت مظلمة لا نور فيها.. موحشة لا بشر فيها.. أو هكذا كان يبدو من النظرة الأولى.. لكن النظرة المدققة تخبرك أن هناك سيارات بجوار البيوت.. وهذا يعني وجود بشر.. لكن

لم يكن الوقت متأخرًا جدًا حتى تخلو شوارع القرية بهذا الشكل.. فلم تتجاوز الساعة الثامنة مساء.

مشى ناصر بالسيارة ببطء وهو يبحث بعينه هنا وهناك عن أي إنسان يمشي حتى وجد شابين يمشيان في مكان غير بعيد فتحرك بالسيارة إلى ناحيتهما وتوقف عندهما وفتح نافذته قائلاً بطريقة ملاطفة:

- السلام عليكم يا شباب.. ما بال هذه القرية.. هل هناك أحد يسكن عندكم؟

نظر الشابين إليه وظهرت ابتسامة عريضة على وجهيهما.. ابتسامة من ذلك الطراز الذي يكون من الخد إلى الخد.. وقال أحدهما وهو يقترب:

- إن قريتنا هذه ميتة.. لكن مجيئكم أحياها.

قال له ناصر:

- هذا من حسن ذوقك.. نحن انقطع منا البنزين.. أليس عندكم سيارة يا شباب؟

نظر الفتى إلى صاحبه ثم قال بنفس الابتسامة الواسعة:

- لا نعرف قيادة السيارات.

قال له ناصر وهو ينظر حوله:

- متى ينام الناس هنا يا ولدي؟ الوقت ما زال مبكرًا جدًا ولا أحد بالجوار.

أطلق الفتى نظرة إلى البيوت ثم قال:

- سيخرجون بعد قليل.. نحن عادة نستيقظ لأجل الضيوف.

سأله ناصر:

- ألا يوجد محطة بنزين قريبة لديكم غير تلك التي في أول القرية؟

قال الفتى وهو ينظر داخل السيارة بنظرة طويلة:

- المحطة ستعمل بعد ذهاب الليل... يمكنكم أخذ أنفاسكم في الفندق القريب نهاية هذا الشارع.. طريقكم يبدو طويلاً.. وسترتاح الصغيرة هناك من هذا البكاء.

شكره ناصر كثيرًا وأغلق النافذة وانطلق بالسيارة.. كانت الأم تضع يدها على قلبها وتقول:

- ناصر.. إن قلبي مقبوض.. لست مرتاحة لهما ولا للمكان كله.

قال ناصر:

- لا عليك عزيزتي.. لقد كانا ودودين.

قالت له:

- لا يخيفني إلا الأشخاص الودودين أكثر من اللازم.. البلدة تبدو مسكونة..

ابتسم ناصر بزاوية فمه ولم يعلق.. كان رجلاً علمته الحرب أن أمور الجن هذه كلها هراء وأن الخطر الحقيقي هو من ابن آدم الذي خرب هذه الأرض ودنسها.. وكانت هي تنظر حولها في توتر ثم تنظر إليه كل حين لتطمئن.. فلا شيء في هذه الدنيا كان قادرًا على إدخال الطمأنينة إلى قلبها إلا أنه معها.

ظهرت لوحة مائلة على أحد المباني تدل على انه هو الفندق الذي كان يقصده الشاب.. ولم يكن فندقًا بالمعنى المفهوم بل مثل استراحة متهالكة من دور واحد تكون للمسافرين خاصة أن البلدة قريبة من الحدود.. ولم تكن هناك أي سيارة حول المبنى.. أوقف ناصر سيارته عنده ونزل الجميع منها.. لم يكن شهاب أيضًا مرتاحًا.. هذان الشابان وطريقتهما في الحديث.. وابتسامتهما..

دخلت العائلة إلى الفندق وهم يحملون بعض أغراضهم.. كان فندقًا متواضعًا تمامًا مثل حالته من الخارج.. وجدوا على الاستقبال شابًا وسيمًا قام لهم ببطء وهو ينظر لهم بابتسامة كبيرة من الخد إلى الخد ويقول:

- أسفرت الأنوار.

انشغل ناصر في الحديث مع الرجل وشهاب والأم يجلسان على أقرب مقعد بينما ظلت الفتاة لين واقفة تأبى الجلوس.. كان قلبها يخفق بقوة وهي تنظر إلى رجل الاستقبال الذي كان يتحدث مع والدها ويطلق كل حين نظرة إلى الدمية التي يظهر رأسها من الكيس الذي يحمله الأب.. ثم أدار الرجل رأسه وسط الحديث ونظر إليها هي بابتسامة.. ساخرة.

· · — ·✶· — · ·

كثير من الألم كان ينخر في عظام مفلح وهو يتلوى داخل اليوكون.. لم يكن يصدق أنه بقي حيًا بعد كل هذه الانقلابات والصدمات داخل السيارة.. ربما أنقذته سمنته التي يتنمرون عليها كل حين.. وبرغم الألم الذي يضرب في كل جوانبه إلا أنه وجد نفسه قادرًا على تحريك نفسه والخروج من السيارة المقلوبة بشيء من الجهد.

كان لا زال يتذكر ما حدث قبل ثوان من الحادث.. تلك المرأة ونظراتها إليه واقترابها من وجهه في عز الانقلاب.. كانت شيطانة رجيمة تشمت بهم في لحظاتهم الأخيرة ولم تكن بشرية بأي حال من الأحوال.. أدخل هذا الخاطر على قلبه رعبًا لا حدود له فبذل مزيدًا من الجهد وهو يخلص نفسه من السيارة كأنه يشعر بالمرأة ما زالت على الكرسي الذي بجواره.

فوجئ بصديقه ياسين واقعًا أسفل مقود السيارة في وضع شديد الصعوبة وزجاج السيارة مفتت حوله في كل مكان.. مد يده من خارج

النافذة وحاول إيقاظ صاحبه والصراخ باسمه مرارًا لكنه لم يكن يستجيب مهما فعل.. كان هذا يعني أن صديق المدرسة الوحيد قد مات غالبًا.. وصديقه الكوري الآخر غير موجود في السيارة رغم أن التابلت الخاص به واقع أسفل المقعد وشاشته محطمة.

شعر بأنفاسه تتلاحق بسرعة من الرعب والحزن وأصبح يجر قدمه جرًا وهو يبتعد عن السيارة لعله يجد أي معونة من هنا أو هناك.. لم يكن أمامه سوى المشي بقدميه على الطريق غير الممهد الذي بدا كأنه خط أسود وسط هذا السواد.. شغل كشاف جواله وتحرك في الطريق وهو ينظر يمنة ويسرة كل حين في رعب.. كان يشعر كأن جميع أنوع الجن يدورون حوله في هذه اللحظة.. وأنهم سيهبطون أمام وجهه من أي ظلمة من هذه الظلمات.

مشى مفلح طويلًا بلا هدى تتخبطه الأفكار المرعبة حتى توقف من شدة الخوف.. بعد ربع ساعة من المشي شعرت ركبتيه بالشلل وأن هذا الطريق لن يوصله إلى شيء سوى موته.. إن لم يقتله الجن هنا فسيقتله الخوف.. فقرر العودة إلى السيارة والبقاء فيها حتى يأتي أحد ما.. أو لا يأتي.

خطوات العودة كانت أكثر سرعة.. أقرب إلى الركض الحثيث الذي يدفعه وقود الخوف.. نصف ساعة كاملة من الخطوات اللاهثة ولم يصل إلى السيارة.. ولا لأي مكان.. فقط مزيد من الطريق يتكون أمام بصره كأنه لا ينتهي.. ولم تكن هناك أي تفرعات للطريق حتى يقول إنه أخطأ..

ألوان من الرعب بدأت تتكون فوق نفسه اللاهثة.. فتح جواله على الخرائط لعله يعرف المسار الذي يجب أن يمشي فيه فوجد نظام الجي بي إس لا يعمل.. وضع مفلح يده فوق رأسه وهو يمسح عن جبينه عرقًا متوترًا مذعورًا.. حاول الاتصال بالكوري أو أي رقم آخر من أهله لكن

هناك مشكلة في الشريحة كما يبدو.. والواتساب يخرج له رسالة خطأ طويلة لم يعتن مفلح بالتركيز فيها..

هداه عقله أن يفتح تطبيق الخريطة السوداء اللعين الذي جاء بهم إلى هنا.. فقد تذكر أن الكوري قال إنه يمكنك أن تفتح لايف في التطبيق لعل أحدًا يساعدك.

وبالفعل شغل مفلح التطبيق وفتح لايف مباشرة دون تردد.. وحمد الله في قلبه أن الإنترنت يعمل هنا بكفاءة رغم أن هذا غريب نوعًا ما في صحراء..

ظهرت صورة مفلح بالكاميرا الأمامية في اللايف وهو يمسك الجوال في فزع واضح وعينه تنظر كل حين إلى العداد الذي يخبره بعدد المشاهدين الذين دخلوا على اللايف.. وخفق قلبه وهو ينظر إلى العداد يشير إلى أن هناك أناس بدؤوا يدخلون بالفعل.. أسرع مفلح يقول من بين توتره بصوت متقطع وهو يلهث:

- ساعدوني يا شباب.. حصل هنا.. حادث... انقلبت اليوكون.. لو كنتم تروني... ساعدوني... هذا المكان القريب من بئر برهوت.. لقد رأيتها بعيني.. جنية ركبت معنا.. اطلبوا النجدة يا ش..

أرجوكم أن يتحرك أحد.. هذا الطريق أمشي فيه لا ينتهي..

بدأت التعليقات تظهر على اللايف وعينه تكاد تدمع وهو ينظر إليها.. كان الناس يتعاطفون معه.. التعليقات من طراز «هذا المكان الذي يقولون عنه في اليمن».. «واضح أنه مكان ملعون».. «أخبرنا ما حكاية هذه الجنية»..

كان يقول وهو يمشي في الطريق وهو يستجمع نفسه:

- شباب.. اطلبوا النجدة.. فقط... كفوا عن الحديث.. نحن مقطوعون.

ظهر تعليق ساخر يقول: «هذا الأبله واضح أنه راعي أغنام أصابه الملل»،

وتعليق آخر: «تمثيلك فاشل يا عزيزي».

وآخر يقول: «لا تتنمروا عليه ربما يكون في مشكلة».

ثم تعليق بعده: «هذا راعي أغنام.. انظروا للأغنام التي وراءه».

نزل قلب مفلح أسفل قدميه وكاد يسقط من طوله وهو ينظر إلى الشاشة إلى ما يتحدثون عنه ثم يلتفت وراءه في رعب..

وبالفعل.. كان وراءه قطيع كامل من الأغنام يتحركون بطريقة عشوائية بلا صوت على الإطلاق.. لم تتحمل قدما مفلح المزيد فسقط على الأرض وهو يبتعد بذعر عن القطيع.. لم يكن من المنطقي ألا ينتبه إلى قطيع كامل من الأغنام يقترب منه.. لا صوت ولا رائحة.. كانوا يقولون إن سمعه ليس على ما يرام.. لكن أين الرائحة.. لا توجد أغنام على وجه الأرض ليس لها رائحة.

كان واضحًا من حركة الأغنام أنها سارحة بلا راعٍ ولها قرون تبدو مخيفة في هذا الظلام.. لكنها فجأة عملت شيئًا انعقد له لسان مفلح من الفزع.. بدأت تتحرك يمينًا وشمالاً مبتعدة عن بعضها في توتر واضح كأنها تصنع بينها طريقًا.. أو أن شيئًا ما يمشي في وسطها.. ويتجه نحو مفلح.

· · — · ✶ · — · ·

على جانب الوادي كانت البعثة الاستكشافية الخاصة ما زالت متعلقة في معضلة عجلات المدرعة التي تأبى الدوران بكل طريقة.. نزل ميشال اللبناني من المدرعة وتبعه الساحر اليمني وهما ينظران إلى العجلات..

قال ميشال وهو يشعل سيجارته:

- أهذه هي السيارة التي غنيت لي فيها قصائد مدح حتى جعلتني أصرف فيها ملايين.. ها هي فشلت قبل حتى أن نتحرك.

لم يرد عليه المهندس حازم وهو ينظر إلى العجلات وعقله يحاول عبثًا أن يجد أي تفسير علمي يمنع سيارة كهذه أن تحرك عجلاتها رغم أن كل شيء فيها سليم.. قال ميشال وهو ينفث دخان سيجارته وينظر إلى جهة الرجل الأسود:

- يبدو أن صاحبكم استيقظ.

التفت المهندس حازم ومريم إلى الرجل الأسود الراقد في السيارة والذي كان فاتحًا عينيه مميلاً رأسه بطريقة غير مريحة..

اقترب حازم ومريم من الرجل في لهفة .. كان واضحًا من حالة عينيه أن فيهما مرضًا ما .. كانا مغبرتين فيهما كثير من الصفار.. انحنى إليه المهندس حازم وهو يضع يده على كتفه قائلاً:

- سيدي هل يمكنك التحرك؟

لم يرد الرجل وظهر شرود على عينيه.. ثم قال بصوت واهن مبحوح:

- لا فائدة.. سأموت هنا.

قالت له مريم بتأثر:

- أنت عدت إلى وعيك.. هذا يعني أن هناك أملاً كبيرًا.

أخرجت جوالها لتتصل بالإسعاف ونادت على اليمني الساحر قائلة:

- أستاذ حيدر.. تعال اتصل بالإسعاف من هنا وصف لهم المكان.

أخذ اليمني الجوال وهو ينظر إلى الرجل الأسود بشيء من الريبة وطلب رقم الإسعاف.. رد عليه الرقم على الفور من الرنة الأولى قائلاً:

- تفضل الإسعاف معك.

أسرع اليمني يصف الحالة وكيف أنهم مقطوعون في الصحراء والسيارة لا تتحرك وهناك شخص يكاد يموت وأنهم بحاجة إلى إسعاف وإلى نجدة تنقذهم من هنا.. قال موظف الإسعاف:

- هل تسمعني.. الإسعاف معك.. لا يمكننا سماعك.

كان اليمني يتحرك ويدور في المكان لعل المشكلة تكون في الشبكة لكن لا فائدة.. لم يكن الطرف الآخر يسمعه على الإطلاق.. أغلق اليمني الخط وحاول الاتصال من جواله هو.. وحدث نفس السيناريو بالضبط.. صوته لا يصل مهما صرخ ومهما تحرك.

كان الرجل الأسود يقول لحازم بإعياء:

- ما أنا سوى دليل محلي لرحلة شبابية جاءت لزيارة البئر.. انقلبت بنا السيارة ولا أدري أين هم..

قال حازم له يطمئنه:

- لا تقلق.. نحن نتصل بالإسعاف الآن.

قال الرجل:

- لا تضيعوا الوقت في انتظار الإسعاف.. سأموت قبل هذا.. فقط أخبروا أهلي.. هم أولى بي.

قالت له مريم:

- أين هم أهلك؟

أشار الرجل الأسود إلى جهة معينة وقال:

- هناك.. قريتنا ليست بعيدة.. أخبروهم أني مت هنا.. وسيساعدونكم أيضًا في..

لم يكد الرجل يتم كلمته حتى غاب عن الوعي ثانية وغمضت عينيه في وهن..

كان الساحر اليمني قد يئس من الإسعاف فقال لمريم وهو يعطيها جوالها:

- هناك شيء يمنع الإسعاف من سماعي تمامًا رغم أني أسمعهم بوضوح وكذلك اتصلت بالنجدة والشرطة.. هناك مشكلة في الشبكة هنا.. جربت الاتصال من جوالي أيضًا.

أطلق ميشال سبة وهو يمد يده إلى مفتاح السيارة اليوكون المقلوبة يحاول تشغيلها لعل عجلاتها تدور فيدفعونها لتعتدل ثم يستخدمونها للخروج من هنا.. اشتغلت السيارة بلا مشاكل لكن العجلات أيضًا كانت تأبى الدوران بكل طريقة..

وقع قلب المهندس حازم.. هناك سيارتان حديثتان لديهما نفس المشكلة على نفس الأرض.. المنطقي أن تكون المشكلة في الأرض.. وليس في السيارتين.. لكنه لا يعرف شيئًا في كل العلوم التي درسها يمكن أن يجعل أرضًا تؤثر على عجلات سيارة أي نوع من التأثير.

أشار الساحر اليمني بطريقة خفية للمهندس حازم ليقترب منه فقال له بصوت خافت:

- اسمعني ربما أنت لا تصدق بهذه الأمور لكن دعنا نخرج من هنا مشيًا إلى الطريق الذي جئنا منه.. ولا تسمع لذلك الإنسان الأسود هناك فهو ليس يمنيًا.. بل ليس إنسيًا أصلاً.

كان ينظر إلى الرجل الأسود فوجده غائبًا عن الوعي فأكمل حديثه الخفي للمهندس:

- نعم نحن لدينا يمنيون سود البشرة.. نسميهم الأخدام.. لكنهم لا يعيشون هنا.. ولا يكون لهم شعر منسدل ناعم هكذا بل شعرهم يكون خشنًا مثل الأفارقة.. خذ الدكتورة وتعال نخرج جميعًا من هنا.

· · — · ✶ · — · ·

لم ينتظر مفلح أن يكتمل تباعد الأغنام حتى النهاية.. هرمون الخوف أطلق في جسده جميع حوافز الفرار للركض بأقصى سرعة.. لم يعد يفكر في معنى صمت الأغنام وغياب رائحتها.. فهناك شيء غير مرئي يسير وسطها ويفرق صفوفها ليصل إليه هو.. تعثر مفلح عدة مرات أثناء الركض بسبب وزنه وقلة لياقته.. لكنه في كل مرة كان يقوم من الأرض كالملسوع ويواصل الركض وهو يحمل الجوال في يده كالكشاف ليرى طريقه.

كان الناس في اللايف ما زالوا يتجادلون لكن مفلح أغلق اللايف بالخطأ بينما كان يسقط ويستعيد التوازن..

وفجأة سمع وراءه صوت قطيع الأغنام الشيطانية.. لم يكن صوت حناجرهم.. بل صوت أقدامهم تركض ناحيته كأن الشياطين تلبست وجوههم.. التفت مفلح بشكل فطري ثم انطلق هاربًا بأقصى ما يحتمله جسده المترهل.. وعلى عكس المتبادر للذهن فسرعة الأغنام الراكضة لا تصدق.. فما هي إلا ثوانٍ ولحقت الأغنام بمفلح وصدمته وداست على رأسه بعشرات الحوافر.. كان يضع يده على رأسه ويصرخ من الفزع والألم.. ولولا أن كثيرًا من الأغنام كانت تتجاوزه أو تقفز من فوقه لأصابه تهشم حاد في الجمجمة.

تجاوزته الأغنام واستمرت في الهرب بعيدًا عن المكان حتى غاب صوت أقدامهم في الأفق.. تحامل مفلح على نفسه بصعوبة رغم الدوار الذي يفتك برأسه ونهض على ركبتيه وهو ينظر للناحية التي جاؤوا منها برعب أكبر.. فبالرغم من أن كل شيء في هذه الأغنام يدل أنها متلبسة بشياطين.. لكنهم لا يركضون بهذا الفزع إلا من شيطان أشد فتكًا..

وفي وسط الألم والدوار وضوء الكشاف الخافت.. رأى شيئًا يزحف هناك في الظلام..

اهتز قلب مفلح بلا هوادة وهو ينظر إلى ماهية هذا الشيء الذي يزحف ببطء، ثم تحول فزعه هذا كله إلى دهشة.. ثم إلى خوف متضاعف.. فذلك الشيء هناك لم يكن ثعبانًا أو زاحفًا من الزواحف.. بل كان رضيعًا متلحفًا بالأغطية الحمراء يزحف في بطء.

ارتجفت جوانب مفلح.. كان يعرف هذا الرضيع جيدًا.. بهذه الأغطية الحمراء اللعينة.. إنه رضيع تلك المرأة.. أهو الذي صنع كل هذا الفزع؟

لم يكن عقل مفلح جاهزًا للتفكير.. فقط شد على كيانه كله وقام من رقدته وهرع يركض من المكان بعيدًا كما ركضت الأغنام.

لكن عدم تركيزه والغشاوة التي صنعها الدوار في بصره جعلاه يتعثر بعنف في غصن كبير ملقى وسط الطريق فانقلب على رأسه وتأذت قدمه بشدة ونزف منها الدم..

نزل مفلح يتقلب على الأرض من شدة الألم.. وبدل أن ينظر إلى قدمه المجروحة نظر إلى الرضيع الذي كان ما زال يحبو ناحيته ببطء حتى وصل إلى الغصن..

حاول الرضيع تجاوز الغصن ولم يستطع.. فأصدر بعض التعبيرات والهمهمات البريئة وهو يحاول التسلق بلا فائدة.. أخذ مفلح يبتعد زاحفًا وهو يجر قدمه الثقيلة.. وفجأة سمع صوت امرأة يدوي من بعيد..

كانت تغني ببطء بأهزوجة يمينة قديمة لتنويم الأطفال..

«هوو واي.. يا هوو واي..»

« يا هوو واي»

«وابدع رمانية.. رمانية..»

«واخوتي ثمانية.. ثمانية»

بدا صوت المرأة واسعًا يأتي من اللا مكان..

كان الغناء يقترب وبلهجة يمنية قديمة يدوي في الأفق..

«وابدع رمانية.. رمانية..»

«هوو واي.. يا هوو واي..»

اندفعت جميع دفعات هرمون الخوف الباقية في عروق مفلح.. لم يكن الرضيع هو الذي يفزع هذه الأغنام ويفرق صفوفها.. بل كانت هي..

رأى ظلها ظاهراً في الأفق وهي تمشي تحت ضوء القمر..

قام مفلح كالملسوع وتحامل على جرحه وألمه وكل شيء وجرى بقوة وهو يعرج.. والمرأة لا زالت تمشي هناك وتتلو بلهجتها القديمة..

«هوو واي.. يا هوو واي..»

قال المهندس للساحر اليمني بلهجة حاسمة:

- كف عن طريقتك الأسطورية في الكلام.. إذا أردت أن تخرج من هنا فاذهب.. الطريق مفتوح.. لم نعد بحاجتك.. هذه المهمة انتهت قبل أن تبدأ.

رد عليه الساحر وقال بصوت مسموع:

- فليكن أنا سأخرج من هنا إلى الطريق الرئيسي الذي جئنا منه.. وسأشير لأي سيارة ذاهبة إلى مديرية شحن.

قال المهندس حازم:

- ضع في حساباتك أنك حتى تخرج إلى الطريق ستحتاج لساعتين من المشي على الأقل.. بينما يقول هذا السيد إن قريته قريبة.

قال الساحر اليمني:

- أنا ولدت في هذه الأنحاء وأقول لك لا توجد قرى هنا.

قالت دكتورة مريم:

- أنا سأبقى هاهنا بجواره.. إن أدرك المصاب يمكن إنقاذها.

تحرك ميشال اللبناني إلى ناحية الساحر اليمني وهو يقول:

- سنذهب من هنا.. لو كان هناك شيء واحد نفعله، فإنه اليوم أيها اليمني فهو العودة إلى الطريق وطلب النجدة من شحن، أما القرية التي يقول عنها هذا الرجل فبأي نجدة تلك التي يمكن أن نجدها في قرية مقطوعة.. هذه السيارة تحتاج لمهندسين يصلحونها أو ونش يحملها.

مشى الساحر اليمني مع ميشال عائدين إلى الطريق الرئيسي متتبعين آثار العجلات على الرمال حتى غابوا عن الأعين تمامًا.. نظر لهم حازم وهو يمط شفتيه ثم نظر إلى مريم وقال:

- لا بأس سأذهب أنا إلى قرية هذا الرجل.. لعلنا نخبر أهله عنه.. هذا أهم شيء الآن.. فقد انتهت مهمتنا هنا.. على الأقل نفعل شيئًا إنسانيًا.. ابق أنت هنا فهذه الصحراء خطرة ولا آمن عليك لو أخذتك معي من لدغة ثعبان أو هجمة ذئب.. ولا تحاولي تحريك هذا الرجل فهو متصلب بطريقة تظهر أنه مكسور.

ابتسمت مريم وهي تقول:

- فليكن أنا سأبقى هنا بانتظارك.. وسأمحو برنامج السيارة وأعيد تنزيله بالكامل من الإنترنت ربما نصل إلى شيء.. انتبه لنفسك يا حازم..

نظر لها حازم لحظة ثم ابتسم في سرعة وذهب ليفتح صندوق السيارة المدرعة وأخرج الكلب المتوحش المكمم والذي كان في أشد

حالاته عصبية وحازم يبعد خطام الكلب الموضوع على فمه فأطلق نباحاً عالياً ظهرت فيه أنيابه وحازم يشده بالحزام بقوة وهو يقول لمريم:

- سأخذ هذا الوحش معي.. لربما يحميني من ذئاب الصحاري.. ادخلي في السيارة المدرعة وأوصدي أبوابها ولا تخرجي منها لأي سبب.. وهناك مسدس وذخيرة في السيارة.. في الدرج هنا.. نحن لا نأمن المكان.. فهذه الشمس قد بدأت رحلة المغيب.. وسيهجم عليك الليل.. هل تعرفين طريقة استخدام المسدسات أم أعلمك.

قالت مريم وهي تتذكر أيام نادي الرماية التونسي الذي كانت منضمة إليه:

- نعم أعرفها تمامًا لا تحمل همًا.. أنا رامية.

نظر لها حازم بإعجاب لم يستطع أن يخفيه هذه المرة.. وابتسمت هي حرجًا وتشاغلت ناظرة إلى الرجل الأسود وقالت له:

- لا تقلق.. سيأتي أحباؤك.. لا تتحرك أي حركة فتزيد التعب على نفسك.

قامت مريم ودخلت إلى السيارة المدرعة.. وتحرك حازم مع الكلب متوجهًا إلى الطريق الذي أشار له الرجل الأسود..

دقائق مرت ثقيلة والشمس تهبط وتبدلت الأجواء إلى الظلمة شيئًا فشيئًا.. والكلب يتحرك في عصبية وينبح كل حين.. وحازم يسيطر عليه بصعوبة.. حتى أظلمت الدنيا.. والظلمة في الصحراء تعني السواد القاتم.. شغل حازم كشافًا كان قد أخذه من معدات السيارة فأضاء له الطريق إضاءة لا بأس بها.. واستمر يمشي وهو يتتبع الطريق..

فجأة تغير نباح الكلب وأصبح أكثر عدائية وغضبا وسرعة.. كان يطلق النباح وهو يدور يمنة ويسرة بشكل جنوني كأنه يرى شيئاً خفيًا.. ثم توقف الكلب مكانه وهو يطلق نفس النباح العصبي وحازم يشده ليتحرك لكنه رفض فجأة أن يخطو خطوة واحدة زائدة في الطريق.. لم يكن هذا معتادًا من الكلاب البوليسية.. كان يرفض أن يتجاوز حدًا معينًا.. رغم أنه يجري بعصبية لكنه يمتنع تمامًا إذا شده حازم ليخطو خطوة واحدة إلى الأمام.

بدأت الخواطر المرعبة تخطر على قلب المهندس حازم وهو ينظر إلى الكلب في حيرة ثم ينظر حوله.. هذا الكلب يبدو خائفًا.. أو ربما هو سلوك تحذيري..

انقبض قلب حازم قبضة الخوف عندما بدأ نباح الكلب يتحول إلى الزمجرة الخافتة وهو يطأطئ رأسه على الأرض ويصدر عواء مطيعا ورقد على الأرض في خضوع واضح مفاجئ غير مبرر من وحش مثله.. كأنما رأى الشيطان ذاته.

· · — · ✶ · — · ·

كان صوت المرأة ناعمًا وهي تغني تلك التهويدة للأطفال..

«هوو واي.. يا هوو واي..»

صوت أنثوي ناعم يتسرب إلى جوانب النفس كما تتسرب الحية اللادغة.. وإن من النعومة ما قد يرعب أكثر مما تفعل الخشونة.. لذا كان مفلح يركض.. رغم كل اللهاث والإرهاق الذي فيه.. وظل يركض حتى بدأ الصوت يخف تدريجيًا.. واستمر الصوت يخف حتى انتهى تمامًا.. وسقط مفلح على الأرض منهكًا من أثر الجهد لا يكاد يقدر حتى على التقاط أنفاسه.

دقائق مرت من اللهاث وقلبه يهدأ شيئًا فشيئًا ويطمئن إلى عدم ظهور الصوت مرة أخرى.. رفع رأسه وسط إرهاقه ينظر إلى المكان الذي وصل إليه..

وجد نفسه في مكان به شجيرات متناثرة وشق طويل جدًا في الأرض مثل مجرى سيل.. وقرص القمر يبرز على استحياء من وسط السحاب الأسود ليلقي على المكان قليلاً من الضوء.

جلس مفلح يلتقط أنفاسه وأسند ظهره على صخرة بالجوار ورفع رأسه إلى السماء في ألم.. ثم أخرج جواله ينظر إليه واطمأن لما وجده سليمًا بعد كل هذه الصدمات والسقطات.. فتح الجوال بيد مرتجفة وشغل برنامج الخريطة السوداء ودخل على اللايف الذي فتحه منذ قليل لعله يجد أحدًا ما له عقل في هؤلاء الغوغاء يمكن أن يكون قد صدقه وتحرك لطلب المساعدة..

لكن التعليقات كانت قد توقفت مع توقف اللايف سريعًا.. لم ير سوى تعليق واحد يشير عليه أن يستخدم المساعد الذي يعمل بالذكاء الاصطناعي في البرنامج.. فقد عاون الكثيرين في الهروب من أزمات كثيرة في أماكن أخرى في العالم..

كان مفلح يكره هذا الشيء ويسميه الجبت كما يقول لأصحابه دائما.. لكنه فكر أن يفتحه الآن.. لعله على الأقل يطلب منه الاتصال بالمساعدة.. لربما يستجيب هو بدل هؤلاء الحمقى.

تحركت أصابع مفلح على التطبيق وشغل المساعد الصوتي واستجمع نفسه ثم قال بإنهاك:

- مرحباً أيها الجبت اللعين.. أسرع واطلب لي النجدة.. أنا في ذلك المكان قرب برهوت.. لقد سجلنا الدخول نحن الثلاثة.. مفلح

وياسين وهتان.. جئنا هنا بسيارة بوكون دينالي 2025 سوداء.. اطلب جميع الأرقام الممكنة أو اتصل بمن يطلبها ولا تضع الوقت.

قال المساعد بصوت إلكتروني يبدو كالحقيقي تمامًا:

- أهلاً مفلح.. دمت بأمان.. سيتم طلب جميع السلطات المختصة على الفور.. الشرطة اليمنية والإسعاف الفوري.. تم تحديد موقعك في البلدة المسكونة في أرض برهوت.. جاري طلب المساعدة..

نظر مفلح إلى الجوال وكثير من الأمل يتكون في صدره.. خاصة عندما كتب له البرنامج بعد دقيقة واحدة أنه تم الاتصال بالجهات المختصة.. وتم إرسال التفاصيل كلها.. وسيتم محاولة تحديد مواقعكم عبر جوالاتكم الآيفون.. ويمكنك ريثما تصل المساعدة أن تسأل لي عن أي خطر يلاحقك.. وسأساعدك بالمعلومات اللازمة..

اعتدل مفلح في جلسته المنهكة وهو ينظر حوله ثم بدأ يسجل للبرنامج ما حدث له باختصار شديد منذ البداية.. أخذ البرنامج بضع ثوان في تحليل كلام مفلح ثم قال له صوتيًا:

- الوصف الذي تحكيه ينطبق تمام الانطباق على جنية شديدة الخطورة.. نوع من الجنيات هن الأكثر توحشًا بين نساء الجن.. تظهر الواحدة منهن غالبًا في شكل عجوز أو امرأة جميلة.. تكون عادة بجوار المستنقعات أو البرك.. الترع أو الأنهار.. أي مسطحات مائية عمومًا.. تدعو الرجال بعدة طرق مخادعة حتى يذهبوا إليها فتنهي حياتهم ويختفون بعدها إلى الأبد.. وأرض برهوت هي صحراء جبلية فيها عدد كبير من الهضاب والوديان والسهول مما يجعل المستنقعات تنتشر بينها وتظل وقتًا طويلاً بعد هطول المطر.. والأمر ليس مقصورًا على منطقة واحدة.. بل إن كثيرًا من شعوب الأرض من شمالها إلى جنوبها رأوا هذا الفصيل من الجنيات.. حتى إن لها عند كل شعب اسم.. في ريف مصر يسمونها الـ نداهة.. وهي نفسها روسالكا الروسية المتوحشة وبورونا المكسيكية من حيث المبدأ.

زاد هذا الكلام من رعب مفلح وهو يجفف عرقاً بدأ يتكون على جبينه وقال بارتعاب:

- نحن وقفنا نساعدها فقط.. لم نستجب لأي دعوة.. ولماذا أنا دون عن الجميع.

قال المساعد:

- طلبها للمساعدة هو في حد ذاته دعوة.. والشخص الذي شجع على قبول الدعوة منكم هو ضحيتها..

فجأة تجمدت أطراف مفلح كلها وهو يسمع صوتاً من نوع آخر صوت قريب قادم من مجرى السيل..

صوت سلاسل يتم جرها على الأرض بشكل مستمر..

مد مفلح عنقه برعب ينظر إلى مصدر الصوت.. كان هناك حيوان بين الظبي والوعل له قرنان عظيمان يمشي في مجرى السيل ولديه سلاسل مربوطة في قدمه يجرها وراءه بينما يمشي ببطء..

وهذه السلاسل التي يسحبها ليست مقيدة في شيء.. بل طرفها الآخر مفكوك وهو يجرها بقدمه كأنه هارب..

لم يدر مفلح إن كان هذا حسناً أم سيئاً.. فربما هذا الحيوان يعني وجود بشر قريبون لديهم إسطبل.. وربما هم أيضاً أصحاب تلك الأغنام الراكضة التي لا يدري أين ذهبت.. فكر في أن يتبع الحيوان.. لكنه رفع الجوال وتحدث للبرنامج واصفاً المنظر الذي يراه في مجرى السيل بالضبط.. قال له البرنامج:

- إذا تبعت هذا الشيء فسيقودك إلى موتك.. هذا يسمونه في قصص الشعوب «جان السيل» يجر وراءه سلاسل.. وهو من الجن الذين ذكر في التراث الإسلامي أنهم مقيدون.. وهم يظهرون على شكل حيوانات يمكن سماع أصوات سلاسلهم.

دق قلب مفلح حينما سمع حكاية القيود والسلاسل وتذكر الأساطير التي قيلت إن المكان هنا سجن الجن.. فقام واقفاً وبدأ يبتعد بخطوات حثيثة عن الحيوان والمساعد يقول له:

- مفلح.. لاحظت أنك بدأت في التحرك.. تنبه لأمر.. طالما هناك مجرى سيل فربما يكون بالجوار مستنقعات أو برك صغيرة.. ابتعد عنها أثناء مشيك.. فالجنية لو واجهتك عند أي بقعة مائية فستظهر لك على حقيقتها.

فتح مفلح كشاف الجوال وتحرك دون إبطاء وهو ينظر بعناية شديدة إلى الأجواء وهو يحاول تبين ملامحها في هذا الظلام.. حتى انتقل إلى مكان آخر بدأت تظهر ملامحه ببطء شديد.. لكن مفلح تجمد حينما رأى معالم المكان كاملة..

كان يقف على بعد أمتار قليلة من بركة..

وأمام البركة كانت تقف امرأة..

لها ظل وكيان واضح وتتحرك نحوه ببطء..

وفي أفق المكان كله دوى صوتها..

«هوو واي.. يا هوو واي..»

«يا هوو واي»

«وابدع رمانية.. رمانية»

«يلعبوا خولانية.. خولانية»

«في مناظر عالية.. أو عالية»

تراجع مفلح بسرعة واستدار ليركض بأقصى سرعة..

لكن شلت حركته..

ففور استدارته.. كانت هي واقفة أمام وجهه..

بتلك العظام البارزة من وجنتها

وتلك النظرة التي تحب أن ترمقه بها عن قرب..

· · — ·✶· — · ·

وقف المهندس حازم وقلبه يخفق ناظراً إلى الكلب المتوحش الذي خضع على الأرض كأنه قط وديع وحاول أن يشده من السلسلة بقوة لكن الكلب كان يستثمر كل قوته الوحشية في المقاومة.. حاول معه بالتودد والشدة والصراخ بلا فائدة.. لم يكن هذا الكلب ليتحرك حتى خطوة واحدة.. كأن له حدوداً لا يقدر على تجاوزها.

كان يعلم من سلوك الحيوانات أنها تشعر بالخطر.. لكن أي خطر هذا الذي يمكن أن يأتي من قرية صغيرة مهملة على أي حال.. كل أمور الجن والأساطير التي كان يثرثر بها الساحر هي بالنسبة له هراء عجائز لا فائدة منه.. هو يؤمن بالجن لكنه يعرف كيف يصرفهم بذكر الله والقرآن الكريم.. ورغم كل هذا فالأجواء الظلامية التي حوله بعثت في نفسه كثيراً من الرعب الخفي الذي يحاول أن يكتمه في نفسه.

تنهد حازم وذكر اسم الله وترك سلسلة الكلب بيأس وتحرك ماشياً على الطريق غير الممهد..

كانت خطواته واثقة يشوبها بعض التوتر.. ينظر أمامه وعينه لا تنفك ترمق جوانب الطريق كل حين بقلق.. فهذه الصحراء بها أخطار يمكن أن تخرج أمامك في الظلام أسوأ من الجن.. مال ثعبان لمشي قرب جحره فيتعلق بقدمك أو عقرب يتسلل إلى أسفل بنطالك.. لكنه كان يذكر الله في نفسه ويطرد هذه الخواطر كلها ويستمر في المشي.

نصف ساعة كاملة من المشي حتى برزت له من بين الظلمات قرية تبدو معالمها ظاهرة غير بعيد.. تنهد مرتاحاً وأسرع في مشيه حتى دخل القرية.. وتوقف ينظر لها مشدوها..

بيوت مرصوصة في الظلام.. عواميد نور متهالكة خربة تشع وميضًا خافتًا يضفي على المنظر رهبة أكثر مما يضيء.. لا يوجد إنسان واحد يمشي في الطريق..

كثير من نوافذ البيوت كانت مضاءة ووصل إلى أذنه أصوات متداخلة تنبعث من داخلها بوضوح..

أحاديث.. بكاء أطفال.. ضحكات.. همس..

وقف حازم ينظر إلى كل هذا ونظر إلى ساعته بشكل تلقائي.. أي قرية هذه التي يأوي أهلها إلى بيوتهم قبل السابعة.. كل أهلها بلا استثناء..

حسم أمره ونظر إلى أحد البيوت وتحرك متوجها إليه..

لم يكن هناك حل إلا أن يطرق أحد الأبواب ليخبر الناس هنا عن صاحبهم الذي بين الحياة والموت في السيارة خارج القرية..

كانت أصوات الناس هنا تزداد وضوحًا كلما اقترب من الأبواب.. وهذا عادي جدًا في البيوت القروية البسيطة..

وقف حازم عند بيت مضاء يصدر منه صوت عائلة وأطفال.. ومد يده وطرق الباب..

وفي اللحظة التي طرق فيها المهندس حازم باب البيت.. سكتت الأصوات تمامًا..

ليس فقط الأصوات بداخل هذا البيت..

بل أصوات بيوت القرية بأكملها..

· · — ·✶· — · ·

أكثر شيء يخلع القلب هو شيطان يخرج أمامك من حيث لا تحتسب...

تجمد مفلح وارتجفت عيناه وهو يرى المرأة خرجت أمام وجهه بينما كان يستدير هربا منها.. ثوانٍ من الصمت هي كسرته عندما بدأت في الاقتراب منه ببطء فانتفض مفلح من حالة الجمود وتحرك صارخًا إلى جهة أخرى..

جميع دفقات هرمون الخوف تم صبها في خلاياه دفعة واحدة وتحركت أقدامه تعدو بلا هدى وهو يعلم يقينًا أن شيطانة كهذه قادرة على الخروج من كل مكان ولا تحتاج حتى إلى الركض خلفه فرفع جواله وصرخ فيه وهو يركض:

- كيف يهرب.. كيف يقتلونها..

رد عليه المساعد:

- هناك عدة طرق استخدمتها الشعوب في التخلص من جنية المستنقعات.. وهي عادة رموز يرسمونها أو تمائم أو تعاويذ معقدة يتلو..

تعثر مفلح في ركضه ووقع على الأرض وهو يقول:

- انطق.. انطق أيها اللعين بالتعاويذ..

ولم تمهله النداهة.. خرجت له بالفعل من بين أحد الظلمات وتحركت ناحيته ليس ببطء هذه المرة ولكن بسرعة.. وقع الجوال من يده على

الأرض من سقطته وهو زاحف إلى ناحية البركة والمرأة تسير وراءه.

كان الجوال ساقطًا على الأرض يقول:

.. سأتلو بعض التعاويذ القديمة.. هناك تمتمة نوردية كان يستخدمها شعب السلاف في طرد روح الكائن بنات المستنقعات كانوا يقولون..

با سم الحد يد والنار .. وبا سم الفجر الذي لا يسكن الماء .. عو دي إ لى الطين .. و لا تتتبعي أثر الأحياء..

كانت المرأة تمشي بردائها الأسود في جمود ناظرة إلى البركة حتى تجاوزت الجوال ودفعته بقدمها دون حتى أن تنظر إليه وهو يقول بصوته الإلكتروني:

- هل تريد أن أسرد عليك تعاويذ أخرى أشد قوة؟

كان مفلح في ذلك الوقت واقفًا على أعتاب البركة.. شعر أنه ربما ينجو إذا نزل في الماء.. وبالفعل نزل وهو يصرخ من الخوف وأشفق على نفسه فبدأت عيناه تذرف الدموع وهو يتحرك داخل البركة ويستدير لينظر إلى المرأة وهي تتقدم بثقة إلى البركة والجوال من خلفها يردد:

- يبدو أنه لم تناسبك التعاويذ.. أنت في المنطقة العربية عمومًا.. جدير بك أن تتلو القرآن.. بالتأكيد أنت تحفظ شيئًا..

وصلت النداهة إلى حافة البركة وتقدمت لتنزل فيه بقدمها.. كانت أغبى فكرة انبعثت في عقل مفلح هو أن يهرب من جنية المستنقعات بالقفز إلى المستنقع.. فهذه بيئتها وعالمها.. وهنا يكون سلطانها.. رآها تنزل إلى البركة وراءه وتتقدم إليه ببطء مخيف دون حاجة أن تحرك أطرافها لتطفو.. فقط تتقدم..

كان المساعد الذكي يقول بعد أن يئس:

- هل تريد أن أشغل لك القرآن بصوت شيخ معين تفضله..

كان مفلح في البركة مشلولًا متجمدًا لا يتحرك فيه شيء سوى عروق رقبته التي ترتجف.. حتى عينه كانت لم تكن تطرف ودموعه تنحدر منها على خده بصمت وهو ينظر نظرة الفزع الأخيرة إلى الشيطانة التي تزحف إليه ببطء وسط المستنقع..

توقفت المرأة بالقرب منه ونظرت إلى جموده للحظة.. وهو ينظر إلى عينها البارزة التي صارت أكثر تشيئًا.. لم يكن يعرف كيف ستكون النهاية.. كيف سيموت..

ولم تمهله النداهة ثانية أخرى..

فجأة.. ورغم الوزن الكبير الذي هو عليه.. إلا أن شيئًا ما سحبه بقوة وسرعة في لحظة واحدة إلى الأسفل.. تحت عمق الماء.. فاختفى مفلح عن الصورة تمامًا كأن لم يكن..

ولم يُسمع اسمه بعدها فوق الأرض ولا تحتها..

وأمام وجه النداهة صعدت بقعة من الدم تناسب حجمه الضخم..

ووقفت هي ناظرة إلى كل هذا في صمت ثم استدارت تمضي في البركة.. ببطء..

الفصل الثالث

القرية التي تسمع.. وترى

لم يكن في الفندق الذي دخلته عائلة ناصر سوى دور واحد فيه ثلاث غرف لا يسكنها أحد كما هو واضح من الغبار المتعلق على أعتابها..

ذكر الأب ناصر اسم الله وأدار المفتاح ليفتح الغرفة التي ستستريح بها العائلة ريثما يجد حلًا في أمر السيارة..

لم تكن غرفة بل شقة صغيرة بها غرفتين وصالة لا بأس بها.. أول شيء تلحظه العين هو أن ألوان الديكورات هنا لا تتماشى مع بعضها على الإطلاق.. كأنهم جمعوا الأثاث من عدة بيوت من هنا وهناك وجعلوه في هذا الفندق.. دخلت الأم إلى الحمام لتطمئن عليه فوجدته يعمل بالكاد.. سيئ جدًا لكنه يعمل.

دار شهاب في المكان ينظر إلى الديكورات غير المتناسقة.. وجد لوحة صغيرة عليها منظر سريالي لأشخاص كأنهم في زمن قديم أثري.. بعضهم لديه قرون.. لم يكن شهاب يفهم في التاريخ وهذه الأمور لكنها كانت تبدو له مثل لوحات الآشوريين أو البابليين أو هذه الأشياء القديمة

الغريبة التي لا فائدة منها في نظره.. جاء إليه الأب وهو يقف أمام اللوحة فنظر لها الأب سريعًا وقال مازحًا:

- إن ذوق هؤلاء القوم مثل وجوههم.

فجأة انطلقت ضحكة رفيعة من الدمية الموضوعة في الكيس فالتفت لها الجميع في سرعة ولم تكن النظرة على وجوههم مرتعبة على الإطلاق بل نظرة فيها شيء من الفرح والحنين.. حتى الطفلة «لين» كانت تنظر بملامح متغيرة عن ملامحها اليائسة المعتادة..

تحرك شهاب سريعًا إلى الدمية وأخرجها من الكيس وبدأ يسألها بوجه متلهف:

- ما هو اسمك؟

سكتت الدمية قليلًا ثم أجابت:

- لماذا تريد أن تعرف اسمي؟

ضحك شهاب وقال:

- أخبريني ما اسمك.

قالت الدمية:

- أمي قالت لي ألا أقول اسمي للغرباء.

كانت نظرة السرور في وجوه الجميع هي لأن هذه الدمية من الطراز الذي يسمونه في عالم الألعاب دمية الحوار المتكلمة أو دمية السيليكون التفاعلية.. وهي دمية مدمج بها برنامج متكلم وقد كانت تريند لفترة من الفترات على تيك توك اليمن.. واشتراها شهاب لأجل لين في عيد ميلادها لربما تساعدها على التكلم بعد أن فشل الجميع في هذا.

أحبت لين الدمية كثيرًا لكنها لم تقدر على التحدث إليها.. ولم تمضِ شهور حتى خرب نظام الكلام في الدمية مثل كل الألعاب الصينية التي نظر لين لها أولاً ثم أشار بيده في صمت، ما بداخلها ليست حلى أو ذهب بل مجرد دمية قديمة قد رماها أحد الزبائن ولين رفضت أن تتركها ويبدو أن الكلمات التي تفوهت بها الدمية مؤخراً جعل لها أهمية شديدة بداخلها..

نظرت إليها لين والدموع في أعينها لكنها نظرت إليها وعلى وجهها لمحة من الابتسامة بشأن شكل الدمية، والفعل بدا سيئاً جداً لهذه العين العوراء والشعر الباهت في وجهها لكن شهاب انحنى وقال لها:

- لا تحزني.. سأصلحها.. إنها مجرد دمية.. والمرء لا يتخلى عن أصدقائه يا لين عندما يصيبهم سوء.. بل عليه أن يصلحهم ويصبر هكذا يكون الصديق.. سأضعها في الغرفة الآن حتى نرى كيف نصلحها.

ظهر على لين بعض التأثر ونظرت إلى الأرض.. فأخذ شهاب الدمية ووضعها في الداخل في الغرفة فوق أحد الرفوف وقال لهم الأب ناصر:

- فليكن سأذهب لاستكشاف القرية.. ربما أجد واحداً مستيقظاً أو عائداً لبيته في آخر الليل.. وسأبحث عند محطة البنزين تلك ربما أجد عمالها ساهرين في سكن ما بجوار المحطة فلا زال الوقت مبكراً للنوم.

أمسكت به لين وعيونها تدمع لكنه انحنى إلى الأرض وقبلها وقال:

- أنا ذاهب لأجد لنا طريقة للخروج من هنا يا لين.. اصبري حتى ألقاك.

لم ترد عليه سوى بأعين ممتلئة بالدموع.. فتمالك نفسه وقام وقال بشهامة:

- شهاب.. لا تنس أن تدخل لترى قيمة المخالفة التي صدمتني بها هؤلاء.. فالأمر لا يحتمل.. تكفي الديون التي علي.

أومأ شهاب له إيجاباً.. ثم سلم الأب على الجميع وغادر الغرفة والفندق بأكمله.

بعد مغادرة الأب بدأت القطة تتحرك بجنون داخل الكرتون الموضوع على الأرض كما لو أنها ممسوسة فقالت الأم بفراغ صبر:

- افتح الكرتون للقطة يا شهاب.. يبدو أنها تكاد تختنق بالداخل.

وفي اللحظة التي فتح فيها شهاب غطاء الكرتون انطلقت القطة كالقذيفة وكأنها محبوسة وسط جمر من نار وقفزت مباشرة تحاول التسلق إلى جزء بسيط مفتوح من نافذة الغرفة للهروب من المكان كله والنفاذ بجلدها لكن شهاب أمسك بها بحزم فإن لين لن تتحمل فقدان هذه القطة أيضاً.. تكفي مصيبة واحدة.. كادت القطة تخمشه لكنه كان يحسن الإمساك بالقطط بطريقة تمنعهم تماماً من العض والخمش وهو يقول:

- القطة مرعوبة يا أمي.. لم أرها تفعل هذه الأمور إلا في اليوم الذي أردنا أن نزوجها فيه.. ولم يكن هكذا..

قالت له الأم:

- دعك منها.. القطط تكون عصبية عند الانتقال إلى مكان جديد.

أغلق شهاب النافذة وتأكد بعينه أن النوافذ الأخرى مغلقة ثم ترك القطة فانطلقت بسرعة تهرب ودخلت إلى الغرفة التي فيها الدمية..

وبعد أن دخلت فقط ببضع ثوان.. سمع شهاب صوت مواء القطة غاضباً مختنقاً ثم انغلق باب الغرفة محدثاً دوياً عالياً..

نظر شهاب إلى الباب بفزع وهو يسمع اختناق القطة وصوت أظافرها تخمش الباب من الداخل في يأس..

· · — · ✶ · — · ·

كان الكوري قد سقط بعيداً من السيارة ليكون منزلقاً في حفرة جانبية وظل غائباً عن الوعي لساعات طوال.. لم يصب سوى بجروح بسيطة من تكسر الزجاج ورضوض في جسمه كله وكأن الرمية التي ارتماها خارج السيارة أنقذت حياته بشكل ما..

كان استيقاظه من الإغماء بشهقة مرتعبة تحمل في داخلها كل الأحداث المروعة التي شهدها في الساعات الأخيرة.. قام من تلك الحفرة وهو يسعل التراب وينفض ملابسه ووجهه وبذل جهداً حقيقياً في تسلق الحفرة والخروج منها ليرى منظر السيارة المقلوبة من بعيد بكل ما يحمله هذا المنظر من أسى.

هرع إلى السيارة فلم يجد مفلح.. ولم يجد المرأة التي أخذوها معهم ولا رضيعها.. فقط وجد ياسين مرمياً أسفل مقعده في هيئة يبدو منها أن عظامه تكسرت.. نادى عليه بصوت عالٍ ودار حول السيارة يمد يده من هنا وهناك يحاول أن يجد طريقة ما لإخراجه من السيارة.. حتى وجد منفذاً يمكنه به سحب ياسين إليه ثم دفعه من النافذة ليخرج..

وبالفعل نجح في إخراج صاحبه بمجهود كبير ووضعه على ظهره وحاول إيقاظه بكل الطرق بلا فائدة.. كان هناك نبض في وريده لكن وعيه لا يستجيب مهما فعل.. كانت حالة عظامه تبدو جيدة رغم أن هناك جروحاً في وجهه لكنها ليست خطيرة.. ويبدو أن دخوله تحت المقود وانفتاح الوسادة الهوائية أنقذاه من كثير من الصدمات والزجاج أثناء الحادث..

أخرج الكوري جواله سريعًا وبحث عن رقم الإسعاف اليمني ووجده بسهولة في الإنترنت ثم اتصل عليه على الفور.. لم يجد أي استجابة فتذكر أنهم لم يهتموا أصلاً بتشغيل التجوال للاتصال في شرائحهم السعودية قبل السفر.. فقط شغلوا التجوال في الإنترنت.. كومة من الأخطاء التي يدفعون ثمنها..

أطلق سبة وهو يفتح تطبيق الخريطة السوداء لطلب النجدة.. كان هناك اختيار في التطبيق يمكنك أن تطلب به النجدة العاجلة.. إذا طلبته يقوم التطبيق بإرسال موقعك لجميع المشتركين في التطبيق في بلدك ويراسل جميع السلطات المحلية القريبة منك حتى تصلك النجدة بجميع أنواعها.. وبالفعل طلب النجدة العاجلة وظهرت رسالة في التطبيق تخبره أن النجدة في الطريق إليك وعليك إبقاء التطبيق مفتوحًا في الخلفية حتى تستقبل رسائل الناس.

نظر الكوري إلى السيارة وإلى ياسين في حزن شديد يعتصر قلبه على صاحب عمره ثم تحرك ببطء مبتعدًا عن السيارة ماشيًا في ذلك الطريق غير الممهد إياه لعله يجد حلاً قريبًا.. كانت نفسه تأبى أن تهدأ.. تقول له إنك أنت السبب في هذا كله الذي حدث لأصحاب عمرك.. لكنه كان يقاوم هذا الشعور وينادي على مفلح بصوت ضعيف واهن وسط هذه الظلمة الكاملة التي تحيط به.

الظلمة التي تزداد في الطريق مع الخوف مع الحزن.. كل هذا يجعل الأقدام تثقل.. وضربات القلب تعلو.. والأنفاس تتسارع.. كانت قدماه ترتجفان في الطريق وهو ينظر حوله كل حين في فزع.. إنه لا يكاد ينسى وجه تلك المرأة وهو يلتفت إليها في السيارة.. عظام وجنتها البارزة.. وعينها البارقة.. لم يعد قلبه يحتمل المزيد من الخواطر ففتح جواله ليشغل القرآن الكريم.

كان يخجل من نفسه أنه لا يذكر القرآن إلا إذا حدثت له مصيبة.. وكأنه يعتبره فقط تميمة للحماية.. لكنه تجاوز هذا سريعًا وهو يقول لنفسه ألا بذكر الله تطمئن القلوب.. فتح اليوتيوب وشغل مقطعًا للقرآن الكريم بصوت عالٍ وهو يسير وسط هذا الظلام الصامت.

ارتاح قلبه قليلاً مع الاستعاذة والبسملة لكن كل شيء انتهى قبل حتى أن يبدأ.. فجأة توقف القرآن وتقلبت شاشة اليوتيوب بين عدة مقاطع بشكل سريع إلى أن ثبتت على أغنية يمنية قديمة جدًا.. ابتلع الكوري ريقه بصعوبة وهو ينظر إلى الجوال وشغل مقطع القرآن مرة ثانية لكنه وضع إصبعه داخل الفيديو وثبته على شاشة الجوال حتى لا يقدر على الانقلاب إلى مقطع آخر مهما كان خربًا.

كان يرى بعينه شاشة اليوتيوب وهي تحاول التحرك تحت إصبعه لتقلب المقطع من تلقاء نفسها.. إما أن الجوال قد أصابه عطب من الحادث أو أن هناك قبيلة من الجن تحوم بجواره وهم أقرب إليه من حفيف أنفاسه.

خيل إليه فجأة أنه يسمع صوت غناء.. لكنه لم يكن يأتي من الجوال.. بل يأتي من بعيد.. من الأفق.. توقف الكوري مكانه وسقط قلبه أسفل قدميه وهو يصغي سمعه.. كان الصوت كأنه طبل أو مزمار يشق ثنايا الظلام.. ومعه أصوات أناس.. نظر بعينه إلى الأفق كله فلم يجد نورًا هنا أو هناك.. كمية الأصوات المتداخلة تعني أن هناك تجمعًا ما بالجوار.. أو ربما هناك مكان أو شخص قريب من هنا يشغل هذا الغناء.. أو هو شيء آخر لا يريد التفكير فيه.

استمر في تثبيت إصبعه على القرآن وبدأ يمشي إلى مصدر الطبل والمزمار الذي كان يعلو شيئًا فشيئًا كلما يقترب منه.. وبالفعل ظهرت أنوار في الأفق.. ورأى الكوري مصدر كل هذا الضجيج.. وارتاحت نفسه

الخائفة وإن كانت الدهشة قد زادت أضعافًا.. والعين قد اتسعت.. فهذه الضجة كانت قادمة من قرية مليئة بالبشر.. ويبدو من الأنوار والإضاءات المحيطة بهم أنهم في حفل.. لكن شيئًا ما في هيئاتهم جعل الكوري يقف وتتجمد قدماه ولا يقو على الاقتراب أكثر.

· · — · ✱ · — · ·

قام شهاب من مقامه وهرع إلى الباب الذي انغلق على القطة بعنف بينما كانت تخمش فيه بأظافرها بذعر.. مد يده وفتح الباب بسرعة ناظرًا إلى الداخل بعين ملؤها التوتر..

النافذة مغلقة بإحكام.. لا توجد نسمة هواء يمكنها التسرب إلى هنا.. ما الذي أغلق هذا الباب..

انطلقت القطة كالسهم هاربة من الغرفة إلى أبعد نقطة ممكنة عند باب الشقة وأخذت تدور عنده وتموء وتلصق ظهرها فيه مرتعدة..

نظر شهاب إلى باب الغرفة وخمشات القطة ظاهرة عليه.. يبدو أن القطة اللعينة أصابتها واحدة من نوبات الفزع غير المبرر الذي ينتابها منذ بداية الرحلة فحاولت الخروج من الغرفة بسرعة فصدم رأسها حافة هذا الباب الضعيف وأغلقته على نفسها.

جاءت الأم تنظر في قلق وقد فزعت من صوت الباب ثم قالت:

- لا عليك يا شهاب.. هناك تيار هواء ساحب غالبًا هو الذي أغلق الباب لكن لا أدري من أين جاء.

أومأ لها شهاب برأسه أن لا بأس.. وذهب إلى طاولة في الصالة جلس إليها وفتح اللابتوب الخاص به.. كان يريد أن يفهم لغز الجي بي إس الذي لا يعمل رغم وجود الإنترنت.. ما الذي قد يكون في مكان كهذا يحجب إشارات اللوكيشن.. هل لهذا علاقة بأنهم الآن قرب الحدود وهذه المنطقة تعتبر عسكرية مثلاً.. ربما..

خرج إشعار من جانب الشاشة نظر له شهاب لحظة باستغراب رسالة من الواتساب كانت هي الأغرب وسط هذا كله.. رسالة تقول إن هناك خطأ في توقيت اللابتوب ولا يمكن تشغيل

الواتساب إلا بعد إصلاح التوقيت.. وبنظرة واحدة إلى ساعة اللابتوب وجدها تشير بالفعل إلى الرابعة عصراً رغم أنهم في جوف الليل.

فتح الجوال بسرعة على الواتساب فخرجت له نفس الرسالة من التطبيق.. لا بد من تعديل توقيت الهاتف.. لم يكن يفهم بالضبط كيف يمكن أن يحدث هذا رغم أن توقيت اللابتوب والهاتف يتم تحديثهما عن طريق الإنترنت تلقائيًا.. حاول تعديل التوقيت يدويًا لكنه كلما غير الساعة ثم يضغط على التحديث عن طريق الإنترنت تشير له إلى الرابعة عصراً.

أشغل شهاب نفسه كثيرًا في محاولة فهم هذا الأمر وإيجاد حلول له في نفس الوقت الذي كانت لين تدخل إلى تلك الغرفة التي بها الدمية وتجلس على السرير في حزن..

فجأة سمعت لين تلك الدمية تقول لها:

- هل تحبينني يا لين؟

تحول وجه لين إلى الدهشة وهي تنظر إلى الدمية الموضوعة على الرف.. كان من النادر أن تتحدث دميتها هكذا دون أن يوجه لها أحد كلامًا.. قالت الدمية:

- لقد فقدت عيني يا لين.. ذلك الوحش نزعها.. أنا أصبحت بشعة.

ظهر على وجه لين التأثر وهي تنظر للدمية في شفقة طفولية..

أكملت الدمية قائلة:

- لم يعد لي أصدقاء.. حتى أنتِ.. جعلتيهم يرمونني في صندوق السيارة.

قامت لين من السرير وهي تتوجه إلى الدمية وكل قطعة في وجهها تريد أن تبكي وتتحدث لكنها لا تستطيع.. قالت الدمية:

- هل تحبينني يا لين..

مدت لين يدها إلى الرف وأخذت الدمية وهي تنظر إلى حالتها السيئة وبدأت تمسح على شعر الدمية بيدها الصغيرة..

في ذات الوقت كان شهاب قد يئس من إصلاح التوقيت ودخل يبحث في الخريطة عن كل الأماكن القريبة.. وجد أنهم قريبون من ذلك البئر الذي يقال له فوييت.. كان قد شاهد على اليوتيوب مقاطع تستكشف هذا البئر وتقول عنه كلامًا أسطوريًا أنه بئر برهوت.. ثم ظهر تكذيب كل هذا وانتشرت صور البئر من الداخل..

تذكر شهاب فجأة كلمة والده قبل أن يغادر.. لا بد أن يفتح ليرى قيمة المخالفة المرورية..

دخل شهاب على الموقع المختص وأدخل البيانات سريعًا ونظر إلى قيمة المخالفة وظهر على وجهه تعبير ساخط.. المبلغ كبير.. كانت هناك خدمة جديدة أضافوها مؤخرًا هي رؤية الصورة التي التقطتها لك الكاميرا حتى لا تحتج على المخالفة.. فتح شهاب الصورة ونظر إلى والده الظاهر فيها وهو حقًا لا يرتدي الحزام.. لكن لحظة.. ما هذا الشيء هناك..

كانت لين قد أخذت الدمية وجلست على سريرها والدمية تقول لها

.. أتدرين يا لين لقد عرفت أنك أنانية.. لا أحد في هذه الدنيا غالٍ عليكِ.. لا أبوكِ ولا أمكِ.. أنتِ فقط أحببتِ أخوكِ يحيى الذي مات..

تجمدت يد لين التي كانت تمسح على شعر الدمية وارتجفت عينها والدمية تقول:

- أنتِ لعينة يا لين.. تستخدمينني فقط لنسيان يحيى.. بل تستخدميننا كلنا.. أنتِ لا تحبين إلا نفسك..

تحولت ارتجافة لين إلى محاولة لهز رأسها نفيًا.. أو النطق بأي كلمة..

في اللحظة ذاتها كان شهاب يقرب وجهه من شاشة الجوال وينظر إلى الصورة التي صورها الرادار بإمعان..

ودق قلب شهاب بعنف..

فهناك.. في نافذة الصندوق الخلفي للسيارة.. كان هناك وجه رجل عجوز غريب الملامح جدًا ظاهر بوضوح شديد من وراء الزجاج..

امتقع وجه شهاب وخلت منه الدماء.. هناك شخص خامس معهم في السيارة.. أو..

قرب شهاب الصورة إلى أقصاها.. جميع ألعاب الضوء يستحيل أن تولد رجلاً جالسًا بملابسه هكذا.. ثم إن الصندوق الخلفي أصلاً ممتلئ.. ولم يكن فيه سوى بعض الحقائب.. والدمية و..

فجأة سمع شهاب صوت صرخة أخته لين.. لم تكن صرخة من صرخاتها البكائية المدللة المعتادة بل صرخة إنسان يرى نهايته..

قام شهاب من مكانه كالطلقة إلى الغرفة ونظر بداخلها في فزع..

· · — · ✶ · — · ·

لم تمر بضع ساعات على استيقاظ الكوري ومفلح إلا وقد صحا ياسين بدوره بعد إغماءة طويلة..

فتح عينه المتعبة فوجد نفسه ينظر إلى السماء.. ثوان مرت عليه وهو يرمق قبة السماء بشيء من الدهشة ثم عادت له ذاكرته كاملة.. كان مرميًا خارج السيارة.. قام من رقاده واعتدل ببطء وكل

شيء في جسده يؤلمه.. لكن حركة جميع أطرافه ومفاصله أدخلا كثيرًا من الاطمئنان إلى قلبه رغم أن هناك جروحًا عميقة في وجهه ورقبته.. نظر في السيارة وحولها ونادى على صاحبيه بلا مجيب.. إنه يذكر جيدًا أنه كان أسفل المقود أثناء الانقلاب.. حتى إنه يذكر صوت ارتطام السقف بالأرض.. غالبًا هناك أحد ما أخرجه من السيارة وأرقده بعناية على الأرض.. هذا يعني أنهما بخير فلو كان أحدهما راح ضحية الحادث لوجده ملقى هنا.

انحنى ياسين إلى السيارة المقلوبة وفتح أحد أدراجها وأخرج أغراضه التي كان يحب أن يضعها في الدرج حتى لا تضايقه في القيادة.. المحفظة والجوال ومفاتيح المنزل.. لم يدر ما الغرض أن يأخذ المفاتيح مثلاً لكنه يحب حساب كل شيء.. ربما يضطرون لمغادرة المكان كله بسيارة غير هذه مثلاً.. وبعد أن تأكد من أخذ كل شيء نظر حول السيارة بقلق لئلا يكون الشباب قد نسوا أو أوقعوا أي شيء.. ثم اتجه بدوره إلى الطريق الغير ممهد الذي مشى عليه الجميع.. طريق بردوت..

كان يشعر أن هناك شيئًا ما خطأ في المكان كله.. إنه معتاد على ظلمة الصحراء في الليل ولا يخشاها بل يحبها.. ويعشق منظر السماء ونجومها ونور القمر.. لكن ليل هذه الصحراء يختلف.. كل شيء فيه يريب القلب.. الرائحة.. السماء المتلبدة بضباب متقطع.. حتى وجه القمر الطالع بين السحاب يختلف.. وهو يحفظ صخور القمر جيدًا..

إنه لا يبدو هكذا أبدًا.. ملمس الرمال ليس كالرمال.. وهو فتى صحراوي يعرف كل الرمال.. الجو هنا مقبض يجعل صدرك ضيقًا كلما خطوت خطوة.

جميع الخواطر المرعبة أتت على قلبه.. والقلب المرتعب يكبر لك الصغير ويصغر لك الكبير ويتخيل سيناريوهات عديدة تموت في نهايتها كلها.. بلغ به الخوف مبلغًا أن جف حلقه وهو ينظر يمنة ويسرة ويتلمس الطريق.. حاول أن يتلو آية واحدة من القرآن لكن الخوف أنساه كل شيء حتى الفاتحة شعر أنه لو تلاها سيخطئ فيها.. لم يدر ما يقول فتحرك لسانه قائلاً بخوف.. الله أكبر.. الله أكبر..

كان صوته مرتجفًا وضعيفًا جدًا.. فكّر أن يكمل الأذان.. فقد سمع أن الشيطان يخنس بسماع الأذان.. وفكرة أن وجود شيطان يسمعك أصلاً في حد ذاتها مرعبة في هذا الظلام.. لكن أن يسمعك ويبتعد خير من أن يسمعك ويأتي لجز عنقك..

رفع ياسين صوته بضعف.. أشهد أن لا إله إلا الله..

وهنا حدث شيء مفزع كاد يفتت أوصال القلب..

فمن وسط هذه الظلمات والصحاري.. سمع صوتًا يردد في الأفق.. أشهد أن لا إله إلا الله..

لم يكن ذلك صدى صوت على الإطلاق.. بل صوت شخص ينطق بحرف وصوت..

اختنقت الكلمات في حلق ياسين وخرجت متحشرجة ضعيفة وهو يقول بصعوبة بلهجة الأذان.. أشهد أن محمدًا رسول الله..

ورغم ضعف صوته إلا أنه سمع هذه المرة أيضًا الصوت يقول من اللا مكان.. أشهد أن محمدًا رسول الله..

كانت عين ياسين متسعة تدور في الأنحاء وتنظر إلى كل ناحية في نفس الوقت.. هناك كائن ما هنا.. ليس بشريًا لأنه لا يوجد بشري واحد ظاهر في الأفق..

أيكون جنيًا مؤمنًا.. أو جنيًا يستهزئ به.. لكن يستحيل.. الجن يخنس بالأذان ولا يستهزئ..

مشى وقدماه لا تكادان تحملانه وهو ينطق بارتجاف.. حي على الفلاح..

والصوت يردد وراءه كأنه يأتي من كل مكان..

اهتز قلبه هزًا وابتلع ريقه بصعوبة.. إنه حتى لم يقل الأذان بالترتيب..

ووسط هذا كله برز شيء ما..

رأى ياسين جذوة من نار مشتعلة في الأفق.. نورها يتراقص في جوف الظلام.. اشتعل فؤاده بالخوف وتحرك إليها وهو يؤخر قدمًا ويقدم الأخرى.. فهذه النار تعني على الأقل وجود بشري.. أو هكذا يبدو..

· · — · ✶ · — · ·

ارتعدت عينا شهاب وهو يدخل إلى الغرفة وينظر إلى ما حل بأخته لين.. كانت واقعة من السرير مقلوبة رأسًا على عقب فاغرة فمها على آخره..

رقبتها على الأرض وقدمها على السرير وعيناها مغمضتان..

انحنى عليها شهاب وهو يردد اسمها في هلع ويقيمها من هذه السقطة ويضعها على السرير برفق ويجس رقبتها في توتر.. كانت حية لكنها مغشي عليها وتتنفس بسرعة غير مفهومة.. جاءت الأم التي أصيبت بحالة عصبية كادت تفقد توازنها عندما رأت ابنتها بهذه الحالة وصرخت:

- شهاب اطلب أباك.. البنت عيونها تتحرك وهي مغمضة.. اطلب أباك.. لو فقدتها هي الأخرى سأموت هنا.

اندفعت الدموع إلى مقلتي شهاب وهو يتصل بوالده لكنه لم يرد لم يدر ماذا يفعل..

نظر إلى الدمية التي كانت راقدة على سرير لين تنظر بتلك العين الواحدة نظرة الجمادات.. أمسك شهاب بالدمية بقسوة وفتح دولاب الغرفة ورمى الدمية فيه وأغلق عليها الدولاب وأخرج منه المفتاح القديم المهترئ ووضعه في جيبه.

كانت الأم تنظر له في فزع متسائل فقال لها:

- لا شيء يا أمي.. لا شيء.. فقط هذه الدمية تسبب للين كثيرًا من الحزن.. ولا بد أن تخفى تمامًا عن الأنظار الآن.

بقي شهاب مع الأم في الغرفة حتى انتظمت أنفاس لين ونامت بسكون دون أي مظهر مقلق.. فأغلقت الأم عليها الباب وقالت:

- هيا تعال.. سنتركها تنام لترتاح.

قال لها شهاب:

- بل سأبقى هنا حولها.. لا تغلقي عليها الباب.. أنا سأنام بالخارج في الصالة ولن أزعجها.. حاولي الاتصال بوالدي كل فترة حتى يرد.. وحاولي أن تخبريه بما حدث بلهجة هادئة حتى لا يفزع.. أرجوك.

وافقته الأم على ما قال وخرجت إلى غرفتها وخرج هو أيضًا وجلس في الصالون في موضع يمكنه أن يرى منه لين جيدًا..

· · — ·✶· — · ·

نزل الآن ناصر من الغرفة التي يقيمون بها في الفندق وألقى نظرة سريعة إلى مكتب الاستقبال فلم يجد أحدًا عليه.. اقترب من المكتب ونادى فلم يرد عليه أحد..

مط شفتيه وخرج من الفندق ليمشي في القرية لعله يجد شخصًا يخرجه من أزمته.. قرر أن يترك سيارته ويتجول على قدميه حتى يرى بشكل أوضح.. لكنه فتح السيارة وأخذ منها المسدس والذخيرة.. غريزته الأمنية من الحرب علمته ألا يمضي في مكان غريب دون سلاح.

شوارع مظلمة.. عواميد إنارة ضعيفة.. بيوت متقاربة مطفأة الأنوار.. كان يمشي وينظر بتركيز شديد إلى اليمين والشمال.. ليس هناك مخلوق هنا..

تحرك قلبه بالدهشة المرتعبة عندما لاحظ أمرًا لم ينتبه إليه في السابق.. هذا المكان لا توجد فيه سيارات على الإطلاق..

يفترض أن تكون هناك سيارات بجوار البيوت..

تحول من الشارع الذي يمشي فيه إلى شارع أصغر لعله يجد سيارات مركونة في الخلف مثلًا.. لكن المنظر هناك كان مماثلاً.. لا توجد سيارة واحدة..

قال ناصر وهو يحدث نفسه:

- أين سيارات هؤلاء القوم..

عاد مرة أخرى إلى الشارع الذي كان فيه ثم تصلب في مكانه في ذهول..

فهناك.. على جوانب الشارع.. كانت هناك بضع سيارات مركونة هنا وهناك..

وضع ناصر يده على رأسه في ألم.. ما الذي أصابه.. ما هي هذه السيارات.. يبدو أنه الإرهاق خاصة مع هذا الصداع الذي يضرب جبهته منذ بداية اليوم بلا هوادة..

تنهد وقرر أن يسير في القرية قليلاً ثم يعود إلى الفندق ليحظى ببعض النوم فمن الواضح أنه يحتاجه.. مشى بشيء من العجلة إلى محطة البنزين ليتطلع فيها ويبحث عن العاملين.. ربما يسمع صوت أحد هنا أو هناك.. دخل إلى المحطة وهو ينظر إليها بشيء من التدقيق.. وتحرك قلبه بعدم الارتياح..

لقد عمل في محطات بنزين كثيرًا في السابق.. هناك شيء في المكان ليس على ما يرام..

اقترب ناصر من ماكينات ملء البنزين ونظر إليها عن قرب ثم أمسك بأحد خراطيم البنزين في يده ووضعه عند أنفه.. ولم يكن التعبير الذي على عينيه يحتاج إلى كلام.. هذه الصناديق ليس فيها بنزين أصلاً.. ولا قطرة واحدة..

نظر بانتباه أكثر إلى تفاصيل المحطة.. وزاد شعوره بالغرابة أضعافًا..

لا توجد بقع على الأرض.. ولا شحوم.. لا سواد متراكم حول أي مكان.. والأهم من كل هذا لا توجد آثار إطارات على الأرض.. فقط آثار إطارات سيارته التي يعرفها جيدًا..

هذه المحطة لا تعمل.. لكنها ليست مهجورة.. فلا توجد آثار غبار على العواميد ولا على الماكينات رغم أن التراب يملأ الأرض حول المحطة. غالبًا هم يجهزونها للعمل.. لكن هناك محطة أخرى يملؤون منها..

خرج من المحطة ومشى حول القرية لعله يجد المحطة الأخرى على الجانب الآخر من المساكن.. أخرج جواله واتصل بزوجته ليطمئن عليهم.. ردت عليه بصوت متعب وقالت له إن كل شيء على ما يرام ولأن لين نائمة وشهاب في طريقه للنوم.. قال لها إنه سيبحث عن محطة أخرى على جانب القرية الآخر ثم سيعود إلى الفندق..

أغلق ناصر الخط ومشى في ذلك الظلام تحت ضوء القمر وقلبه يشعر بالحزن.. ليس بسبب مشكلة البنزين تلك على الإطلاق فسيجد لها حلاً.. لكن خواطر كثيرة وردت على قلبه.. خواطر لا تأتيه إلا إذا كان وحيدًا.. خواطر تتعلق بابنه يحيى الذي مات ولم يتجاوز العاشرة.. وابنته التي فقدت الكلام.. وعائلته التي تحاول الاستمرار في الحياة رغم كل شيء.. وها هو يسافر بهم في الإجازة رغم كل الفقر الذي هو فيه والدين.. فقط ليفرحوا ويرى ابتساماتهم..

ترقرقت عينه بشيء من الدمع فهمس بخفوت داعيًا.. اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي.. وقلة حيلتي.. وهواني على الناس.. أنت رب المستضعفين وأنت ربي.. إلى من تكلني.. إلى بعيد

يتجهمني.. أو إلى عدو ملكته أمري.. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات أن تنزل بي سخطك أو يحل عليّ غضبك..

وسالت دموعه على وجهه.. تلك الدموع التي لم يكن يخرجها لأحد سوى خالقه.. ومشى في تلك الأرض ولسانه يذكر ويستغفر كما هي عادته..

لم يجد ناصر أي محطة أخرى في أي جانب من جوانب القرية فتحرك عائدًا بيأس إلى حيث كان.. وما هي إلا دقائق معدودة مشاها على الطريق العائد حتى انتبه إلى أمر شغل كيانه وهو ينظر إلى الأرض..

الرمال هنا ذات لون رمادي غريب.. حتى إنها صنعت على حذائه طبقة رمادية خفيفة..

لم تكن الرمال تحت قدميه فقط هي الرمادية.. بل رمال القرية كلها.. نزل ناصر إلى الرمال يتحسسها وعمل شيئًا يعرفه أهل الصحاري.. أخذ بإصبعه شيئًا من هذه الرمال الرمادية ووضعها على طرف لسانه ليعرف نوعها بالضبط..

تغيرت ملامحه إلى التقزز عندما ذاقها.. ولم يعرف على وجه الأرض أي رمل له هذا الطعم الحاد.. ولا هذه الرائحة..

أدخل يده في الرمال ليبحث عن نوعية الأحجار التي فيها حتى أخرج من وسط الرمال شيئًا صغيرًا اتسعت له عيناه..

كانت قطعة من عظم قديم مفتت جاف..

مشى بتوتر وهو ينظر في مواضع أخرى من الرمال..

وكان كلما نظر إلى ناحية من نواحي الأرض.. وجد قطعًا أخرى من عظام متناثر..

وانقبض قلب ناصر.. هذه الرمال التي تغمر جوانب القرية ليس برمال أصلاً..

هذه عظام مسحوقة..

كانت الأم تجيء كل فترة تطمئن على ابنتها وتضع يدها عند أنفها تطمئن على تنفسها ثم تعود إلى غرفتها.. بينما شهاب جالس هناك يقرأ كل ما يمكنه أن يقرأ عن الأساطير التي أحاطت بهذا المكان الذي وجدوا أنفسهم فيه دون ترتيب.. ساعتان من الوقت مضيا جاءت الأم بعدها تقول لشهاب:

أبوك رد عليّ.. إنه قادم بعد قليل.. لم أخبره بما حدث للين.. يمكنك أن تنام إذا شئت.

هز شهاب رأسه وهو يفرك عينه وينظر إلى جواله في إرهاق.. ولم تمض ساعة أخرى حتى غفا شهاب في مكانه.. وبقيت الأم ساهرة في سريرها تنظر إلى السقف تنتظر ناصر..

ومرت الساعات ولم يعد ناصر.. ونامت الأم من التعب.. ولم يعد في المكان شخص مستيقظ..

وهناك.. في غرفة لين..

فجأة..

فتحت لين عينيها..

كانت تسمع طنينا في أذنها ودقات أجراس عنيفة كأنها أجراس الكنائس.. كان الظلام سائدًا حولها في الغرفة إلا من نور خافت يتسلل من النافذة يضيف إلى الجو مزيدًا من التوتر..

دفعت لين نفسها لتقوم من السرير فوجدت كل قطعة في جسدها متجمدة تمامًا تأبى التحرك.. جذعها وأطرافها حتى أصغر إصبع من أصابعها.. كل شيء مثبت على السرير بأوتاد غير مرئية.. فقط رقبتها هي التي كانت تتحرك.. أدارت رأسها لتنظر إلى الغرفة في خوف.. ولم تكمل النظر كثيرًا..

فهناك يد كانت توضع على رقبتها ببطء.. يد مشعرة كما هو واضح من ملمسها..

نظرت لين إلى جهة اليد.. لم تكن يد رجل.. بل يد امرأة شاحبة الوجه مكحلة العين بلغ من ثقل كحلها أنه ينزل على خديها.. كانت المرأة تنظر إلى لين وتحرك يدها المشعرة على وجهها وتهمس بشيء كالترانيم بلغة قديمة الطراز غير مفهومة.. لكنها مرعبة بما يكفي..

صرخت لين صرخات عميقة بصوت عالٍ جدًا لكن جميع صرخاتها كانت تجعل المرأة تزيد من تحسسها وتزيد من ترانيمها.. ولين تزيد في الصراخ حتى شعرت كأن جمرات من نار تسقط على وجهها فأصبحت تتلوى مكانها بفزع..

خرج من جانب المرأة شاب أعور العين يحمل في يده شيئاً مثل المجمر الفخاري الملتهب بالجمر.. كان يضع يده في هذه النار ويخرجها ليرش قطرات من جمر على وجه لين التي أصبحت على بعد ثوانٍ قليلة من توقف القلب والموت من الفزع..

وهناك.. في مرأة الغرفة.. كان شيطان ثالث ينظر إلى كل هذا بهدوء من داخل المرأة ويبتسم.. ابتسامة من الخد إلى الخد..

· · — ·✶· — · ·

كانت الدكتورة مريم داخل المدرعة منهمكة في توصيل اللابتوب بالسيارة ومسح كافة بياناتها وعمل فورمات كامل للنظام وتنزيل نظام جديد وهي تنظر من النوافذ كل حين.. فغياب الشمس ودخول الليل كانا يشعرانها بالتوتر والرعب الفطري المغروس داخل كل أحد حتى لو كان من النوع

العلمي مثل مريم.. هي تعلم أن الجن موجودون.. ويسكنون الصحاري والقفار التي مثل هذه.. لكن عقليتها العلمية كانت مبرمجة رغم كل شيء أن هذه الأمور بعيدة عن العالم المادي ولا تداخل بينها وبين الإنس على الإطلاق.

في ذلك الوقت كان برنامج التنزيل يسألها إن كانت تريد الاحتفاظ بلقطات الكاميرا في السيارة قبل أن تمحو النظام كاملًا.. فهذه الهامر المدربة من الطراز الذي يحمل كاميرات خلفية وأمامية وجانبية تمكنك من رؤية كل شيء حول السيارة في أي وقت تشاء.

فتحت مريم أرشيف الكاميرا لعلها تجد شيئاً مهماً قديماً يجب الاحتفاظ به حتى ولو من الرحلات السابقة.. لكن الأرشيف كان فارغاً إلا من فيديو واحد فقط.. فيبدو أن السيارة لم تخرج في مهمات سوى هذه .. فتحت الفيديو الوحيد الذي أمامها والذي كان يسجل اللحظات عندما وقفت السيارة في الطريق الفرعي عند اليوكون والمهندس حازم يرجع بالسيارة ليغادر المكان ثم تصرخ مريم فيه أن هناك رجلاً ما في السيارة.. سجلت الكاميرا نزول مريم وهي تهرع للسيارة وخلفها حازم وهما ينظران بداخل اليوكون بتوتر ويتحدثان.. لكن قلب مريم كان قد بدأ يتم اعتصاره من الرعب في هذه الثانية.. فالكاميرا كانت تسجل اليوكون التي أمامهم وهي فارغة تماماً ليس فيها رجل أسود ولا أبيض.. فقط تظهر في الصورة مريم وهي تنحني على الكرسي الفارغ وتمد يدها إلى الهواء.. وتميل برأسها وتحدث الهواء.. اتسعت عين مريم وراء نظاراتها وبدأ تنفسها يصدر صوتاً مسموماً وهي تنظر أمامها عبر ضوء السيارة إلى اليوكون في هذا الليل وتحديداً إلى الرجل الأسود الراقد هناك في الظلام والذي رفع جذعه وقام من مرقده كأن لم يكن به بأس..

صرخت مريم صرخة قصيرة وقلبها يخفق والرجل يقوم من رقدته ويتحرك بسرعة مخيفة ناحيتها.. لم يكن هذا وقت التحليلات العلمية عن ماهية هذا الشيء بل وقت التفكير في كيفية النجاة..

تحركت يد مريم بسرعة وعصبية لتضغط زراً واحداً تعرفه في لوحة تحكم السيارة ليغلق كل الأبواب والنوافذ دفعة واحدة.. صدرت تكة الأبواب وارتفعت النوافذ بسرعة والرجل الأسود يقترب من السيارة ويأتي عند نافذة مريم وينظر لها بوجه غير الذي رأته عليه وهي تسعفه.. وجه عين تشفي.. بتلك العين ذات الاصفرار التي يملكها وشعره الأسود الذي ينسدل على جانبي خديه بطريقة تخلع القلب.

مد الرجل يده ليفتح الباب لكنه لم يقدر.. فرفع أصابعه ومررها على زجاج أمام مريم لتحدث وسط الغبار الملتصق أثرًا متقطعًا.. ثم دار إلى الناحية الأخرى حيث السائق وحاول أن يفتح ففشل.. فتحرك إلى الجزء الخلفي وفشل مجددًا.. سحبت مريم ذلك المسدس من الدرج وصوبته على المعتدي لعله يخاف ويمضي هاربًا لكنه نظر إلى المسدس كأنه ينظر إلى شيء عادي.. ثم أنزل نظره إلى الأرض حوله يتلمسها لعله يجد شيئًا يحطم به الزجاج.

بدأ عقل مريم يعمل متجاوزًا الصدمة الأولى وعملت شيئًا جعل الرجل يستدير إلى السيارة فاتحًا عينيه ببطء.. فجأة ضغطت زرًا معينًا فانفتح صندوق السيارة على اتساعه.

تحرك الرجل مباشرة إلى الصندوق ليدخل منه ومرر جسده بالفعل..

ودخل إلى صندوق السيارة.. وهنا في لحظة واحدة فتحت مريم الباب الذي بجوارها وخرجت من السيارة تمامًا وضغطت على زر المفتاح الذي في يدها فانغلق صندوق السيارة على الرجل الأسود.

بدأ الرجل ينظر حوله وعينه متسعة بشكل فيه وحشية واختلال نفسي لا تخطئهما العين وهو يحاول فتح الأبواب وإلصاق رأسه بالنافذة والعبث في أي أزرار.. لكن مريم كانت قد شغلت وضعية الأمان وإغلاق السيارة تمامًا حتى تكون كأنها حجر لا يستجيب لشيء.

تقدمت مريم من الزجاج ونظرت إلى عين الرجل الأسود المختل ومدت يدها إلى الزجاج تضع عليه علامة مثل تلك التي قد وضعها لها وقالت:

- أيًا ما كنت.. لصًا أو شيطانًا.. لا أحد يمكنه الخروج من الهامر بغير إذن صاحبها.

ورفعت مريم حقيبتها على ظهرها ووضعت فيها المسدس واستدارت تاركة إياه ينظر لها في غل.. وانطلقت إلى ظلمة الوادي..

· · — ·✶· — · ·

كاد قلب لين أن يتوقف من العذاب واثنين من الشياطين أحدهما عند قدمها يرمي عليها بقطرات من نار تحرق والأخرى عند رأسها تتحسس وجهها وتقترب من أذنها ويصدر منها صوت كالفحيح عند أذنها ثم بدأت تغني لها بصوت مبحوح بلحن قديم..

إيم نينعالو

إيم نينعالو دالتي ديفيم

دالتي ماروم لو نينعالو

إل شاي ماروما

إيم نينعالو

كانت لين تتلوى وتحاول دفع نفسها بقوة للقيام من السرير لكن شيئًا شيطانيًا كان يجثم على صدرها ويقيدها تمامًا..

تمالكت نفسها وأخرجت من داخلها جميع ما تبقى من عزم في روحها الصغيرة حتى تحررت فجأة وقامت من السرير بعنف شديد جعلها تصطدم بذلك الأعور فيسقط منه المجمر ويتحطم على الأرض وفقد هو التوازن من المفاجأة ووقع وهو يصدر زمجرة مكتومة غاضبة.

أصدرت لين صرخة عالية حملت فيها كل يأسها وعذابها الذي أذاقوها إياه ونزلت إلى الأرض والتقطت قطعة مكسورة من المجمر المتكسر

ورفعت يدها بقوة لتضرب بها وجه تلك المرأة التي كانت واقفة تنظر وعينيها بارزة مفتوحة شديدة الغضب..

وقبل أن تصيب الضربة وجه المرأة أمسكت يد الشاب الأعور بياقة لين من الخلف ومنعها من التحرك تمامًا وظهر كثير من الحزن غير المبرر فجأة على وجه المرأة الكحيلة وهي تقترب من لين وملامح وجهها تبدو شديدة التأثر ثم نزلت من المرأة دمعة واحدة سقطت على خد لين..

وفور أن نزلت تلك الدمعة.. تبدلت الدنيا كلها في عين الصغيرة.. كأن الغطاء قد انكشف عن بصرها..

لم تعد ترى ظلامًا في الغرفة.. بل كانت الغرفة مضاءة..

ولم تر امرأة كحيلة بشعة الوجه تبكي.. بل كانت أمها هي التي تقف أمامها تنظر في ذهول ودمعات ساخنة تفر من عينها..

ولم يعد هناك شاب أعور يمسك بياقة لين بل كان أخوها شهاب يمسك بياقتها بقوة ونظارته مائلة..

ولم تكن في يد لين قطعة من مجمر مكسور بل كانت تحمل قطعة من زجاج من كأس مكسور تريد أن تضرب بها وجه أمها..

جُمدت الدهشة وجه لين لدقيقة كاملة وهي تنظر بشرود تام إلى اللا مكان ولم يستوعب عقلها الصغير شيئًا مما حدث لها في الدقائق الماضية..

فمنذ دقائق.. وبينما كان الجميع قد أصابتهم غفوة التعب.. سمعوا صرخة لين فهبوا من مواضعهم إلى غرفتها فوجدوها مثبتة على السرير كأنما أصابها الجاثوم وعينها بيضاء تمامًا وتصدر منها حشرجات وصرخات بصوت ثقيل كأنه قد تلبسها شيطان مريد..

عندها جاءت الأم بجوارها تربت على وجهها وتتلو لها آيات من القرآن الكريم بينما ملأ أخوها شهاب كأسًا من ماء وقرأ عليه وبدأ يرش منه على وجهها قطرات بينما أمها تتلو القرآن وتنحني كل حين لتنفث في أذنها..

ولم تكن لين تسمع أو ترى كل هذا بل كانت تسمع صوت التلاوة على أنها ترانيم.. وصوت الأذان على أنه غناء يمني قديم..

فالكيان الذي تلبس بلين واستولى على عقلها وبصرها كان يهيئ لها صورة مختلفة تمامًا عن أقرب الناس إليها..

حتى كادت تقتل أمها بيدها..

ولم تحتمل الأم المسكينة مشهد ابنتها وهي تنظر لها بغل وترفع عليها قطعة الزجاج تريد أن تذبحها.. فبكت الأم..

وكأن هذه الدمعة حملت كثيرًا من مشاعر الحب والعاطفة بين الأم وابنتها حتى جعلت البنت تفيق من تأثير الكيان الذي تداخل مع نفسها أيًا ما كانت حقيقته.

ظل شهاب يربت على لين وينظر حوله إلى المكان بعين تختلف تمامًا عن نظرته التي جاء بها إلى هنا..

ووراء تلك العائلة الصغيرة الذين يحتضنون ابنتهم.. كان هناك شيطان باقيًا في المرآة له ابتسامة أصبحت مميزة..

من الخد إلى الخد..

نظر إليهم قليلًا ثم استدار وغادر.. في المرآة..

· · — ·✶· — · ·

وقف المهندس حازم وسط البيوت التي سكنت فجأة عندما طرق على الباب.. كان هذا شيئًا من الطراز الذي ليس له تفسير لا علمي ولا منطقي.. فقط تفسير واحد دار برأسه.. المكان مسكون.. بل لو أراد المكان أن يقسم له إنه مسكون ما فعل أكثر من هذا..

ذكر المهندس حازم الله بلسانه وتلا آية الكرسي وهو ينظر إلى المكان حوله.. إن ذلك الساحر لم يكن أخرق جدًا على أي حال.. المكان حقًا يستحق الأساطير التي تقال عنه.. إنها المرة الوحيدة التي يحدث له فيها شيء خارج علوم الطبيعة.

لكن بعض البيوت نوافذها مضاءة.. والإضاءة تعني كهرباء.. والكهرباء تعني بشر وفواتير يتم دفعها وحركة إنسانية.. هذا بحد ذاته يتعارض مع فكرة أن المكان مسكون.. بدأ الشك يساوره وتشتغل العقلية العلمية في محاولة التحليل والتفسير..

ابتعد حازم عن باب البيت الذي كان يقف أمامه ومشى قليلاً بين البيوت ينظر إليها.. ثم توقف.. فقد رأى أحد البيوت هناك بابه مفتوح.. وبداخله نور..

فكر أن يحاول الطرق على هذا الباب المفتوح ويدخل.. لربما يكتشف سر هذه الكهرباء.. وبالفعل اقترب حازم من الباب وطرقه بشكل قوي ونظر حوله في قلق.. لم يجد أي استجابة فتحرك إلى الداخل.. ونظر..

بيت عادي تمامًا من غرفتين وصالة ونوافذ.. لا يبدو أن هناك غبارًا على أي شيء مما يعني أن المكان مستخدم من بشر وليس قديمًا مهجورًا.. عاد المهندس حازم يخرج من البيت وينظر في

الشارع جيدًا وحول المبنى وإلى المباني المجاورة.. لا يبدو أن هناك مخلوقًا هنا رغم أن الساعة باكرة للنوم.. فصاح بأعلى صوته:

- هل هناك أحد هنا.. السلام عليكم..

لم يرد عليه أحد فدخل المهندس ذلك البيت المفتوح مجددًا وجلس على أريكة متوسطة الجودة هناك ورفع جواله يتصل بالدكتورة مريم..

لم تكن ترد على الاتصال مهما حاول.. ثم حسم قراره.. سيعود إلى السيارة.. هذه القرية لا أحد فيها.. لكن قبل هذا يجب أن يصلي المغرب سريعًا قبل دخول العشاء.. لن يحتاج سوى بضع دقائق.. كان معتادًا على الصلاة في وقتها بعد أن ضيعها لسنوات حتى جاء الوقت الذي خجل فيه من نفسه وبدأ ينتظم .. ولم يكن هناك قرار في حياته كلها أفضل من هذا.. أن تكون متصلاً بالرحمن على الدوام..

توجه إلى الحمام وتوضأ سريعًا ثم نظر في تطبيق الصلاة إلى مكان القبلة وتوجه إليها وصلى المغرب..

ارتاحت روحه وهدأت وسكن قلبه كثيرًا وقام من مصلاه واستعد ليخرج من المكان ويذهب إلى السيارة..

فجأة سمع باب البيت يطرق..

بهدوء..

وإن الطارق الذي يطرق بابك في قرية مهجورة لن يكون سوى طارق يطرق بالشر.. لكن حازم استجمع نفسه وتنهد تنهيدة يعطي لنفسه فيها الثقة ويهدئ من روعه ثم مد يده إلى الباب وفتح..

وجد أمامه مريم.. الدكتورة..

قالت له بلهجة سريعة:

- أهلاً.. ما الذي أخرك هكذا وماذا تفعل هنا؟

دخلت مريم من الباب مباشرة وهي تقترب منه بوجهها كثيرًا فابتعد عنها قليلاً تأدبًا..

تجاوزته مريم وهي تنظر حولها ببطء ثم قالت:

- الرجل ذو البشرة السوداء.. تبين أنه مريض.. ليس مريضًا بسبب الحادث بل مريض نفسي.. لقد كاد أن يقتلني

شعر المهندس حازم بالغضب وقال:

- ماذا حدث؟

نظرت له مريم من خلف نظارتها بتلك العين الجميلة التي تملكها وقالت وهي تقترب منه ببطء مريب:

- وماذا ستفعل إن أخبرتك؟

نظر لها حازم بدهشة.. ما بالها بالضبط.. إنها لم تكن هكذا.. يبدو أن شيئًا ما دفع الأدرينالين في عروقها فلم تعد تعتني بشيء..

قالت له:

- أنا وأنت سنبيت هنا حتى الصباح.. لا يمكننا المشي في الليل وسط هذه الصحراء.. أليس كذلك؟

ابتلع حازم ريقه وقال بلهجة جادة:

- ماذا حل بالرجل الأسود؟

قالت مريم بلا اهتمام:

- لقد حبسته في السيارة.

أومأ حازم برأسه متفهمًا. . كا ن متعجبًا من تغيرها. . دخولها البيت واقترابها منه بوجهها هكذا وطرحها فكرة المبيت.. كان يعرفها في المركز أنها من الطراز الخجول الشديد الأدب.. لم تكن تصرفاتها هكذا.. عاتب نفسه على هذا التفكير.. فهم في أزمة الآن.. وليس هذا وقت التفكير في هذه الشكليات.. وبالفعل لا يوجد فكرة أفضل من المبيت هنا الآن حتى الصباح..

نظر لها حازم وقال:

- فليكن يا دكتورة.. سأكون في تلك الغرفة هناك، وسأحاول الاتصال بالرفاق الآخرين.. إذا أردت الصلاة قبل دخول المهمة فيمكنك استخدام هذه الملاءة هنا كحجاب

كان يعلم أنها من القلائل اللاتي تهتم بالصلاة في الوقت تماماً حتى إنها تؤجل كل شيء لتذهب إلى المصلى في المركز..

ابتسمت مريم بزاوية فمها وقالت وهي تنظر إلى ملاءة مطروحة على الأريكة:

- بالطبع.. لا بد من الصلاة..

كان صوتها شديد الهدوء.. شديد العمق.. زفر حازم وذهب إلى تلك الغرفة وجلس هناك ينظر إلى جواله في توتر..

هناك شيء ما خطأ.. لكنه لا يدري أين هو..

قام من مكانه ورفع جواله يتصل باللبناني وهو يدور في الغرفة..

وبينما هو يمشي جيئة وذهاباً هكذا.. إذ نظر بطرف عينه إلى مريم التي ارتدت الملاءة وكانت تجلس على الأرض جلسة التشهد..

مط حازم شفتيه وأراد أن يخبرها أن هذا ليس اتجاه القبلة أصلاً.. لكن فجأة جاءه صوت رسالة ماسنجر فنظر إلى جواله..

وهبط قلبه هبوطاً حاداً..

كانت الرسالة من مريم..

تقول له:

- مهندس حازم أين أنت..

أربع كلمات فقط سحبت الدم من ملامحه تماماً وجفت عينه فجأة وهو ينظر إلى المرأة الجالسة هناك جلسة التشهد.. في غير اتجاه القبلة

· · — · ✶ · — · ·

كان لا زال أثر ترديد الأذان واقعاً في قلب ياسين وهو يقترب من شعلة النار التي برزت له هناك في جوف الليل وبدأت معالمها تتضح كلما اقترب منها حتى تبين له كل شيء.. هذه لم تكن مجرد نار بلا صاحب..

بل كان بجوارها رجل عجوز جالس على كرسي قديم ويضع على النار براداً للشاي..

ولم يكن جالسًا هكذا في العراء بل كانت وراءه خيمة متوسطة الحجم موضوعة على جانب الطريق غير الممهد..

اقترب ياسين من الرجل الذي كان يميل على النار ويضع فيها مزيدًا من الأعواد لتزيد شدتها وقال له:

- السلام عليكم يا عم..

نظر له الرجل بملامح ملؤها العجز والتجاعيد والحكمة وقال له:

- فرعون يا ولدي.. يسمونني عم فرعون..

دُهش ياسين قليلاً من الاسم وأصدر تعبيرًا متعجبًا وهو يرمي بنظرة إلى الخيمة التي تبين أنها ليست خيمة عادية بل مليئة بالخردوات والأشياء كأنها محل صغير.. قال له العجوز:

- اجلس يا ولدي.. خذ شايك.. القرية ها هنا قريب.

جلس ياسين وهو يتنهد وكل آثار الرعب الذي حدث له منذ قليل بدأت تذهب عنه رويدًا رويدًا وهو ينظر إلى وجه الرجل الذي يبدو طيبًا ينظر للنار في شرود.. قال له ياسين:

- الحمد لله أن هناك قرية هنا وبشرًا.. هل رأيت صاحبي؟ إنهما سعوديان.. نحن أصابنا حادث في الطريق قريبًا من هنا.

كان الرجل ينظر إلى النار ويقول:

كثير من الناس تمر من هنا.. لكن الذي يمر أمامي مرة.. لا يمر مرة ثانية.. فأنا أصبحت أنسى الوجوه ولا أنظر فيها.

سكت ياسين وهو ينظر حوله في توتر فقال له الرجل وهو يرمي حطباً جديداً في النار:

ما الذي جعلك تتلفت كل حين؟ أتنتظر أحداً؟

تنهد ياسين وهو يهدئ من تواتره قال:

لقد أهلكني الرعب.. كنت أتلو الأذان بخفوت وأسمع ترديده من حولي.. هل بهذا الوادي جن يا عم فرعون؟

قال الرجل المنشغل بالنار:

- يا ولدي إن على هذه الأرض مسلم وكافر.. بر وفاجر.. فإذا دخلت مثل هذه الوديان في جوف الليل ونطقت بشيء سيرد عليك أصحاب الوادي.. ولو نطقت بيتًا من الشعر.. لردوا عليك بشعر مثله.

اشتعل الخوف مجددًا في نفس ياسين وقال للرجل ليغير الموضوع:

- لا أدري كيف قطعت كل هذا الوادي وحيدًا.. قل لي يا عم فرعون هل هناك ورشة في القرية؟ إن سيارتنا بها عطل يبدو أنه صعب الإصلاح..

قال العجوز:

- ستجد ما تريد واضحاً في القرية.. لكن ستحتاج للمبيت فيها يوماً.. فإن غداً عيد النشور.. ولا أحد في القرية ينزل إلى عمله.

كان يسمع للمرة الأولى بهذا العيد فأومأ للعجوز برأسه مجاملاً وهو ينظر إلى جواله ويحاول الاتصال بمفلح أو الكوري..

جوال مفلح وجده مغلقًا بينما جوال الكوري كان مفتوحًا لكنه لا يرد.. والواتساب به عطب ما بسبب تغير توقيت الهاتف.. ربما بسبب تغير البلد.. حاول سريعًا حل المشكلة بالتغيير اليدوي لكن يبدو أن الأمر يحتاج إلى جلسة وبحث.. وكل من صاحبيه لا يستعمل الماسنجر.. ظل ياسين يحاول الاتصال بينما ينظر إلى خيمة الرجل ثم قام ليتجول فيها وهو يقول للرجل بأدب:

- هل تسمح لي بالنظر يا عم..

قال له الرجل وهو لا زال ينظر إلى النار بتركيز:

- تفضل.. ألقِ نظرة أنت أيضًا.. لا أحد يغادر عم فرعون ويده فارغة..

قام ياسين وهو يضع الجوال على أذنه ويتجول في الخيمة الصغيرة ينظر هنا وهناك.. هذا الرجل لديه عدد بسيط من كل شيء تقريبًا.. لفت نظر ياسين وجود كثير من الأقنعة المعلقة في جانب من جوانب الخيمة حتى إن الرجل وضع لها شبكة كبيرة.. اقترب ياسين من شبكة الأقنعة وعلى وجهه تعبير الشغف فقد كان يحب هذه الغرائب والمقتنيات جدًا.. وإن بعض الأقنعة هنا مرعب.. وبعضها غريب جدًا.. قال ياسين:

- يبدو أن الناس في القرية يحبون الأقنعة يا عم.

ظهرت نصف ابتسامة على جانب فم الرجل العجوز وهو يقول:

- تقليعة جديدة ظهرت على النت في اليمن السنوات الماضية.. أصبحوا يحتفلون بيوم النشور بوضع الأقنعة الغريبة ويصورون أنفسهم.. بدأ الأمر من صعفان في صنعاء وتمدد إلى القرى حولها.. لا أدري ما حاجة بني آدم إلى الأقنعة في يوم الفرح.. حتى في الفرح يضعون على وجوههم أقنعة.. ألا تكفي الأقنعة التي يلبسونها على بعضهم طيلة الوقت.

ابتسم له ياسين وهو يمسك أحد الأقنعة.. كان متقن الصنع حقًا.. قال له العجوز:

- خذ قناعًا أنت أيضًا.. على الأقل لا تمشي في القرية هكذا بلا قناع في عالم مليء بالوجوه الكاذبة.. أما أقنعتي فإذا ارتديتها سترى الناس على حقيقتهم.. واعتبره هدية.. فهو آخر قناع سأبيعه في هذا العيد.. البقية لن يأتي عليهم طلب سوى العام القادم..

أخذ ياسين القناع وجاء عند العجوز وجلس وقال:

- شكرًا لك يا عم فرعون.. هل هناك مركز طبي هنا.. أريد أضمد جراحي هذه حتى لا تتلوث مع الوقت.. وربما سأجد أصحابي هناك.

قال له عم فرعون:

- نعم هناك مستشفى صغيرة.. ستجدها هي أول شيء مضاء في طريقك.

تنهد ياسين وهو يشكر عم فرعون شكرًا جزيلًا وينحني له بأدب ويغادر المكان متوجهًا إلى القرية..

ولم يمش بضع خطوات على الطريق حتى رأى على جانب الطريق امرأة..

كانت تحمل رضيعها..

وتنظر له في صمت..

تثاقلت قدما الكوري عن التحرك وهو ينظر إلى المحتفلين وهيئاتهم التي تثير الرعب.. فلم يكن ذاك احتفالاً عاديًا.. بل كان الجميع فيه بلا استثناء يرتدون أقنعة غريبة وكثير منها أقنعة وحوش مرعبة..

لكن خوفه هدأ عندما رأى بينهم أطفالًا يرتدون نفس الأقنعة ويلعبون وعليهم أثواب مزينة بيضاء اتسخت من الركض في التراب.. اطمأن أن هذا غالبًا مهرجان شعبي.. خاصة أن الناس كانوا يرتدون ملابس يمنية زاهية جدًا وكثير منهم يحملون دفوفًا وطبولاً ومزامير.

دخل الكوري بخطوات حذرة يمشي بين الأقنعة.. أي احتفال هذا بالضبط.. لا يوجد هنا شخص واحد لا يرتدي قناعًا.. حتى النساء يرتدين.. وأقنعتهن عبارة عن براقع صلبة ملونة ومزينة تسمى في اليمن البتولة..

رأى ألوانًا من الفرح لم يكن يظنها يمكن أن تحدث في قرية صغيرة.. حركات جماعية بالسيوف وطلقات تضرب في الهواء وأشعار تقال بصوت عال.. وكان هو الوحيد الذي لا يرتدي قناعًا في المكان حتى بدا مظهره شديد الغرابة بملابسه الممزقة من بعض أجزائها بسبب الحادث وتلك الجروح على وجهه ورقبته.. ورغم كل شيء قرر أن يبحث وسط كل هؤلاء القوم عن طبيب.. فصديقه مغشي عليه ولا يستجيب.. ويحتاج إلى إسعاف عاجل.. ولا بد أن هناك طبيبًا هنا.. وسط هذه الألوان والأقنعة.

أوقف أحدهم وأمسك بكتفه وهو يقول:

- معذرة أنا أبحث عن طبيب.. هل تعرف طبيبًا؟

وقف صاحب القناع ينظر له بصمت مخيف ولم يرد.. ثم استدار ومشى إلى ما كان يصنع.. تحركت شفتي الكوري باللعن وهو يمشي ويبحث بين الناس عن شخص واحد يسمعه لكنهم كانوا يتجاهلونه ويكملون احتفالهم كأنه لم يوجه لهم كلامًا أصلاً.

وفجأة شعر بيد توضع على كتفه من الخلف فاستدار برعب..

كان رجلًا عجوزًا تبدو على ملامحه كثير من الحكمة.. قال له:

- لا تضع وقتك وتبحث عن طبيب بين هؤلاء الغوغاء.. تعال معي.. فكبراء القوم والحكماء والأطباء كلهم هناك في قصر القصور.

كان ذلك العجوز هو الوحيد هذا الذي لا يرتدي قناعًا.. وله ملامح تبعث على الهدوء وصوت دافئ.. فاطمأن له الكوري ومشي وراءه حتى أخذه إلى قصر كبير للاحتفالات.. أمامه مجموعة من الناس حركاتهم أهدأ وملابسهم أكثر رقيًا وأقنعتهم متشابهة..

سحبه العجوز من يده ومشى به وسط الناس حتى أدخله إلى القصر الفاخر ثم قال له:

- ابق هنا ولا تتحرك.. سآتيك بالطبيب على الفور.. وعليك أن تتحمل الثمن..

استدار العجوز وتوجه دون كلمة أخرى إلى باب القصر.. وفتح الباب وخرج.. ثم أغلق الباب بعنف شديد غير مبرر..

وفور أن أغلق العجوز الباب.. انطفأت الأنوار كلها في لحظة واحدة واختفى جميع البشر والأقنعة والثياب الفاخرة..

ولم يعد في المكان صوت نفس يتنفس..

ارتجفت أوصال الكوري وجف حلقه.. لقد كان في حفل للجن.. بين رجال من الجن ونساء من الجن.. وأطفال.. وأقنعة وطبول من الجن..

عجزت قدماه عن حمل جسده الخفيف حتى إنه سقط على الأرض وسط الظلام ولم يعد يسمع في المكان سوى دقات قلبه هو..

وحرك الخوف بداخله شعورًا بالبكاء طلع على عينيه وهو ينظر حوله في رعب..

ومن بين جنبات الصمت انفتح الباب فجأة محدثًا صريرًا عاليًا ودخل منه شخص يبدو هزيلاً يرتدي زي رجال الأمن ومشي ينظر إلى المكان بعين ضيقة يحاول أن يرى في هذا الظلام وقال:

- أنت هناك.. ماذا تفعل هنا..

نظر له الكوري بهلع ولم ينطق حرفًا فقال الرجل بحزم:

- قصر القصور اليوم ليس فيه احتفال.. يوم النشور هو غدًا وليس اليوم.. من فضلك اخرج ولا تحدث مشاكل.

نظر الكوري بفزع مرتجف إلى الرجل الذي استدار ومشى إلى الباب ثم فتحه وأغلقه بعنف..

وفور أن أغلق الرجل الباب..

إذ انفتحت جميع الأضواء فجأة وظهر جميع البشر والأقنعة والثياب والطبول..

ولم يكونوا في تلك اللحظة يحتفلون أو يتحدثون بل كانوا ينظرون بأقنعتهم إلى شخص واحد.. الكوري..

· · — ·✶· — · ·

في اللحظة التي عرف فيها ناصر طبيعة الرمال حدث شيء أزال كل الدهشة من قلبه وأنزل بدلاً منها الرعب..

فبينما هو ينظر إلى الرمال.. شعر بشي ما ليس طبيعيًا في المكان كله.. الهواء أصبحت حركته أسرع مما كان.. وزادت ظلمة الأجواء رغم أن القمر كما هو في موضعه..

نظر ناصر وراءه بشكل فطري..

ولم تنقبض عضلات يده هذه المرة من الشعور بالخطر.. بل انقبض كيانه كله..

فالقرية بكاملها بمبانيها وعواميدها التي تصنع نورًا خافتًا ومحطاتها المهجورة.. كل هذا اختفى تمامًا كأن لم يكن..

فزع ناصر لأول مرة في حياته فزعًا يتعلق بشيء ما ورائي.. وأسرع الخطى وهو ينظر إلى كل جهة في الأفق.. إنه لم يمش بعيدًا عن القرية بل كان يسير بمحاذاتها وهي أمام ناظره طوال الوقت.. كيف انمحت عن الوجود في لحظة.. كيف لا تظهر في أي اتجاه يوجه إليه بصره..

حتى أنوارها الخافتة انطفأت بل اختفت تمامًا عن البصر..

سقط قلب ناصر من الرعب وأخرج جواله ليتصل بزوجته مرة ثانية فعرض له الجوال رسالة مقتضبة تقول إنه لا توجد شبكة في المكان على الإطلاق..

تحول سيره إلى ركض سريع وهو يعيد تشغيل جواله ويحاول الاتصال مجددًا بلا فائدة..

أهدأ ناصر من سيره ونطق بآيات يحفظها من القرآن الكريم وهو يحاول تهدئة نفسه الثائرة لئلا يصاب بالجنون..

ومن وسط ظلمات ذلك الوادي رأى إنسانًا يمشي ونور القمر يظهره بالكاد..

كان عجوزًا له شعر أبيض طويل جدًا يتجاوز كتفيه طولاً.. كل شيء فيه يدل أنه جن.. فلا يوجد بشر لهم هذه الهيئة اليوم..

لكن ناصر لم يهتم بمنظر الرجل على الإطلاق.. وهرع إليه قائلاً - لقد ضللت طريقي يا عمي.. كنت خرجت من القرية.. في تلك الناحية.. ثم انشغلت بالأرض ونظرت فلم أعد أراها في أي مكان على مد البصر كأن لم تكن..

قال له الرجل وشبح ابتسامة بائسة يظهر على وجهه:

- أنت لم تضل.. كثير قبلك ضلوا.. لكنك لم تضل.. أنت دخلتها وخرجت.. فلا تعد..

لم يفهم ناصر فقال للرجل:

- إن عائلتي بالداخل.. عائلتي كلها في القرية..

قال الرجل العجوز:

- هذه القرية ميتة مثل هذه العظام منذ آلاف السنين.. لكنها تحيا عندما يخطو أحد إليها بقدمه ويدخل..

الفصل الرابع

عشيرة برهوت

غادر ياسين خيمة الرجل العجوز والأفكار تتقاذفه يمينًا وشمالًا.. ولم يكد يمضي في الطريق حتى رأى المرأة التي كانت معهم في السيارة تقف على جانب الطريق وتحمل رضيعها بتلك الأغطية الحمراء التي عليه..

هرع ياسين لها وسألها بشعور حقيقي من اللهفة والاهتمام:

- أختي هل أنت بخير هل أصابك شيء.. ورضيعك هل أصابه سوء؟

نظرت له بصمت وهي تقول بعين لا ترمش:

- لقد نجونا.. ربما بسبب الوسادات التي انفتحت في أرجاء السيارة.

قال ياسين بارتياح:

- حمدًا لله على سلامتك.. هل رأيت أصحابي.. هل هم بخير؟

قالت المرأة وهي تنظر له بعين ثابتة:

- إنهم يبحثون لك عن إسعاف داخل القرية.. لقد أوصلتهم بقومي هناك ليساعدوهم.. لكن.. يبدو أنك لم تعد بحاجة لإسعاف..

وضع يده على جبهته المجروحة وهو يقول:

- نعم أنا بخير ولله الحمد.. فقط بعض الكدمات في أنحاء جسدي وهذا الجرح في وجهي.

قالت له المرأة:

- ادخل وراءهم إلى مساكننا.. لقد شاهدتهم عند المستشفى.

ابتسم لها ياسين وقال لها بعين حانية:

- هل تحتاجين شيئًا يا أختي.. لقد أهلكناك معنا.. كدت تموتي.

تطلعت إليه بصمت غير مفهوم ولم ترد.. فقال وهو يكمل كلامه:

- لا تغضبي مما فعله صاحبي.. سأحاسبه على ذلك.

قالت له وعينها لا تنغلق:

- ما زلت أذكر كلمتك الغاضبة له في السيارة من أجلي.. أنا لا أنسى.. أبدًا..

ابتسم لها ياسين وأحنى رأسه لها احترامًا ثم تحرك ليمضي إلى

طريقه.. فنادته من ورائه قائلة:

- أيها الشاب.

التفت ينظر لها بتساؤل فقالت له:

- هذا القناع.. لا ترتديه.

قال لها مستغربًا:

- لماذا؟

قالت وهي تحدق فيه:

- إن وجهك جميل كما هو.. وهذا القناع سيفسد وجهك.

ابتسم لها ياسين محرجاً جداً وشكرها ثم انطلق إلى طريق المستشفى.. هناك شيء مريب في هذه المرأة لكن يبدو أن أهل هذه القرى يتكلمون وهم فاتحو أعينهم بهذه الطريقة.. جاء على باله مشهد حساسات السيارة وهي تتحرك فور دخول هذه المرأة للسيارة.. لكنه لم يفسر هذا بشكل سيء.. فهذه السيارة تبين أنها أصلاً خربة وعندما يعود سيساعد مفلح على رفع قضية على الشركة.

مشى ياسين بين بيوت القرية وهو ينظر إلى أضوائها الخافتة وعواميدها وأناسها المنتشرين في الطرقات والذين لا يظهر عليهم أي شيء غريب حتى وصل إلى المستشفى ودخلها.. كانت مجرد وحدة صحية حديثة لها دورين وليست مستشفى كما تقول الكلمة.

وعند مكتب الاستقبال وجد فتاة حسناء الوجه لم تحتج لأكثر من بضع كلمات من ياسين حتى عرفته وقالت:

- أنت من الحادث.. سعيدة حقاً بسلامتك.. لقد عالجنا أصحابك وهم في ضيافة قومنا بينما طلبنا لك سيارة إسعاف من خارج القرية.. فوحدتنا هذه ليس فيها سيارة.. لقد خشينا أن نحملك في سيارات القوم ويحركوك نزولاً وصعوداً لئلا تكون مكسوراً.

قال ياسين:

- لقد خشيت على نفسي أن أكون قد انكسرت لكن الحمد لله أطرافي كلها تعمل ومفاصلي بخير.. فقط بعض الجروح المفتوحة في وجهي ورقبتي.

ابتسمت له الفتاة وقالت:

- سأفتح لك غرفة الطوارئ لنضمد لك جراحك.. وسأتصل بقومنا وأخبرهم أنك هنا.. وأنك نجوت.. وهم سيفعلون كل اللازم..

قالت كلمتها الأخيرة وابتسامتها تتسع.. من الخد إلى الخد...

بذلة أنيقة يمشي بها صاحبها وسط الرمال بوجه ممتعض وهو لا يكف عن خبط نفسه بيده كل حين ليزيل التراب عن البذلة ولا يريد وضع يده على شعره لئلا يفسده بالتراب.. بجواره رجل يمني ساحر قديم يمشي بوجه متنكد.. آخر شيء في الدنيا كان يريده هو أن يأتوا به إلى هنا دون أي تحضير.. قال له اللبناني وهو ينظر إلى الشمس التي بدأت رحلة المغيب:

- اسمع يا هذا لقد جئت بك ودفعت لك مبلغاً كبيراً من المال وأقنعت هؤلاء العلماء الذين معنا أنك دليل محلي رغم أنك ساحر سيئ السمعة.. وحركت بعثة بكل عتادها وأدواتها وأقنعتهم أننا نبحث عن سر جيولوجي سنكسب منه أموالاً... وأنت تعلم أن هذا كله هراء.. وتعلم لماذا جئنا هنا.. لكني لا أرى أنك تفيد.. هل أنت الساحر الذي يقولون عنه أم أنك دجال؟

قال الساحر حيدر وهو ينظر إلى الرمال بعين ملؤها الضيق:

- ما كان يجب أن نأتي هنا ونقتحم هذه الأرض هكذا فجأة.. إن أعتى السحرة لا يدخل هنا بغير تعاويذ وطقوس وقرابين.. لو تدري ما في هذه الأرض من شر وجن ما فكرت أن تأتي إليها حتى وإن كان فيها ذلك الكنز الخرافي الذي يزعم وجوده أجدادك اليهود.

قال اللبناني ميشال بغضب:

- كل ما يحيط بهذه الأرض من أساطير هو محض هراء الهدف منه إبعاد المتطفلين.. والكنز الذي تهزأ به ليس خرافياً بل إن ملكاً من ملوك الدولة الحميرية اليهودية القديمة دفن كنوزه هنا في

هذه الأرض.. وتوارث أجدادي اليهود مكانها.. لكن ما كان فيهم رجل له عقل.. كلهم بلهاء يملكون عقولاً مثل عقلك.. جن وشيطان وبلاهات.. نحن في القرن الحادي والعشرين يا حمقى متى تفيقوا بالضبط؟

أشار الساحر إلى الأرض وهو يقول:

- طالما جئت هنا ودفعت هذا المال وأتيت بساحر قديم فضع لسانك في فمك ودعه يسوقك ليوصلك إلى كنزك اللعين.. هذه أرض جن تتحول وتتغول حسب رغبة أصحابها.. ألم تر بعينك أنه كان هناك طريق على هذه الأرض مشت عليه السيارة منذ قليل.. وكان طريقاً من النوع غير المسفلت لكنه شبه ممهد.. أين هذا الطريق الآن.. هل هناك عقل يا صاحب العقل يقول إن طريقاً كهذا كان هنا منذ ساعة يختفي من الوجود هكذا فجأة.

أشعل ميشال سيجارته وهو يقول:

- هذه صحراء تجري فيها الرياح كل حين.. طبيعي أن يختفي أثر الطريق.. ولعله سيظهر مع دفعة أخرى من الرياح..

فجأة توقف الساحر وهو ينظر للأمام مضيقاً عينه فنظر اللبناني إلى حيث ينظر..

كانت هناك خيمة طويلة كاملة منصوبة وسط الصحراء وأبوابها مفتوحة ويظهر أن بداخلها بشر.. تقدم منها الساحر بأقدام مترددة وهو يمد عنقه لينظر لداخلها من بعيد حتى ارتفع حاجباه قليلاً..

كان في الخيمة مجلس رجال من الطراز البدوي الأرضي.. وهناك عدة شباب في الخيمة.. بعضهم جالس وبعضهم يرتب حطباً وآخر يشعل النار وآخر يصب الشاي.. كانوا جميعاً سود البشرة مثل ذلك الذي رأوه في السيارة.. قال لهم الساحر وهو يرفع يده بتردد محيياً:

السلام عليكم.

قالوا له بلهجة قوية:

وعليكم السلام والرحمة.. تفضلا.. حياكما.

نظر الساحر إلى ميشال وأومأ له فقال ميشال:

- السـ.. سلام عليكم.

ردوا عليه السلام بنفس القوة.. كانوا شبابًا من الطراز الذي يوحي مظهرهم بالثقة في الصحراء.. ذلك الشباب المتحمس الذين يشمرون سواعدهم ويحبون التخييم والبر.. تحرك أحدهم محييًا ودعاهما إلى جانب من الخيمة يجلسا فيها.. دخل الساحر وميشال وجلسا والساحر يهمس له:

- إذا رأيت مجموعة من الناس في وسط البر وسلمت عليهم وردوا عليك السلام فحتى لو كانوا من الجن يستحيل أن يؤذوك.

مط ميشال شفتيه غيظًا وهو يهمس:

- لو أنك تستخدم هذا الفم في شيء آخر مفيد غير سرد الأساطير.. إن القوم سود البشرة.. وأنت قلت إن السود أصلاً لا يعيشون هنـ

فكف عن التظاهر بالعلم فأنت أحمق.. أحمق.

قال اليمني:

- بعض السود الأخدام يتنقلون كالبدو لا مشكلة لأنهم فقراء.

نظر ميشال في خيمتهم ومجلسهم الذي لا يوحي بأي فقر وهو يهز رأسه ساخرًا لكنه سكت..

حكى لهم الساحر اليمني ما حدث لهم باختصار.. وأنهم رأوا واحد أسود البشرة من جماعتهم في السيارة المقلوبة.. كانوا مذهولين من هذا ومهتمين جدًا ومتحمسين للمساعدة على الفور.. قال أحدهم:

- لا عليك يا أخي.. فقط يأتي صاحبنا بالسيارة وننطلق لسيارتكم.. واطمئن حتى لو كانت صخرة صماء سنشغلها ونحركها..

تنهد ميشال بارتياح وهو ينظر للرجال وللخيمة وقد اطمأن من هيئة الرجال أن كل شيء على ما يرام..

لكن كان هناك شيء واحد لا يبدو صحيحًا..

شيء كان يلاحظه ميشال كل حين ثم ينشغل في الكلام في شيء آخر..

في البداية كانوا أربعة عندما دخلوا عليهم الخيمة أول مرة..

ثم أصبحوا خمسة.. لا بأس ربما يكون هناك من كان يدور خلف الخيمة..

لكنهم الآن عشرة..

عشرة ولا توجد سيارة أتت ولا راحت.. ولا أثر شيء يدل أن هناك شخصًا أتى من أي زاوية بالجوار..

· · — · ✶ · — · ·

عشرات الوجوه المقنعة توقفت عن أي شيء تفعله وأصبحت تنظر إلى الكوري في صمت.. فتراجع بخوف وهو ينظر إلى صمتهم الذي لم يدم سوى ثوان معدودة..

ثم تحركوا إليه كلهم أجمعين..

كان الباب بعيدًا عنه جدًا وكثير منهم يسدون الطريق فاستدار الكوري وانطلق بعزم إلى سلم البهو الذي يؤدي إلى الطابق الثاني..

كان سلمًا طويلاً قطعه الكوري وهو يثب بخفة وفزع حتى وصل إلى أعلاه في بضع خطوات فقط..

كان الحشد وراءه يمشون ببطء واثق حتى بدأوا يصعدون السلم بينما هرع الكوري إلى أول باب واجهه في الطابق الثاني وفتحه بسرعة هاربًا في رعب..

وجد نفسه في سيب طويل فيه أبواب على اليمين والشمال وباب واحد في نهايته.. مشى في السيب بخطوات متوترة.. ثم قبل أن يتحرك خطوة أخرى.. انفتح الباب الذي في نهاية السيب

فجأة.. ورأى الكوري آخر شخص يتوقع أن يراه في هذه اللحظة بالذات..

مفلح..

توقف الكوري بلا حراك ينظر إلى مفلح الذي كان في غاية الإرهاق..

قال له مفلح وهو يلهث:

- أخيرًا وجدتك.. هل تهرب من نفس الذي أهرب منه

تراجع الكوري بشكل فطري لم يفهمه هو نفسه ونظر إلى مفلح بريبة وخوف وقال له:

- إنهم بالأسفل يتحركون ببطء لكنهم يصعدون ورائي.. حاولت طلب النجدة ولم أستطع.. لكن حمدًا لله كلمني والدك على الماسنجر لأن جوالك مغلق.. قال إنه سيرسل النجدة.. أنت تعلم أنه لديه أصدقاء في اليمن.

سكت مفلح قليلاً ثم قال:

- جيد.. كان طبيعيًا أن يجده مغلقًا.. فأنا فقدت جوالي وسط هذا الجنون.

تراجع الكوري بسرعة مفزوعًا وفتح واحدًا من الأبواب الجانبية وهرب منه بعيدًا..

إن والد مفلح ميت منذ زمن بعيد.. فهذا ليس مفلح.. هذا شيطان لعين..

خرج الكوري من الباب ليجد نفسه في سيب آخر خرج منه إلى سيب ثالث دخل فيه بتوتر ثم فتح غرفة جانبية دلف إليها بسرعة واختبأ داخل خزانة خشبية صغيرة وأسكت جميع أنفاسه..

مرت دقائق ثقيلة.. ثم انفتح باب الغرفة.. ودخلت خطوات تمشي ببطء.. ثم توقفت الخطوات بغتة.. قريبًا جدًا من الخزانة..

أخرس الكوري ضربات قلبه وهو يتنفس ببطء والخطوات تتجول داخل الغرفة قليلًا ثم تتحرك لتغادر الغرفة كلها وتغلق الباب..

وجاءه خاطر زاد من رعبه وجفاف حلقه.. كيف استطاع أن يخدع شيطان مفلح.. ألا يفترض أن القرين يعرف كل شيء عن قرينه.. هل يكون مفلح قد مات ومات قرينه الحقيقي معه أو غادر المكان كله وهذا شيطان متمثل عادي.. ثم ماذا عن عن قرين الكوري نفسه.. هل ينظر له الآن وهو مختبئ.. أفلن يذهب ويخبر القوم عن مكانه.. أو ربما هم يعلمون مكانه ويتلذذون بالخوف الذي يحدثوه في قلبه.

ارتجفت عروق الكوري.. إن هؤلاء جن يتلاعبون به.. وهو حبيس أرضهم التي دخل إليها بكامل قواه العقلية.. ولن يمر وقت طويل حتى يعرفوا موضعه هنا.. وهم كثير جدًا.. داخل القصر وخارجه..

· · — ·✶· — · ·

لم يكن ناصر ينظر إلى هيئة العجوز الذي خرج وسط الظلام ولا إلى ذلك الشعر الأبيض الطويل الذي يتدلى بجواره حتى يكاد يمس الأرض.. إنما كان همه على القرية التي اختفت من الوجود أمامه حتى شك في

أنا هنا.. وذاك العجوز يتحدث بكلام غير مفهوم.. فشعر ناصر بالرعب وهو يقول ثائرًا:

ألا تسمع يا هذا.. أسألك عن القرية وتحدثني عن العظام الميتة أين هي القرية يا رجل.. لم تعد هناك قرية في الأفق..

قال العجوز:

- إن كنت لا تراها يا ولدي.. فربما يحيط بك قبيل من الملائكة يحمونك ويحجبون عنك سحر أصحابها.. فإن لسانك لا ينقطع عن الذكر..

أبعد ناصر وجهه وهو يستغفر غاضبًا ثم نظر إلى الرجل ومد يده إلى ياقته حتى يمسك بها في عنف.. ثم تحول الغضب كله إلى فزع.. فلم يعد الرجل واقفًا هناك.. اختفى هو الآخر كما اختفى كل شيء..

تجمد ناصر تمامًا وعيناه تدور في الأفق وبدأ عقله العنيد يستوعب.. أن هذا الذي يحدثه لم يكن من قبيل البشر..

ولم يدعه العجوز يكمل أفكاره بل جاءه صوته من أمام وجهه مباشرة وهو مختف عن البصر:

- أنت دخلتها وخرجت.. فلا تعد.. فلم يدخل إليها بشري وعاش أكثر من ليلة واحدة.

شعر ناصر بلمحات من الفزع تسري في كيانه.. فهذا الذي يواجهه ولا يراه ليس سوى شيطان..

نزل الخوف ثقيلًا على قلبه.. ولم يكن خوفًا من الشيطان بقدر ما كان خوفًا على عائلته.. فخوفه عليهم أكبر من خوفه على نفسه ذاتها.. فشعر بدفعات من الغضب تسري في كيانه.. لم يكن يعتني بإنس أو جن هنا.. طالما سيؤذي أحبائه فسيدفع الثمن أيًا ما كان..

فجأة سمع الصوت قريبًا من ورائه مباشرة يقول:

- قلبك لا يهاب يا بشري..

التفت ناصر بسرعة ليجد العجوز أمام وجهه كأنما ظهر من العدم فانخلع قلبه وهو يتراجع بشكل غريزي لكن العجوز استدار مغادرًا وهو يقول:

- إذا أردت العودة فاتبع آثار خطواتك على هذه الرمال وادع ربك وقل يا بصير.. فهو الذي حجب.. وهو الذي يزيل الحُجُب.

نظر ناصر بشكل فطري إلى الأرض التي يظهر عليها آثار مشيه السابق مطبوعًا على الرمل الرمادي وبدأ العجوز يغادر المكان بنفس البطء الذي أتى به.. لكن ناصر ناداه:

- يا هذا..

استدار له العجوز فقال ناصر:

- أنت.. مسلم..؟

أجابه العجوز:

- وإن من شيء إلا يسبح بحمده.. ولكن لا تفقهون تسبيحهم..

نزل شيء من السكينة على قلب ناصر لما سمع هذه الآية وتحرك قلبه بتسبيح الله بشكل تلقائي وأراد أن يقول شيئًا لولا أنه شعر بحلقه قد جف تمامًا.. كان محاربًا قديمًا.. وأكثر شيء يزلزل أطراف المحارب أن يواجه شيئًا لا يفهمه ولا يراه.. فاستجمع نفسه وقال:

- أخبرني عن هذه الأرض.. ما هي؟ وما هذه العظام النخرة التي تبدو كهيئة الرمل؟

أجابه العجوز: - أرض من أرض الله كانت عامرة ويعيش فوقها أفجر أنواع البشر حتى نزل بهم الخسف وهلكوا جميعًا وهدمت جميع مساكنهم وأكلت الأرض أجسادهم وأبقت عظامهم.. وأصبحت الأرض من بعدهم ساكنة كأنه لم يمسسها بشر ولا دبت عليها قدم إنسان.. وأقبلت عشائر كاملة من الجن والشيطان هم الأكثر خبثًا على هذه الأرض وسكنوا المكان وصار لهم ع..

فجأة غادر العجوز كالطيف في الظلام.. دون مقدمات.. فجعت عين ناصر وهو يبحث عنه بعينه في توتر حتى توقف بصره عند مكان معين.. وبدأ قلبه يهوي ويرتجف.. بالغضب..

فهناك.. تحت الأفق الخالي في ضوء القمر.. رأى ناصر الاثنين اللذين قابلاه عند دخوله للقرية..

كانا يقفان بتلك الابتسامة التي تميز وجهيهما من الخد إلى الخد.. ووراءهما رجال كثير آخرون يصنعون على وجوههم ذات الابتسامة القميئة..

وهنا فعل ناصر أغرب شيء يمكن أن يفعله إنسان يرى الجن في أرض خلاء..

اندفع بغضب ناحيتهم.. دون أن يتردد أو يتلكأ خطوة..

لكنه توقف بأسرع مما تحرك وهو يرى المكان الذي وقفوا فيه يصير خاليًا كأنما عادوا إلى الظلام الذي خرجوا منه..

أطلق ناصر سبة وهو ينظر إلى اختفائهم عن النظر..

ثم امتقع وجهه وأذنه تلتقط أصواتًا قميئة من نوع آخر..

نوع حيواني يعرفه حق المعرفة..

فقد دهس حياة عدد لا بأس به منهم بالسيارة قبل ساعات..

خرجوا له من ظلمات الوادي وجوانبه.. وفي عيونهم نظرات كارهة مقيتة..

ولم يكونوا جماعة قليلة هذه المرة.. بل قبيلة كاملة من القردة أحاطت به من كل الجهات بلا منفذ..

عشرات القرود الوحشية انبعثت من الظلام وانقضت على ناصر بمخالب لا ترحم..

وسالت الدماء البشرية مجددًا على أرض برهوت..

· · — ·✶· — · ·

مشت الدكتورة مريم بضع دقائق في ذلك الطريق غير الممهد بعد هروبها من الرجل الأسود.. وبالرغم من ظلمة الطريق ووحشته إلا أنها لم تكن خائفة على الإطلاق.. حتى بعد لقطات الكاميرا التي شاهدتها.. فقد فسرتها بخلل في الإضاءة خاصة أن كاميرات السيارات مصممة لتصوير الجزء القريب من السيارة وليس الأجسام البعيدة عنها.. وغالبًا وضعية الرجل في السيارة مع ضعف الإضاءة أخفياه عن الصورة.. وهكذا هي العقلية العلمية لا يمكن أن تقتنع إلا إذا وضعت لها الجني في عينها..

لكن سبب ضيقها الأكبر وسط كل هذا هو أنها اكتشفت أن خاتمها قد سقط منها وسط هذا التوتر.. غالبًا سقط وهي تفتح باب السيارة وتخرج بسرعة لتحبس الرجل.. وهو خاتم غالٍ جدًا عليها لأنه مهدى من والدتها المتوفاة.

دخلت مريم إلى البلدة الصامتة من جهتها الأخرى ومشت تنظر إلى المباني حتى وجدت مستشفى صغيرة هي المكان الوحيد هنا الذي فيه بشر مستيقظون كما هو واضح..

وقفت أمام باب المستشفى وهي تنظر إلى جوالها وترسل رسالة ماسنجر إلى المهندس حازم.. قالت له: «مهندس حازم أين أنت؟».

ثم أرسلت رسالة أخرى تقول: «هذه القرية ساكنة جدًا.. هناك مستشفى وحيدة هنا.. سأنتظرك عندها».

لاحظت مريم أن المهندس شاهد الرسالة وبدأ يكتب شيئًا ما بسرعة ثم مسحه بنفس السرعة..

وكتب: «لا بأس سآتيك هناك».

كانت كلمته مقتضبة على غير عادته معها في الرسائل.. على إن وجوده في هذا التوتر كان يطمئنها نوعًا ما.. فهو من الطراز الشهم من الرجال الذي تطمئن وهو معك في أي موقف..

دخلت مريم إلى المستشفى وهي تنظر إلى حالتها المتواضعة..

رأت شابًا مجروح الجبهة والرقبة يقف أمام فتاة الاستقبال بشيء من التوتر وهو يحمل في إحدى يديه قناعًا مرعبًا.. اقتربت منه مريم وقالت:

- معذرة.. هل أنت صاحب اليوكون المقلوبة؟

نظر لها الشاب الذي لم يكن سوى ياسين وقال:

- نعم نعم.. كان معي اثنين من أصدقائي وانقلبنا بطريقة مريبة جدًا.

قالت مريم:

- هل كان معكم رجل أسود البشرة طويل الشعر يقود السيارة؟

قال لها ياسين بفزع:

- أسود البشرة طويل الشعر؟ في سيارتنا؟ لا على الإطلاق.. إن أحد أصدقائي قمحي البشرة ممتلئ الجسم جدًا والآخر أبيض شعره مثل الكوريين.

قالت لها فتاة الاستقبال الحسناء:

- ذلك الأسود لص من لصوص الطريق يا سيدتي.. عسى ألا يكون قد ضايقك.

قالت لها مريم:

- إن بلدتكم هذه بلدة شؤم.. سيارتنا تعطلت وتجمدت عجلاتها.. واثنان منا غادرا في الصحراء.. وهاجمنا لص طويل الشعر.. وهؤلاء الشباب انقلبوا.. وأنا خاتمي ضاع..

ابتسمت لها الفتاة قائلة:

- معذرة سيدتي لقد طلبنا النجدة لسيارة الشباب وسنطلبها لسيارتكم أيضًا.

ثم قالت بلهجة مازحة محاولة تلطيف الجو:

- أما عن خاتمك فأتمنى ألا يجده جني.. فالناس يقولون إن الفتاة التي تضيع خاتمها ثم يجده جن.. فهذا يعني أن الجن عقد زواجه بها.. ولن ينفك عنها أبدًا..

ابتسمت مريم لدعابتها وقالت:

- نعم هذا ما ينقصني حتى تكتمل المصائب..

وهناك.. عند السيارة المدرعة.. كان الرجل الأسود لا يزال محبوسًا يدور بوجهه يمينًا وشمالاً في غضب ثم توقف لحظة وهو ينظر إلى الزجاج..

كان حول السيارة مجموعة من الرجال واقفون بجمود تام وعلى وجوههم تلك الابتسامة المميزة..

وفجأة انكسر زجاج السيارة الأمامي وتفتت تحت ضربة قائد الرجال المبتسمين الذي نظر للرجل الأسود وقال:

- هيا أيها الجرذ الحبيس.. الحفل يكاد أن يفوتك..

خرج الرجل الأسود من السيارة ووثب إلى الأرض والرجل المبتسم القائد ينظر له في سخرية.. ثم استدار الرجال ومشوا عائدين إلى ناحية القرية ومعهم قائدهم..

وتحرك الرجل الأسود ليمشي وراءهم إلا أنه توقف بغتة ونظر إلى الأرض وانحنى يلتقط شيئًا صغيرًا لامعًا من بين الرمال.. ونظر له وابتسامته تتسع..

كان خاتمًا..

· · — ·✶· — · ·

مال اللبناني ميشال على أذن الساحر اليمني وهو ينظر إلى رجال الخيمة الذين يكثر عددهم كل حين وقال بشيء من القلق:

- دعنا نذهب من هنا..

ابتسم الساحر وهمس له:

- لم العجلة يا رجل.. نحن لم نر شيئًا بعد..

أراد ميشال أن يهمس بشيء في غضب لكن عينيه انفتحتا عن آخرهما وهو يسمع نباح كلب غاضب وراءه مباشرة فاستدار له برعب..

كان الكلب ضخم الجثة يحاول أن يشد القماش في غضب شديد ثم أدخل فمه النابح بين ستائر الخيمة.. فجع ميشال وابتعد للخلف واستدار ونظر إلى الرجال ليطلب منهم أن يربطوا كلبهم..

وارتسمت كل آيات الفزع على وجه ميشال في هذه اللحظة..

فجميع الرجال العشرة ذوي البشرة السوداء لم يكونوا في مواضعهم.. بل لم يكونوا رجالاً من الأساس.. بل وجد عشرة كلاب سود الوجوه ينبحون في وجهه بغضب ووحشية..

ولم يكد ميشال يتهيأ حتى ليقوم من مقامه إذ هجمت الكلاب كلها في وقت واحد وتجاوزت الساحر اليمني تمامًا كأنها لا تراه ونزلوا على ميشال ينهشون في لحمه بلا رحمة..

كان يصرخ ويتلوى ويحمي وجهه بيده بينما يركل بقدمه بيأس لكن الكلاب لم تكن تفعل هذا تخويفًا كما تفعل بعض الكلاب.. بل كانوا جائعين..

قام الساحر ينظر إلى ميشال والكلاب تنهش في لحمه ونظر له بامتعاض قائلاً:

- نسيت أن أخبرك يا يهودي.. أن جميع تغولات وتحولات الجن إذا كشفها إنسان فإنها تبطل.. وتعود إلى حقيقتها.. والحقيقة دائمًا أبشع..

وفي غمضة عين.. تحولت الخيمة السوداء الفاخرة بكل ما فيها إلى تراب رمادي انهال على الأرض كأن لم تكن قائمة..

تحركت بعض الكلاب إلى اليمني تنبح في وجهه بعنف وتزمجر لكنها لا تقترب..

... اللبناني... منها ووضع يده بجرأة شديدة على بلعومها حتى مات.. كان يعلم أن هذه الكلاب لها تقديسها الشياطين، ولذا لم يشعر أمعاؤه بشيء واحد هو القتل بلا رحمة.

أما هو فلم يهرب.. وإن لهذا سببًا كان يختفي وراء هذه الابتسامة الشاملة التي نظر بها الساحر إلى الكلاب التي تنهش في الرجل حتى تركته جثة هامدة مقطعة الأطراف..

اقترب الساحر ووضع يده في جيب ميشال وأخرج جواله وحاول فتحه فوجده محميًا بالبصمة.. فأمسك بيد ميشال المفرغة بالدماء ومسحها بقميص ميشال ووضعها على مستشعر البصمة في الجوال فانفتح مباشرة..

نظر الساحر إلى التطبيقات التي فُتحت حديثًا وقلب بينها بسرعة حتى اختار منها تطبيقًا معينًا.. فتح التطبيق لكنه كان محميًا ببصمة الوجه فأمسك بشعر ميشال ووضع وجهه أمام الجوال ففتح التطبيق الذي يريده ونظر إليه في تمعن..

كان في ذلك التطبيق الخريطة الكاملة التي ورثها اللبناني من أجداده اليهود..

ابتسم الساحر حيدر وهو يقلب في جوانب الخريطة وحاول إرسالها إلى جواله فلم يقدر فقد كان عليها حماية ببصمة وجه ميشال ضد الحذف أو النسخ أو الإرسال..

ولم يكن ممكنًا أن يصور الخريطة بكاميرا جواله فهي تحتاج إلى تكبير وتصغير وفيها كثير من التفاصيل الدقيقة..

ولم يضع الساحر اليمني وقتًا.. أمسك بحقيبة ميشال وأفرغها كلها على الأرض.. ثم أخرج من حقيبته هو سكينًا صغيرًا..

ونحر اللبناني دون ذرة تردد واحدة.. ورمى برأسه في الحقيبة الفارغة وأغلقها..

ووضع جوال اللبناني في جيبه وتحرك ماشيًا في الصحراء وهو يقول:

- بقي اثنان..

وبقيت الكلاب تدور حول الجثة بلا هدى.. فقد شبعت بطونها وارتوت من الدم..

· · — ·✶· — · ·

سكنت ملامح المهندس حازم لثوانٍ كأنه جماد وهو ينظر إلى رسالة مريم التي تسأله أين هو وتخبره أنها ستنتظره في المستشفى.. بينما مريم جالسة أمامه إلى غير موضع القبلة..

ثم انفك الذهول عن كيانه وهو يتراجع في حذر وينظر إلى المرأة بينما أصابعه تكتب على الجوال لمريم أنه سيأتيها..

لم يكن لهذا الذي يحدث سوى تفسير واحد من خارج الطبيعة..

فحتى لو كان هناك عطب يؤخر الماسنجر عن استلام الرسائل.. فإن وقت إرسال الرسالة المكتوب أسفلها يكون دائمًا هو وقت إرسالها الحقيقي..

وهذه رسالة مرسلة في التو..

قامت المرأة واقفة ببطء وذلك الحجاب منسدل على رأسها يخفي وجهها بينما هو يرجع بخطواته بحذر حتى وصل إلى الباب..

ثم التفتت المرأة..

كانت تحمل ملامح مريم نفسها غير أن الجلد الذي حول عينيها كان غزير التجاعيد كأنها عين امرأة عجوز..

اهتز قلب حازم رعبًا وتجمدت جميع أطرافه واندفع لسانه سريعًا ليتحرك بالاستعاذة والقرآن.. لكن في اللحظة التي بدأ يحرك فيها شفتيه شعر بشيء مروع يستولي على كيانه من الداخل كأنما يصرع..

أمالت المرأة رأسها وهي تتقدم منه وتتمعن في وجهه..

كانت تعبث في عقله حتى لا ينطق بأي شيء..

كاد هذا أن يجعله ينهار من اللحظة الأولى لكنه تحامل على نفسه وحرك يده بسرعة إلى الباب وفتح المقبض في قوة ليهرب من المكان كله..

ولم ينفعه تحريك المقبض بأي شيء كأنه خرب هكذا من تلقاء نفسه.. رغم أنه فتحه بنفسه منذ دقائق وأدخل هذه الشيطانة..

سمع صوتها كأنه فحيح الأفعى تقول:

- أنت تحدث الكثير من الضجيج.

بدأ حازم يضرب الباب بقدمه ويشد المقبض ثم يحاول سحب الباب من حافته لكنه توقف تمامًا وهو يبعد يده بارتجاف عن الباب وينظر له كالملسوع..

ففي غمضة عين.. لم يعد لهذا الباب أي مقبض.. أصبح بابًا مصمتًا تمامًا..

ابتلع حازم ريقه في صعوبة واندفع بكيانه كله إلى النافذة يبعد الستائر في يأس.. وانقبض قلبه مجددًا.. فلم يكن هناك زجاج أو نافذة..

بل حائط رمادي جامد لا فرجة فيه..

كان هذا يتجاوز حدود المعقول الذي عرفه في حياته.. فتوقف عن التفكير بالطريقة التقليدية ودفع بيده إلى الحائط الرمادي الجامد.. ظن أن الأمر خداع بصر من ألاعيب الجن.. لكن يده اصطدمت بالفعل بحجر صلد لا يهتز..

بدأت نفسه تنهار تمامًا وهو يتحرك في الغرفة كالحبيس مبتعدًا عن المرأة وأصبح الدمع يفر من عينه فرارًا.. وإن الخوف إذا زار قلبًا لا يفرق بين الصغير والكبير.. العالم والجاهل..

توجهت إليه المرأة وهي تعبث في شعرها بينما يعود وجهها إلى ملامح مريم التي يعرفها وقالت:

- ما بالك.. ألم تكن معجبًا بهذا الوجه وتنظر له خفية..

عاد وجهها إلى البشاعة التي كان عليها وهي تقول:

- **وكنت أنا أنظر إليك خفية..**

فجأة أخرج حازم جواله وقربه من فمه ضاغطًا على زر معين لتفعيل الأوامر الصوتية وقال:

- **تشغيل آيات الرقية.. لطرد الجن الشيطان.**

وعلى الفور استجاب الجوال وبدأ يفتح مقطعًا معينًا من القرآن الكريم لكن الشيطانة تحركت إلى الوراء وهي تصدر فحيحا يخلع القلب.. وفجأة انسلخ الجوال من يد حازم وطفا في الهواء ثم اندفع كالسهم يصطدم بالحائط في عنف مرة وثانية وثالثة حتى تحطم على الأرض..

اتسعت ابتسامة المرأة وهي تقول:

- **أكنت تظن ألا قدرة لنا على الماديات..**

كان هذا يفوق قدرة حازم على التحمل.. بل يفوق قدرة أي بشر.. ولم تمهله الشيطانة أكثر.. قررت إنهاء اللعبة سريعًا.. وتقدمت في تلك اللحظة لإنهاء روحه..

· · — ·✶· — · ·

... لقول لا يقطعه سوى صوت أنفاس خائفة في خزانة مغلقة.. ورغم أن خطوات الجن خرجت من الغرفة إلا أن الكوري لم يجرؤ على مغادرة الخزانة..

مد يده في جيبه بحذر وأخرج جواله وأخفض إضاءته إلى الحد الأقصى وهو ينظر إليه في توتر ثم فتح تطبيق الخريطة السوداء.. كانت هناك خدمة في التطبيق يمكن بها تحديد موقع أصدقائك الذين معك في الرحلة حتى لا تضيعوا من بعضكم البعض.. لكن البرنامج كتب له رسالة أن هذه الخدمة لا يمكن تفعيلها لأن الجي بي إس معطل.. لكن يمكنك تتبع نشاط أصدقائك على البرنامج..

فتح الكوري تقرير نشاط مفلح وشاهد اللايف القصير الذي فتحه والأغنام التي ظهرت وراءه ثم هروبه وإغلاق اللايف.. ورأى التعليقات التي كانت تهزأ به في البداية ثم تحولت بعد إغلاق اللايف إلى تعليقات إيجابية فقال أحدهم إنه قد بلغ الشرطة اليمنية.. وآخرون قالوا إنهم متوجهون إلى المكان الآن للمساعدة..

هدأت نفس الكوري قليلاً وعاد له الأمل من التعليقات.. لكن سرعان ما تسلل له الرعب الذي يغص الحلق.. فهو محبوس هنا.. ولو أتت نجدة للمكان فلن يجدوه طالما هو مختبئ داخل القصر.. والخروج من هنا مستحيل بأي حال.. فهو لا يكاد يصدق أنه كان منذ دقائق يقف بين حشد كامل من رجال الجن وإناثهم.. وأنه التقى مع شيطان حقيقي في هيئة صديقه المقرب..

حاول الكوري السيطرة على أنفاسه حتى لا يصدر صوتًا من توتره وفتح مساعد الذكاء الاصطناعي في تطبيق الخريطة السوداء وكتب له بجمل قصيرة مختصرة كل شيء.. الحادث والقرية والأقنعة والقصر.. لعله ينفع بشيء..

قال له المساعد:

- مؤسف جدًا ما حدث لك.. بالنسبة لصديقيك الاثنين مفلح وياسين فإنني لم أتمكن من تحديد موقعهما بسبب التشويش على الجي بي إس.. لكن نظام استشعار الخطوات يشير أن خطوات مفلح سكتت تمامًا منذ أكثر من ساعتين.. وهذا يعني أنه فقد جواله غالبًا أو مات.. أما ياسين فقد تحركت خطواته منذ ساعة.. ولا زالت تتحرك.. مما يعني أنه نشط وحي.. لكن لا يمكن تحديد إن كان قريبًا منك أو بعيدًا.

كتب له الكوري:

- كيف أنجو من هنا.. القصر مليء بحشود الجن وقد تحركوا باحثين عني.. وبالخارج أمة كاملة من الجن تنتظر..

قال المساعد:

- حسب ما رويت فإن حارس الأمن الذي دخل إلى البهو تحدث عن يوم النشور.. وهذا عيد قديم تحتفل به قبائل اليمن واستحدث البعض ارتداء الأقنعة فيه.. غالبًا أهل هذه القرية التي يقال إنها

انخسفت كانوا يحتفلون به في مثل هذا الوقت من العام.. والخروج من هنا ليس مستحيلاً.. وهو يتلخص في جملة واحدة.. **لا تكن الوحيد الذي بلا قناع.**

كتب الكوري بسرعة:

- أخبرني المزيد..

قال المساعد:

- إن دخول الشيطان إلى غرفتك منذ دقائق ثم خروجه يعني أن الجن لا يميز البشر بالروائح ولا بالطاقة ولا بالحرارة.. فلم يبق سوى أنهم يميزون الإنس بالنظر.. وبما أنك في حفل كبير للأقنعة فلا تكن الوحيد الذي بلا قناع.. حتى لا تلفت النظر.. ولا تبق في مكانك هذا كثيرًا فما هي إلا ساعة أو أقل ويكتشفون أمرك.. فهذا قصرهم وهم يعرفونه.. وسيأتون لإعادة البحث في غرفتك هذه بعد حين..

نظر الكوري بتوتر إلى الشاشة وكتب:

- يستحيل أن أحصل على قناع هنا.. جميع الأقنعة موضوعة على

وجوههم..

قال المساعد:

- اصنع قناعك الخاص.. استخدم الأشياء التي في الغرفة.. الستائر..

مفارش الطاولات.. أغطية الكراسي.. أي شيء يصلح..

كان الكلام منطقيًا.. منظمًا.. لكنه مخيف.. ويحتاج لقلب به جرأة غير عادية.. ولم يكن الكوري يملكها.. لكن رائحة انتظار الموت أشد من رائحة الموت نفسه.. والموت سيأتيه لا محالة إذا بقي في هذه الخزانة ينتظر..

دفع الكوري باب الخزانة ببطء وخرج بأكثر طريقة لا تحدث صوتًا ونظر في الغرفة سريعًا بعين فاحصة.. كان لديه منذ صغره موهبة التشكيل والفن وذهنه واسع الحيلة في هذه الأمور.. وببضع نظرات هنا وهناك عرف ماذا سيفعل..

سحب ستارة سوداء من مكانها وخلعها بعناية ثم أخرج قداحته التي كان يستعملها في التدخين وأخرج ميدالية مفاتيحه وسخن مفتاح سيارته تسخينًا طويلاً حتى بدأ يحمر من الحرارة.. ثم أخذ المفتاح وبدأ يمرره على قماش الستارة الأسود ليصنع تجويفين للعين.. ثم فتح تجويفين صغيرين عند الخدين.. وأخذ شريطة بيضاء كانت تربط قماش الستارة وثبت أطرافها في تجويفي الخدين فصارت الشريطة مثل الفم الأبيض.. وسحب تلك الشراشف التي يزينون بها الستائر وفتح لها عدة تجويف عند الرأس ثم قطعها من الستارة وثبتها بعناية فظهرت كهيئة الشعر الأبيض..

ورغم أن عشر دقائق كانت كافية في الوضع العادي ليد ماهرة مثل يده لتصنع شيئًا كهذا لكنه احتاج إلى نصف ساعة بسبب التوتر والرعب.. ولم يمض الكوري النصف ساعة خارج الخزانة بل دخل فيها وهو يكمل عمله مختبئًا.

قال له المساعد:

- غير من هيئة ملابسك إن كنت تقدر ثم اخرج وسط الجموع ولا تجعل حركة متوترة أو خائفة تصدر منك حتى لا تنكشف وأغلق الصوت تمامًا في جوالك فربما صوت إشعار واحد يكون هو سبب موتك.. وافتح الأبواب بحرص شديد وتنقل ببطء في المكان حتى تصل إلى سلم الطوارئ الخلفي.. فأي قصر لا بد أن يكون فيه سلم طوارئ.. ومن هناك يمكنك الهرب من المكان كله.

أخذ الكوري القناع الأسود الذي صنعه ووضعه فوق رأسه وربطه في رقبته حتى يكون مشدودًا على وجهه وخرج من الخزانة بحرص وأخذ واحدًا من مفارش الغرفة وفتح فيه فجوة بطريقة معينة ليجعله كرداء طويل يخفي كثيرًا من ملابسه..

تغير مظهره كثيرًا بعد أن وضع القناع الذي ظهر مرعبًا بشكل ما بهذا الفم الأبيض الضاحك والشعر الأبيض والسواد التام الذي يغطي الوجه..

أخذ دقائق طويلة يحاول التهوين على نفسه ويشد على قبضته حتى يخفف من رجفة جسده.. ثم تنهد الكوري.. وخرج من الغرفة..

· · — · ✱ · — · ·

شيطانة تتحرك وراءك في غرفة مغلقة مصمتة ليس فيها منفذ للخروج.. وليس معك شيء تدفع به عن نفسك إلا الذكر.. وحتى هذا لا تقدر أن تفعله فهي تضرب جوانب رأسك بالصرع كلما حاولت أن تنطق..

تقدمت الشيطانة من حازم ببطء واثق وهي تعلم أنه لم يعد له مهرب.. فخطواته المتراجعة وصلت إلى أقصى حدود الغرفة..

رائحة الموت تطل من كل زاوية.. وشريط ذكرياته يمر سريعًا على خاطره لقطة لقطة.. كل آماله وأحلامه وأحزانه ومعاصيه..

وبدأت العين تدمع والقلب ينقبض..

ومن بين مشاهد ذاكرته التي تجري أمامه.. كان هناك مشهد واحد فقط توقف في ذاكرته وتكرر مرات ومرات.. مشهد بائد من أبعد مناطق طفولته.. حينما نزل مع جده إلى المسجد القريب من البيت.. وجده يعلمه أن يستغفر طوال طريقه إلى المسجد وأهداه مسبحة لأجل هذا.. وانقضت الصلاة في ذلك اليوم.. ورآه جده جالسًا في المسجد ممسكًا بالمسبحة ويستغفر بعد الصلاة..

لكن يده الأخرى كانت تمسك بالجوال القديم ذي الأزرار تعبث فيه أثناء الاستغفار.. وفي طريق الرجوع قال له جده:

- سأسألك سؤالاً يا حازم.. لو أنك فعلت شيئًا من شقاوتك ثم أتيت لي وقلت سامحني يا جدي.. سامحني سامحني وأنت تعبث في جوالك وتلعب ولا تنظر لي أصلاً وأنت تقولها.. هل تظن أني سأسامحك.

قال حازم الصغير:

- طبعًا لا.

قال جده وهو يضع يده على صدره الصغير:

كذلك الاستغفار يا حازم.. إذا لم تكن تشعر به هنا في صدرك وتلتفت إليه بقلبك كل مرة تقول فيها استغفر الله.. فليس هذا باستغفار يا ولدي..

مر هذا المشهد بشكل خاطف متكرر على ذهنه لكنه أوحى إليه بشيء وهو يشاهد عين المرأة التي بدأت تتوحش وهي تزداد اقترابًا..

إن ذكر الله يكون أصله في القلب.. وليس اللسان.. اللسان ما هو إلا وسيلة.. ثم إن تحريك اللسان يمكن أن يكون داخل الفم المغلق دون أن يظهر أثر ذلك على الوجه..

ورغم أن المرأة صارت أقرب إليه مما يجب إلا أن حازم استجمع ذرات عزمه كلها وأغمض عينيه وبدأ يقول في قلبه.. أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.. يقولها وهو يشعر بكل كلمة فيها.. أعوذ.. أي ألتجئ وأحتمي بالله العظيم.. من الشيطان الرجيم.. وقال.. باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم..

كان يذكر ويحرك لسانه داخل فمه.. ومضت الثواني عليه ولم يسمع حوله صوتا.. ثم فتح عينه فجأة..

كانت الغرفة خالية تمامًا.. اختفت منها المرأة كأن لم تخلق يومًا.. وعاد مقبض الباب كما كان.. إلا أن جواله لا زال محطمًا في الزاوية..

تفككت مفاصل حازم وهو يسند بظهره على الجدار ودقات قلبه لا يزال صوتها عاليًا.. فأصبح يتنفس بعمق ويهدئ نفسه رويدا رويدا..

وفجأة.. سمع طرقات على الباب..

واندفعت ضربات قلبه تصعد إلى أقصاها مجددًا..

نظر حازم إلى الباب عاجزًا عن فعل أي شيء..

وعاد صوت الطرقات بإصرار..

قال حازم بصوت متحشرج ضعيف جدًا:

- مـ... من يطرق..

أجابه صوت عجوز جدًا من خارج الباب:

- أخوك...

لم يرد حازم.. ولم يكف صدره عن الارتجاف.. وأغمض عينه من الارتعاب وهو يستشعر اسم الله تعالى في ذاته..

وعادت الطرقات مجددًا..

قال حازم بصوت مسموع:

- أعوذ بالله تعالى.. أعوذ بالله من الشيطان.. ليس لي إخوة.. ليس لي إخوة..

أجابه الصوت العجوز:

- على هذه الأرض إخوان لك من الجن.. يشهدون بالله مثلك.

تحركت نفس حازم بالخوف وهو ما زال يرتجف ولم يرد..

لكن الطرقات عادت تضرب الباب بإصرار ثم قال العجوز:

- إياك أن تمد يدك وتفتح هذا الباب فقد أدخلت نفسك في أرض ليست لك.. فقط ائذن لي.. وسأتيك.

نظر حازم إلى الباب في توتر.. إن كيانًا شيطانيًا واحدًا في هذا المكان كاد يوقف قلبه.. فماذا عن قرية كاملة من الشياطين..

لكن لو كان هذا الطارق شيطانًا لما ذكر الله..

عادت الطرقات على الباب.. فقال حازم بلسان مرتعد:

- أذنت.. لك.

ودخل الجن الثاني..

وما شعر حازم بدخوله.. فقط توقفت الطرقات على الباب..

وبينما كان حازم ينظر إلى الباب في ترقب..

سمع صوت العجوز من جانبه وهو يقول:

- نحن لا ندخل الأبواب دون إذن أصحابها.

تحركت عين المهندس برعب تنظر إلى مصدر الصوت..

رأى رجلًا عجوز الجسم عجوز الوجه يملك شعرًا أبيض طويلاً جدًا يكاد يصل إلى الأرض.. ويجلس على كرسي في الجوار..

كاد تسارع دقات قلب حازم أن يسقطه مغشيًا عليه وهو ينظر إلى هيئة الرجل الذي أكمل يقول:

- أليس نبينا الخاتم -صلى الله عليه وسلم- كان إذا ذكرنا عندكم يقول إخوانكم من الجن.. فأنا أخوك..

هدأت نفس حازم بذكر رسول الله بينما كانت لا تزال أطرافه ترتعد بشكل فطري وتثاقل لسانه حتى لم يعد قادرًا على نطق كلمة..

قال العجوز وهو يشير إلى الباب وشعره يغطي نصف وجهه:

- أصغ سمعك.. إن خارج هذا الباب لم يعد كما كان.. إنهم بانتظارك.. فلا يدخل إليهم بشر ويخرج على قدمين..

وأصغى حازم سمعه..

وبالفعل..

لم يعد الخارج صامتًا كما كان..

· · — · ✶ · — · ·

صوت المفتاح يدخل قفل الباب في غرفة العائلة اليمنية.. انتبه شهاب وأمه من شرودهما وهما في غرفة لين.. كان هذا الصوت يعني أن الأب قد عاد.. وبالفعل وجدوا ناصر يدخل إلى الغرفة بملامح جادة ويقول:

سنضطر المبيت في هذه البلدة إلى بعد غد.. هناك مشكلة في السيارة.

قال له شهاب:

- غير انقطاع البنزين؟

قال ناصر:

- نعم ما زال هناك تسريب من التنك.. لقد سألت كثيرًا من القوم هنا فقد خرجوا وملؤوا الشوارع.. قالوا إن هناك ورشة يمكن أن تصلحها لكنها لن تفتح إلا بعد غد.

قالت له الأم بعصبية:

- وأنا لن أنتظر هنا يوماً آخر.. أنت لا تدري ما الذي حصل.

حكت له الأم ما حدث من تلبس عنيف للين وكيف أرادت أن تذبح أمها.. وأن هناك شرًا في هذه القرية.. شرًا مقيمًا..

مط ناصر شفتيه في أسى وذهب إلى غرفة لين.. وفور أن دخل الغرفة انتفضت القطة وأصدرت صوتًا مرتعبًا وهربت بفزع مفاجئ بعد أن كانت قد سكنت قليلاً في الساعات الماضية.. لم يعرها أحد اهتمامًا وناصر يضع يده على جبهة لين التي كانت نائمة في سكون ثم التفت إلى الأم وقال:

- فاطمة.. نريد بعض الأغراض من صندوق السيارة.. فنحن سنبيت هنا ليلتين.. انزلي معي فأنتِ تعرفين موضع كل شيء في الحقائب.

نظرت له بدهشة قليلاً كأنها تستغربه ثم عادت لعصبيتها وقالت:

- أصلحوا السيارة كما فعلتم من قبل ولنملأ البنزين من المحطة ولنذهب من هنا.. أنا لن أبقى في هذا المكان.

قال ناصر بحزم:

- لم يعد هذا ممكنًا الآن.. التنك خرب تمامًا.. ما عاد ينفعه لاصق.. هيا بنا.. سننزل معًا.. شهاب انتبه على أختك

ثم تحرك إلى الباب بشكل سريع وفاطمة تنظر له غير مرتاحة لكنها خرجت معه..

وفور أن أغلق الباب تحرك القفل من تلقاء نفسه ليوصد الباب دون تدخل من أحد.. ولم ينتبه شهاب لتحرك القفل فقد كان ينظر بشرود إلى الأرض.. كان يشعر أن والده.. فيه غرابة..

وبالأسفل أعطى ناصر المفتاح لزوجته لتفتح السيارة وتخرج الأغراض المطلوبة ريثما يتحدث مع فتى الاستقبال عن شيء ما.. أخذت فاطمة المفتاح وهي تنظر إلى وجهه بنفس الشرود الذي كان في شهاب.. لكنها دفعت خواطرها بعيدًا وتحركت خارج الفندق متوجهة إلى السيارة.

كانت الشوارع ممتلئة بالناس حقًّا.. ورغم هذا فقد شعرت بالانقباض في قلبها.. فأي قرية هذه التي لا يخرج سكانها إلا في الليل.. نظرت لهم لوهلة وهي تحاول طمأنة نفسها.. إنهم عاديون.. رجال ونساء وأطفال.. لا يوجد شيء غريب.. الغرابة كلها في زوجها ناصر.. منذ متى كان ينظر بهذه الطريقة..

وبينما هي شاردة تنظر إلى حركة الناس.. رأت طفلاً صغيرًا وسط الزحام ينظر إليها بعينين تملؤهما الدموع..

وهبط قلبها إلى أسفل قدميها..

ثم تحركت ناحيته بشيء من التردد وهي تنظر له في رهبة..

كانت تعلم أن هذا الذي تراه أمامها هو من تصاوير الخيال بسبب كثرة تفكيرها به..

فهو.. فادي ابنها الذي مات دون العاشرة..

منذ موته وقلبها لا يفكر في سواه بالدنيا حتى أصبحت تراه في مناماتها ويقظتها.. لكن ليس بهذا الوضوح..

تحركت الأم إلى صورة ابنها وهي تنظر له في شوق وعيناها تترقرق بالدموع..

وكانت كلما اقتربت من صورته لا تذهب ولا تتموه كما هي العادة في هذه الصور النفسية..

أما هذه الصورة فكانت تتضح أكثر..

بل إن الطفل لم يكتفِ بالنظر بل بدأ يتحرك ناحيتها بخطواته الصغيرة.. فتلهف قلبها عليه وأصبحت تسرع من خطوتها..

وفي الفندق.. بينما كان شهاب شاردًا في أفكاره منتظرًا أبويه.. سمع صرخة تشق جنبات الصمت..

هب من مكانه مفزوعًا.. إن هذا صوت أمه التي تصرخ..

وكان صوت صرختها مريعًا كأنه يتم ذبحها..

أسرع إلى باب الشقة يفتحه بقوة فوجده موصدًا بالقفل..

وبكل قوته ضرب الباب بعنف غاضب وهو يسمع صرخات أمه بالخارج تعلو.. حتى انقطعت تمامًا..

· · — · ✱ · — · ·

وكررها ثلاثًا.. فلم يعد يسمع أصوات أطفال تلعب.. بل ظهر صوتهم الغاضب شبيهًا بصوت الضباع وهم يتحركون حوله في الغضب.. لكنه كان يكرر الاستعاذة بقلب مرتجف ويتحرك خارجًا من الدائرة ببطء حتى خرج منها بالفعل..

ولم يمش خطوتين حتى سمع صوتًا يعرفه جيدًا..

نباح كلب البعثة المتوحش.. ذلك الذي هرب من المكان في أول الأمر حينما شعر بما فيه من خطر..

وجد حازم ذلك الكلب يقف أمامه والشر يخرج من بين عينيه وهو ينبح في توحش شديد ويتهيأ للهجوم.. تذكر حازم كلام العجوز عن الدواب والحيوانات لكنه لم يجد حتى وقتًا للتذكر..

فقد هجم الكلب..

ودون سابق إنذار قفز على حازم وأنشب مخالبه في لحمه بوحشية..

وقفت ممرضة حسناء أمام ياسين وقالت له:

- تفضل.. غرفة الطوارئ جاهزة من أجلك.

نظر ياسين إلى ناحية مريم وأحنى لها رأسه في تحية وقال:

- أتمنى أن تنصلح سيارتك سيدتي.. وأن تجدي خاتمك.

أومأت له مريم برأسها شكرًا وهي تنظر إلى ذلك القناع الغريب الذي يحمله..

ثم أخذت الممرضة ياسين إلى غرفة الطوارئ وقالت له:

- الطبيب سيأتيك في الحال.

جلس ياسين علي السرير وفتح جواله.. ما زالت جوالات الشباب لا ترد.. لكن أكبر مشكلة كان يفكر بها الآن هي كيفية إصلاح اليوكون..

الفصل الخامس

الضحية

فتح الكوري الباب بأكثر بطء وخفة ممكنين وهو ينظر من الزاوية الضيقة للباب المفتوح ثم يخرج من الغرفة في صمت..

كان يصغي السمع جيدًا قبل أن يفتح أي باب.. وقد تجنب تمامًا الطريق الذي جاء منه إلى هنا لأنه سيوصله إلى البهو.. وطريقه بعيد عن البهو.. فتحرك إلى الطريق المعاكس.. وكانت معظم الأبواب التي فتحها في طريقه هي أبواب غرف صغيرة لا فائدة منها.. حتى وصل إلى باب معين وراءه صوت ضجة واضحة..

لم يكن هناك مهرب من أن يفتح هذا الباب.. فكل ما عداه لا يوصل إلى شيء.. والضجة التي خلف الباب تدل بوضوح أن وراءه حشدًا من الجن يشابه الحشد الذي بالأسفل.. والبقاء وحده في السيب يلفت النظر.. فليس هذا وقت التردد..

فتح الباب وهو مبتعد عنه تمامًا وتركه مفتوحًا وهو يحاول الاقتراب والتلصص ليرى المنظر عن بعد.. وبلمحة واحدة عرف.. هناك بالفعل

تجمع كبير في صالة كبيرة لا يدري ما هي بالضبط لأن الزاوية التي ينظر منها غير كاملة..

دفع الكوري الباب بحرص وبطريقة لا تكاد تلاحظ ودخل إلى المكان..

شعر بكثافة ألوان الخوف تنزل بقلبه من كل جهة وعيناه تدور من وراء القناع تنظر في المكان ورأسه متصلبة لا تلتفت.. كانت هذه صالة طعام كما يبدو فيها مائدة طويلة جدًا يجلس إليها كثير من الرجال والنساء بينما يقف كثير آخرون بلا نظام ينظرون إلى اللوحات الكبيرة التي تزين الجدران..

لم ينتبه إليه أحد أو يعره أي اهتمام بينما هو يمشي بقدمين مرتجفتين تكادان يخذلانه وينهاران به إلى الأرض في أي لحظة..

وهناك.. في جانب من المائدة رأى شيطان صديقه مفلح يمشي وينظر إلى الحشد في بطء.. كأنما يبحث عنه..

كانت عيناه سوداوين تمامًا بلا بياض.. كأنهما عينا قط..

لكن الكوري لم يلتفت.. حركة خاطئة هنا تعني الموت.. وواضح أن هؤلاء ليست لديهم حاسة خارقة لتمييز البشر.. وإلا لكان انتهى أمره في اللحظة التي دخل فيها هنا..

بعث هذا في نفسه شيئًا من الهدوء وهو يمشي خطوة خطوة حتى وصل إلى نهاية الغرفة وخرج منها بنجاح..

أسرع الخطى وهو يتحرك في سيب آخر ثم إلى سلم عرف أنه هو نفسه سلم الطوارئ الذي يبحث عنه..

هرع ينزل على السلم حتى وصل إلى باب الخروج ومد يده بخوف إلى الباب ليفتحه ببطء.. لكن ظهرت على وجهه تعابير الغم.. فقد كان الباب موصدًا ثقيلًا لا يمكن فتحه بأي طريقة..

حاول الكوري فتح الباب بكل الطرق لم يئس تمامًا وتحرك مبتعدًا إلى المكان الوحيد الذي لم يكن يريد الذهاب إليه..

البهو..

كان لا يزال مشهد اختفاء الجن من المكان ثم ظهورهم فجأة يفجع قلبه بعقدة لن تنفك حتى يموت.. وظهر التوتر على وجهه والتعرق حتى إنه اضطر أن يدخل يده من فجوات القناع ليمسح العرق عن عينيه..

ومشى الكوري إلى الصالة الأخيرة.. ودخلها ماشيًا بنفس البطء وسط حشد من رجال الجن ونسائهم..

ولم ينتبه إليه أحد..

ولم تبق له سوى بضع خطوات ويصل إلى الباب الرئيسي الذي دخل منه ويخرج من هنا..

ولم يحدث له شيء سيئ طوال الطريق إلى الباب..

وضع الكوري يده على مقبض الباب وأداره ببطء ودفع الباب فلم يكن يندفع..

دفعه مجددًا بقوة غير ملحوظة فلم يندفع.. كان واضحًا أن الباب مفتوح من الداخل لكن هناك شيء يوصده من الخارج..

سمع من الخارج ضجة وأناس يتحدثون بصوت حاد.. ضجة كانت عالية حتى إن الجن الموجودين في البهو كلهم صمتوا ونظروا إلى الباب في قلق..

لمح الكوري المنظر من النافذة الكبيرة التي تطل على الخارج..

وكل ثانية زاد الموت...

كان ما يحدث بالخارج هو آخر شيء على وجه الأرض يمكن أن يتوقعه..

كان المحتشدون في الخارج ينظرون إلى القصر في شيء من الغضب وبعضهم يحمل في يده أخشابًا والبعض الآخر يشعل الأخشاب وأحدهم يصرخ بكلام حاد بلهجة يمنية.. كان يقول:

- هذا قصر القصور الذي ظل عقودًا من الزمن مسكونًا من الجن.. ومات بداخله إخوة لنا وأحباب.. هو لم يعد قصر أعياد بل قصر الموت.. ولم يعد لنا في هذا العيد المبارك عمل حسن سوى أن نحرقه بالجن الذين بداخله..

تحرك الجن الذين في الداخل بفزع شديد تتخلله صرخات نساء.. كانوا في هرج ومرج يحاولون الخروج من الأبواب لكن الحشد الذين بالخارج كانوا قد أوصدوا الأبواب بأخشاب ثقيلة لئلا تفتح وتركوا النوافذ مفتوحة لغرض ما في نفوسهم تبين في اللحظة التالية..

تحرك جمع من الشباب مشمري السواعد وهم يحملون المشاعل ويرمونها من النوافذ في عزم وكراهية..

رأى الكوري مشاعل تدخل من كل مكان كالكارثة إلى بهو القصر.. واندلعت النار في جنس مخلوق من نار.. بينهم بشري واحد..

· · — · ✱ · — · ·

كانت الأم تتقدم ناحية صورة ابنها الميت والوضوح الذي في ملامحه يغلب قلبها فنزلت دموعها على خدها وهي تقترب منه في لهفة مترددة..

غير أن ملامحها تغيرت فجأة إلى الذعر وهي تسمع صوت سيارة مسرعة تحدث صريرًا عاليًا على الأسفلت فنظرت مفجوعة لتجد سيارة

من النوع الكبير تدنو بسرعة مجنونة إلى ولدها الصغير الذي رفع يديه أمام وجهه في يأس..

واصطدمت السيارة بكل قوتها بالطفل الذي انقلب على جانب الطريق في منظر دموي شديد الوضوح والقسوة والناس يهرعون إليه من كل مكان وينحنون إلى الأرض التي ملأتها الدماء.. تحركت السيارة برعونة وهربت من المكان بينما الناس يمسكون بالطفل المضرّج في دمائه وأحدهم يقول بغضب..

- الحقوا بالسيارة.. أين أهله.. أين كانت أمه..

هرع بعضهم يلحق بالسيارة ليلتقط أرقامها بينما انحنى الآخرون على جثة الطفل ينظرون لها في أسى.. وفاطمة تنظر إلى كل هذا بعينين يملؤهما الجزع.. فهذا المشهد الذي تصور أمام عينها هو مشهد الحادث الذي مات فيه يحيى.. بنفس التفاصيل الدقيقة..

ودق قلبها بعنف شديد.. فهذا الذي تراه ليس صورة من صور اليقظة على الإطلاق.. ولا حتى من صور الذاكرة.. هذه صور من نوع آخر لا تعرفه.. نوع شيطاني..

تراجعت فاطمة وهي ترتجف وانتفض قلبها وجف حلقها والمشهد الذي أمامها لا يتغير ولا يتموه بل يزيد وضوحًا صوتًا وصورة فصرخت واستدارت لتبعد عينها في ألم..

وفور أن حولت وجهها إلى الوراء انعقد لسانها حتى عن الصراخ.. فقد رأت نفس المشهد يتم استكماله بذات التفاصيل في الجهة التي استدارت إليها..

تحول المشهد إلى الدموية البالغة والطفل الميت يقوم من بين دمائه وينظر لها نظرة قتلت قلبها..

شعرت أنها تكاد تموت وهي تشهق وتتراجع والدموع تسيل على وجهها.. ولم تتحمل أكثر.. صرخت بكل ذبحة قلبها وألمها صرخة من أعماق روحها..

وفور أن انتهت صرختها العالية اختفى المشهد بأكمله ورأت الناس الذين شاهدتهم في أول نزولها إلى الشارع ينظرون لها في دهشة..

ارتعدت عيونها وهي تنظر إلى وجوههم في اليمين واليسار.. هناك شيء ما عبث بعقلها وصور لها صورًا كانت تحاول نسيانها.. شيء شيطاني أفرز لها كل تلك الصور بأبشع درجة من درجاتها ووضعها أمام عينها كأنها حقيقة..

كانت على شفا حفرة من الانهيار التام كما هو واضح من الرجفة العنيفة التي بدأت تسري في جسدها والعرق الواضح على جبهتها وضربات قلبها التي بدأت تتسارع في جنون.. ووسط كل هذا أمسكت يد ما بثوبها من الأسفل.. فنظرت تحتها فرأته واقفًا بجوارها يمسك ثوبها بيده الصغيرة.. بكل الدماء التي على وجهه المشوه من الحادث.. وبعينه المفتوحة عن آخرها انفتاح الموت..

وصرخت فاطمة صرختها الأخيرة..

وعلى الجانب الآخر داخل الفندق كان شهاب يسمع هذه الصرخة وهو يحاول كسر قفل الباب بلا فائدة.. وبدون مقدمات سمع صوت قفل الباب ينفتح بصوتٍ عالٍ..

نظر إلى الباب في فزع ومد يده ليفتحه.. فانفتح الباب بلا مشكلة..

خرج شهاب من الغرفة ونظر في السيب يمينًا وشمالًا.. ولم يجد مخلوقًا..

ولم يكن مستعدًا لتضييع ثانية واحدة في التفكير خاصة أن صرخات أمه قد انقطعت تمامًا بشكل أفزع فؤاده..

ونزل شهاب إلى الشارع يسابق الزمن..

ولم تمض ثوانٍ معدودة من نزوله حتى استيقظت لين وقامت من سريرها تنظر إلى الأجواء حولها بإرهاق..

وهناك.. عند باب الغرفة المفتوح..

كان الأب ناصر يقف في جمود وهو ينظر إليها نظرة خاصة..

نظرة شيطان..

شعلات من نار تسقط من جوانب القصر الكبير تلقيها سواعد شباب محتشد غاضب.. وبداخل القصر هرج ومرج وأقنعة شيطانية تتحرك هربًا إلى هنا وهناك.. النار تندلع في كل شيء حتى الجدران الحجرية نفسها.. والكوري وسط كل هذا وحيد لا يملك لنفسه حيلة.. لكنه أطلق قدميه إلى المكان الوحيد الذي يمكن أن يهرب منه.. النوافذ المفتوحة التي يقذف الشباب منها الشعلات..

اقترب الكوري من أحد النوافذ بسرعة ولم يكد قناعه يظهر للمحتشدين بالخارج حتى سمع صوتًا صارخًا يقول:

- شيطان.. شيطان.. ارموا عليه..

نظر الكوري بفزع ليجد ذلك العجوز الذي أدخله إلى هنا أول مرة هو الذي يصرخ في الجموع بهذه الكلمة.. واقترب أحد الرجال بشعلة من نار ليضعها في وجه الكوري وهو يفتح عينيه له إرعابًا.. تراجع الكوري وأنفاسه تتلاحق حتى سقط إلى الوراء وجثا على الأرض ينظر إلى كل هذا في ذهول مرتعب.

كان الجن الذين يركضون حوله في المكان يمرون من جسده كأنهم هواء.. ومع كل واحد يمضي فيه كانت تلفح جسده قشعريرة ترعب القلب..

لكن ألسنة النار ترتفع حوله ويشعر بحرارتها.. فرفض عقله أن يكون هذا وهمًا..

وشعر بلحظة اقتراب الموت.. وإن أشد شيء على الإنسان عند الموت أن يموت بالنار.. لأنه يكون حبيسًا لا حيلة له..

لكن وسط هذا الجحيم.. ورغم أنها اللحظة الأخيرة إلا أن عقل الكوري كان ما زال يفكر وينظر حوله في يأس حتى توقفت عينه على شيء ما دون غيره..

فكرة واحدة وردت على ذهنه كانت هي الأكثر منطقية.. والأكثر جنونًا..

فلتكن اللحظة الأخيرة في حياته هي أكثر لحظة كان يحاول فيها أن يعيش..

فك الكوري القناع الأسود الذي صنعه لنفسه وحل جميع أربطته.. وخلع المفرش الطويل الذي كان يلبسه ليخفي ملابسه.. وأمسك بهذا كله وجعله ساترًا.. وهب من مكانه راكضًا وسط النار..

وانحنى على الأرض يلتقط شعلة من الشعلات وانطلق بها بكل قوته إلى ناحية الباب.. وألصق الشعلة على الباب من الداخل.. ثم هرع إلى شعلة ثانية وثالثة..

وضع الشعلات عند الباب وتراجع ناظرًا في تلهف..

حتى اشتعل الباب.. واشتعل قلبه وهو ينظر إلى اشتعاله..

ووسط الصرخات الشيطانية العالية.. وصياح المحتشدين والأقدام التي تحترق.. النظر إلى ألسنة النار وهي تلتهم الباب قطعة قطعة بسرعة..

ثم في لحظة من الزمن.. انطفأت الأضواء كلها دفعة واحدة وسمع صوتًا كأنه التماس الكهرباء..

واختفى صوت الصرخات.. وخمدت ألسنة النيران..

لم تعد هناك أقنعة تحترق.. ولا شياطين تهرب.. ولا محتشدون بالخارج..

فقط هو وحده الذي بقي هنا ينظر إلى باب القصر الذي لم يعد في مكانه.. وضوء القمر الذي يظهر وسط أرجاء السكون..

نظر الكوري إلى الباب مذهولاً لا يكاد ينطق.. كان ذلك الباب فيما يبدو هو الشيء الذي يجعل الأجواء تتحول.. فكلما انغلق أو انفتح تغيرت الأحوال.. من نور إلى ظلمة.. ومن وجود إلى عدم..

ورغم أن كل شيء مفزع حوله انتهى.. إلا أنه كان يشعر بدوار من ذلك الطراز الذي تعلم لما يأتيك أنه سيغشى عليك أو ستموت..

حينما ينهار جزء كبير من الوعي وتبرد الأطراف ويضعف البصر..

وبينما ينظر إلى الباب الذي لم يعد واضحًا.. رأى رجلًا يدخل إلى القصر..

كان يبدو في هيئة رسمية غير واضحة.. سمعه الكوري يقول:

- أيها الفتى.. ألم أقل لك ألا تحدث مشاكل لي هنا.. إن الحفل غدًا..

ليس اليوم..

وسقط الكوري مغشيًا عليه..

واستدار رجل الأمن وخرج من المكان..

وبدأ باب القصر يتكون مجددًا.. ويعود بأفضل مما كان..

· · — · ✶ · — · ·

أقسى أنواع الذكريات هي التي يخفيها المرء داخل ركن من أركان القلب.. ركن بعيد يتوارى خلف المشاهد كلها.. مجرد الاقتراب منه يبث السواد في جوانب الروح فتثقل وتعجز عن الشعور بأي

لذة في العيش وتفكر في الموت.. وأحيانًا تكون الذكرى شديدة الويل لدرجة لا يمكنك أن تضعها في ركن وتتركها فيه وإلا ستحرق كيانك كله..

أشد هذه الويلات على النفس عندما تفقد الأم ولدها الصغير.. كأن قطعة من جسدها تنتزع منها في كل يوم مرة.. نوع من الوجع لا يمكن التعامل معه سوى بطريقة واحدة.. الانهماك والتلهي بأي شيء في كل ساعة.. لأنه إذا استولى وتمكن من القلب سيهلكه.. وإن من الحزن ما يدمي.. ومن الحزن ما يقتل..

وفي تلك الليلة صوّر الشياطين أمام عين فاطمة تفاصيل موت ولدها من جميع الاتجاهات حولها.. بل أنها لو أغمضت عينها ستسمع صوت الحادث وصرخة ولدها وأشلائه..

مشاهد وأصوات تتكرر من كل زاوية بلا هوادة.. فأصبحت تصرخ فقط لتسكت الصوت.. وتصرخ ليسمعها زوجها.. وابنها..

ولم يأت إليها أحد..

ولم يرحمها الجن بل أصاب قلبها بالذبحة الأخيرة.. فجأة اختفى مشهد الحادث وعادت الناس تمشي في الشوارع بطريقة عادية ورأت نفسها واقفة هناك في أحد المحلات على جانب الطريق الذي صار فيه الحادث تضحك مع البائع الذي يعرض عليها قماشًا طويلاً..

قلبها عن ولدها قد غفل.. غفلة لم تتجاوز دقيقة واحدة.. لكن ثمن الغفلة عن الأعزاء ربما يكون فقدانهم إلى الأبد..

كان هذا هو المشهد الذي تداريه وراء كل المشاهد الأخرى.. سقطت جاثية على ركبتيها وهي تسمع دقات قلبها التي تعلو حتى غطت على أصوات كل شيء..

ثم لم تعد دقات قلبها تتسارع.. ولم تعد تسمع لها صوتًا.. فقد توقفت تمامًا عن النبض.. وانطفأ نور عينها..

في هذه اللحظة ظهر شهاب عند باب الفندق يدفعه ويركض ويتعثر وينظر بفزع إلى أمه التي كانت راكعة على ركبتيها تنظر في شرود ثم هوت على الأرض جثة هامدة..

وصرخ شهاب حتى كانت الصرخات تغص حلقه وتخنقه وهو يمسك بأمه ويرفع يدها يجسها فلا يجد لها نبضًا ولا ملمحًا من ملامح الحياة..

· · — · ✶ · — · ·

تطلع المهندس حازم إلى وجه ذلك العجوز ذي الشعر الأبيض الطويل وهو يشير له إلى الباب ليصغي سمعه.. وبالفعل أصغى السمع.. ثم قطب حاجبيه في استغراب..

سمع بالخارج ضجة تشبه الضجة التي سمعها أول مرة يدخل القرية.. قام العجوز واقفًا من مجلسه ومشى ناحية الباب وحازم ينظر له في رهبة وإلى شعره الذي يكاد يبلغ الأرض.. ثم وقف العجوز وقال:

- إذا أردت أن تخرج من هذه الأرض حيًا فاسمع لقولي ونفذ كل حرف تسمعه.. إذا خرجت من هذا الباب إياك أن تنظر يمينًا أو شمالًا.. مهما تغول لك الجن أو التفوا حولك.. إياك أن ترفع بصرك إليهم.. مهما سمعت من أصوات.. ومهما تهيأت لك من صور.

تصاعد الخوف في نفس حازم وقال بتوتر:

- أنا لن أخرج من هذه القرية وحدي.. لدي رفيقة سأخذها.. إنها في المستشفى.

نظر له العجوز وقال:

- ذلك موضع بعيد في عمق القرية.. إذا بلغت ذلك العمق فلن تخرج منها أبدًا.. بينما نحن هنا في طرف القرية ويمكنك السير في الطريق الذي جئت منه حتى تخرج.

قال حازم:

- لن أترك مريم وأمضي.

قال العجوز وهو ينظر إلى عينه مباشرة:

- فإذا أردت السير إلى ذلك العمق يا ولدي عليك أن تخرج من هنا وتتوجه ناحية القمر الطالع في السماء.. وإياك أن تنظر في وجوه القوم.. إياك.. وإذا وقف لك شيء في وجهك فانحرف عنه وأكمل الطريق.. ولن يلحق بك.

سأله حازم:

- لماذا لا يجوز النظر إليهم؟

قال العجوز:

- هؤلاء قوم يتغذون على الخوف.. وكلما أصابوا منك خوفًا توحشوا أكثر.. وإذا بلغ خوفك أقصاه لن يتركوك حتى يقتلوك.. لكن السفهاء يحرقهم التجاهل.. فتجاهلهم وامض فلن يكون لهم سلطان عليك.. فأنت رجل موصول بالله فلا تخف من خلقه أبدًا.

قال حازم وأصوات الضجة ما زالت تصل إلى أذنه:

- نحن لم نقم بالاعتداء عليهم أو نؤذي فيهم أحدًا.. بل إننا لم نرتب أن ندخل هنا..

قال العجوز:

- إنهم يتخذونكم لهوًا يا ولدي.. يخرجون إلى الطريق يتصيدون البشر ويغوونهم بالخداع حتى يدخلوا برهوت.. فإذا دخلوا لم ينته اللعب إلا بموت الذي دخل.

قال حازم بسرعة:

- نحن لم يغونا أحد لندخل.. نحن فقط..

قطع حازم جملته وهو يتذكر ذلك الرجل الأسود الذي تظاهر بالاحتضار وأراد مساعدة من داخل القرية.. وظهر على وجه حازم الفهم فأطرق إلى الأرض.. حتى قال العجوز:

- إذا خرجت من هنا ومشيت بينهم ثم رأوا أن خوفك لا يتحرك ونظرك يتجاهلهم.. سيسلطون عليك الدواب في الأرض.. فإذا لقيك حيوان يريد أن يخيفك فقد يكون حيوانًا من الجن فانحرف عن طريقه كأن لم تره.. لكن احذر فقد يكون حيوانًا حقيقيًا من حيوانات الصحاري وسوسوا إلى عقله البهيمي وتلبسوه وسلطوه ليهجم عليك.. فإذا رأيت ذلك فليس لك إلا أن تقاتل الحيوان أو تحاول إخافته.. فهو ليس في وعيه.

نظر له حازم وقال:

- أنت منهم؟

قال العجوز له وهو ناظر في الأرض:

- نحن مغلوبون على أمرنا.. فأنت لا تدري إلى أي أرض دخلت يا بشري.. ولا أنواع السفلة الذين فيها.

ولم يسأل حازم سؤالًا آخر.. فقط تنهد ونظر إلى الباب وأذنه تسمع تلك الضجة.. ثم نظر لذلك العجوز نظرة أخيرة وأومأ له رأسه في توقير.. ومد يده وفتح الباب..

ثم خرج..

وضع حازم نظره في الأرض لكن أطراف عينيه كانت ترى المشهد..

لم تعد بيوت القرية مغلقة بل مفتوحة الأبواب عن آخرها وهناك أشخاص يقفون على الأبواب.. ولم تعد الشوارع مهجورة بل عامرة بكيانات تمشي وظلال تتحرك.. ولم يجرؤ حازم أن ينظر إلى ناحيتهم حتى يعرف هيئاتهم..

وبأقدام ثقيلة مشى في ذلك الشارع متوجهًا إلى حيث القمر.. لم يكن يدري أصحيح ما فعله أن يذهب إلى مريم بدلاً من أن يغادر ويهرب من هنا.. إنها لم تعد ترد.. وفي الغالب أحاط بها هؤلاء الفساق.. لكن هذه مريم.. وإن قلبه تعلق بها بشكل لا يفهمه.. حتى إنه يخوض كل هذا لأجل أن يعود إليها..

رأى ظلالاً تقف أمامه مباشرة كل حين فكان ينحرف عنها ويكمل طريقه..

وإن الجن لما وجدوا أن حازم لا ينظر بالعين سلطوا عليه الصوت.. فسمع أصواتًا فجأة تناديه من جانبه وهو لا يلتفت.. وأصوات تهمس له بأمور لا يريد تذكرها.. كأنهم يعرفون عنه كل شيء.. ولا عجب في هذا.. فقرينه منهم..

سمع حازم صوت أطفال يأتون بسرعة بالغة راكضين يلعبون لعب الأطفال.. ثم أصبحوا يدورون حوله في لعبهم حتى أحاطوا به من جميع جوانبه..

وقف في وسط الدائرة التي وضعوه فيها وهو يعرف أنه لو نظر إليهم فلن يرى أطفالاً على الإطلاق.. فأغمض عينيه وقال:

- أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق..

كتب سريعًا لشات جي بي تي يصف له المشكلة ويناقشه في الحل..

حتى انفتح باب الغرفة.. ودخل الطبيب.

كان ذا وجه شديد البياض أصلع الرأس خفيف الحاجبين.. كل شيء فيه يبعث على القلق.. لكنه ابتسم ابتسامة واسعة من الخد إلى الخد وهو يتحدث مع ياسين بشكل لطيف وينظر إلى جراحه ثم قال له:

- إن لديك جروحًا كبيرة يا فتى.. هل تخاف من الغرز؟

عمل ياسين تعبيرا متضايقًا مازحًا وقال:

- نعم.. حقيقة أكرهها جدًا.

قال الطبيب بنفس الابتسامة:

- إنك لن تشعر بأي شيء.. إن يدي خفيفتان تمامًا.

أومأ ياسين برأسه موافقًا.. وبدأ الطبيب في العمل.. كان ماهرًا حقًا.. حتى وهو يحقنه بتلك الحقنة التي تبدو مثل البنج.. لم يشعر مطلقًا بأي وخز.. كان الطبيب يدخل الخيط بتركيز ويضيق عينيه كل حين ثم ينظر إلى عين ياسين ليطمئن عليه ثم يعود ليكمل.. حتى أنهى كل شيء وقال:

- هل شعرت بشيء؟

قال ياسين صادقًا:

- أبدًا.. هذا البنج ممتاز يا دكتور.

اتسعت ابتسامة الطبيب وقال:

- جيد.. استرح هنا فقط لمدة ساعة حاول فيها أن تسترتخي حتى يأتي أصحابك.

ثم انحنى له الطبيب محييًا وغادر المكان.. شعر ياسين أن هذه القرية لطيفة فيما يبدو.. الناس هنا محترمون.. ويبدو أن الكوزي كان أحمق هو وتطبيقه..

استرخى ياسين على السرير رافعًا ظهره وأخذ يعبث في الجوال ليمضي الوقت.. ولم تكن القرية ولا أهلها ليتركوا ياسين هكذا.. فهو دوره الآن في اللعبة..

ولم تمض بضع دقائق حتى برزت أمامه على الماسنجر رسالة من أمه تقول له:

- ياسين.. اليوم ظهرت درجات أخوك وهي سيئة جدًا.. قل أنت لأبيك.. ولا تأخذوا الولد معكم في رحلة الإجازة مع أصحابك.. فهو لا يستحق.

توسعت عين ياسين عن آخرهما وهو ينظر إلى الرسالة في ذهول.. هذه الرسالة يستحيل أن تأتي له الآن بأي حال من الأحوال.. لأن موضوع أخوه هذا قد حدث قبل ثلاثة أيام.. يومها هو بنفسه ذهب ليقنع أخاه أنه لا يمكن أن يذهب معهم في الرحلة لأنها خطرة..

رفع ياسين الجوال يتصل بأمه على الفور.. فتحت أمه الخط وسمع صوتها وهي تقول له..

- ياسين.. ياسين.. إن أخاك هذا تعبني وأنت الكبير.. ياسين هل أنت معي..

كان ياسين يحاول التحدث لكن الأم لا تسمعه على الإطلاق.. حتى أغلق الخط.. وبدأت قشعريرة تسري داخل نفسه.. إذا كان الماسنجر أصابه عطب في استيراد الرسائل وأصبح يظهر رسائل قديمة.. فلماذا أمه لا زالت تتحدث في أمر أخيه.. غالبًا هذا الشقي فعل شيئًا آخر.. نعم هذا هو الغالب..

تنهد ياسين وعاد يعبث في الجوال وهو يفكر في أمر أخيه هذا.. ثم أخذته أفكاره إلى تلك المرأة التي أخذوها معهم في السيارة.. وكلامها له على الطريق وهي تقول إن وجهه جميل ولا يحتاج للقناع.. ابتسم وهو

ونظر إلى ذلك القناع الذي وضعته له الممرضة في كيس.. فأخرجه من كيسه وبدأ ينظر له في تمعن.

كان الجلد المصنوع منه يبدو فاخرًا جدًا.. ثنيات الجلد والعينين تبدو في غاية الدقة.. وبينما هو يقلب القناع وينظر داخله وجد بطاقة مثبتة في القناع من الداخل.. أخرجها فوجد أنها رسالة من صانع القناع.. عم فرعون.

كاتب فيها: «من يضع هذا القناع يرى كل ما كان خفيًا عن عينيه.. فأنا لا أصنع الأقنعة ليختبئ وراءها الناس بل ليروا الحقيقة.. عم فرعون».

ابتسم ياسين وهو يمط شفتيه ويقول:

- ومن ذا الذي يرى قناعك المتقن هذا يا عم فرعون ولا يرتديه..

رفع ياسين يده بالقناع وأخرج منه البطاقة وجعله على الجهة الصحيحة أمام وجهه.. ثم ارتداه..

وفور أن وضع ياسين القناع على وجهه.. تغير كل شيء..

فيوض من الدمع انهالت ساخنة على وجهه الصغير الذي لم يتم الخامسة عشرة وحرقة في الحلق أحرقت صوته وهو ينادي أمه الميتة بين ذراعيه بينما يحاول أن يفيقها بكل الطرق التي يمكن أن تنقذ بها إنسان.. لكن روحها كانت قد فارقت الجسد..

كل شيء أمامه يدل أنها ميتة لكنه كان ما يزال يحاول.. يفتح عينها ويضغط عظمة صدرها ويناديها.. وهي ساكنة مفتوحة العين من الفزع..

سمع صوت ضحكات تأتي من مكان ما فرفع عينه المملوءة بالدمع ينظر هنا وهناك.. ولم ير أحدًا.. فقط صوت ضحكات ينبعث من مكان ثم يعود فينبعث من مكان آخر.. وظلال كأنها تظهر سريعا أو هكذا يخيل إليه..

نادى شهاب بصوت أحرق فؤاده وهو يحتضن وجه أمه ويبكي وروحه تكاد تموت من الألم..

وبينما هو ينظر في المكان ويصرخ بكراهية.. لاحظ أنه لم يعد هناك ضوء واحد في القرية.. لا من البيوت ولا من الفندق.. كل شيء أصبح مظلما مهجورًا.. ثم سمع صوت صرخة لين تضرب جنبات الظلام..

أصابه شلل وهو ينظر إلى الفندق المظلم في ذهول وهو يمسك بجثة أمه بين يديه.. كان في طريقه ليصاب بصدمة عصبية عنيفة لولا أنه انتفض فجأة وهو يسمع صرخة لين تدوي مجددًا فهب من مكانه..

ركض شهاب إلى الفندق في وجل ودخل من الباب وأخرج جواله وفتح الكشاف وصعد بسرعة على الدرج ليجد الغرفة مفتوحة عن آخرها..

ولم تكن لين هناك..

وجد آثار فوضى في المكان تنم عن حدوث عنف.. ثم انفتحت عينه عن آخرها وهو ينظر إلى الحائط الذي عليه بقعة دم متصلة طويلة تصل إلى الأرض..

نظر إلى الأرض فوجد القط جائمًا على الأرض يتلوى في ألم ورأسه تنزف..

هرع شهاب إلى القط يحتضنه ويربت عليه بينما عينه تدور في أرجاء المكان بخوف ثم تذكر أمرًا فأسرع إلى غرفة لين وبحث على السرير والأرض عن جوالها حتى وجده ففتحه بسرعة..

فتح على تطبيق معين للمراقبة كانوا قد نزلوه على هاتف لين وأوصلوه بجميع هواتفهم.. تطبيق يتصل بسوار تضعه لين على معصمها ليرسل موقعها في أي وقت لهواتف عائلتها.. ففي ذات مرة غادرت لين المدرسة وتاهت عامدة في المدينة وقضوا يومًا شديد السوء في البحث عنها في كل مكان.. بعدها قرروا شراء ذلك السوار.

كانت في التطبيق خاصية أنه يسجل بالكاميرا الأمامية والخلفية طوال الوقت.. حتى يمكنك مراجعة ما حدث للطفل في أي وقت.. فتح شهاب في ترقب آخر تسجيل سجلته الكاميرا.. وارتعد قلبه وهو ينظر إلى الفيديو..

رأى في البداية الجوال يصور السقف مما يعني أنه موضوع على السرير.. لكن الصوت كان واضحًا.. ظهر صوت الأب ناصر يقول للين بلهجة غير معتادة:

- حان وقت المغادرة يا لين..

ثم ظهر صوت القط في الفيديو وهو يموء مواءً غاضبًا وحشيًّا على غير عادته.. ثم صوت أقدام القط تركض وصوت لين تشهق.. والقط يظهر قافزًا لثانية واحدة فوق الجوال.. ثم صوت خمش يصاحبه مواء غاضب سريع جدًا.. ثم صوت لين تصرخ وتقترب صرختها من الجوال وترقعه..

كان واضحًا من وجهها في الكاميرا الأمامية أنها تحاول الاتصال.. بينما الكاميرا الخلفية تصور مشهد الأب والقط يقفز عليه ويخمشه في وجهه بعنف شديد.. كان هذا القط المذعور يحمي لين رغم كل شيء..

ولم يكن هذا الذي أسقط قلب شهاب وهو يشاهد..

بل المرعب كان أثر خمشة القط على وجه ناصر..

فتلك الخمشة لم تخرج أي دماء ولا خدشات حمراء.. بل أظهرت جزءًا كبيرًا من وجه ناصر على حقيقته..

أظهرت جزءًا كبيرًا من وجه شيطان..

· · — · ✶ · — · ·

عادت الممرضة الحسناء بعد أن أوصلت ياسين لغرفة الطوارئ وقالت لمريم بصوت مؤدب:

- تفضلي يا سيدتي.. سآخذك إلى غرفة الانتظار ويمكنك البقاء هناك حتى تأتي النجدة.

مشت معها مريم وهي تنظر إلى أروقة المستشفى.. كل شيء هنا يبدو لامعًا كأن هذه الوحدة أقيمت حديثًا.. أدخلتها الممرضة إلى غرفة الانتظار وأومأت لها احترامًا ثم انصرفت.

جلست مريم على كرسي وسط صف كراسي مريحة تحت نافذة كبيرة لها زجاج مموه سميك..

تنهدت بعمق وفتحت جوالها.. كان الماسنجر يظهر أن آخر ظهور لحازم هو منذ قريب حينما حدثته.. هذا الشاب عاقل جدًا وهي تلاحظ نظرته الخاصة إليها كل حين..

وبينما هي غارقة في أفكارها ظهر في الزجاج المموه للنافذة التي وراءها ظل رجل طويل الشعر.. كان يحتل ظله النافذة الكبيرة كلها ثم أخذ الظل يصغر أكثر وأكثر بينما يقترب الرجل.. حتى أصبح ملاصقًا تمامًا للزجاج.. واتضح من هيئته وشعره أنه هو الرجل الأسود ذو الشعر الطويل دون غيره.

سمعت مريم شيئًا من النافذة فالتفتت تنظر وراءها.. ولم تر شيئًا..

فذلك الظل لم يكن هناك..

عادت تفتح الفيس بوك وتقلب فيه لإمضاء الوقت.. والدقائق تمضي وتمضي.. هناك شيء غريب في منشورات الفيس بوك.. هذه المنشورات كلها قديمة نوعًا منذ أيام.. كأنه لم يحدث في الأرض شيء جديد..

جاءت الممرضة عند باب الغرفة وقالت لها بأدب:

معذرة سيدتي سأغلق الباب لأجل راحتك، إن أردت شيئاً فقط ادعي، والآن بدا.

أومأت لها مريم أن لا بأس.. فأغلقت الممرضة الباب وسمعت مريم خطواتها تنصرف.. وبعد ثوانٍ سمعت مريم الباب يطرق بحدة.. ففجعت وهي تنظر إليه في دهشة.. ثم طرق مرة ثانية بنفس الطريقة.. فقامت مريم بشيء من الانفعال وفتحت الباب.. ولم تجد أحداً..

نظرت يميناً وشمالاً في الرواق الفارغ تماماً من أي أثر أو صوت.. وظهر الضيق على وجهها لحظة وتركت الباب مفتوحاً وعادت إلى مكانها وإلى جوالها بينما أصبحت تلاحظ الباب كل حين..

أصبحت تنظر إلى الجوال بعين مرهقة جداً بعد كل هذا التوتر الذي مرت به.. ومرت عليها الدقائق ثقيلة حتى مضت أكثر من نصف ساعة وبدأ النعاس يغزو كيان مريم وهي تتثاقل كل حين ثم تفيق.. ثم أسندت ظهرها إلى الكرسي وغفت.. وليس من الحكمة أن تغفو في أرض مستعمرة بالجن.. لكنها لم تكن تعلم..

ثم علمت.. بعد دقائق..

رأت في تلك الغفوة حلماً شديد الغرابة.. شاهدت نفسها جالسة تعبث في جوالها في غرفة الانتظار بالمستشفى ثم يطرق الباب في الحلم بشيء من الحدة فتنزعج وتنظر إلى الباب الذي طرق ثانية بنفس الحدة.. فقامت في الحلم بعصبية إلى الباب تفتحه.. ولم يكن ما وراء الباب فارغاً.. بل رأته هو عند الباب.. بملامحه المختلة وبشرته السوداء وشعره الطويل المنسدل.. كان واقفاً ينظر إليها بتلك النظرة القميئة ثم أصبح يمشي إليها ببطء في الحلم وهي تتراجع في خوف حقيقي ولاحظت في أثناء تراجعها أنه يرتدي في إصبعه خاتمها الضائع لما انخلع قلبها..

ومن وراء الرجل الأسود.. رأت ظلالاً سوداء ذات هيئة مموهة وشعور طويلة بدأوا يدخلون من الباب متتابعين واحداً وراء الآخر.. فصرخت مريم بأشد ما يمكنها..

واستيقظت من الحلم في فزع حقيقي وهي تفتح عينها الزائغة من وراء نظارتها وتنظر إلى الباب المفتوح وقلبها منقبض من الرعب..

فهناك عند الباب.. رأت على الحقيقة ظل الرجل الأسود ظاهراً.. وشعره الأسود الطويل بائن في الظل يتحرك مع حركته التي تقترب من الباب..

دفعت مريم نفسها لتقوم من الكرسي بشكل غريزي لكنها وجدت جسدها كله مشلولاً بشلل الجاثوم الذي يضرب أوتاداً على أطراف الجسد كلها فيمنعه من الحركة كأنه جسد مصلوب..

ثم شاهدت ظل الرجل يدخل الغرفة.. فقط ظله.. ولم يكن هو ظاهراً ككيان على الإطلاق..

كان ظله يتحرك دخولاً من الباب ببطء مخيف وبشكل يتجاوز كل مفاهيم الظل المعلومة..

صرخت مريم برعب صرخة كادت تقطع أوتار رقبتها لكن وجهها تحول في لحظة الصرخة إلى الذهول التام.. فهي لا تسمع لصرختها صوتاً كأنما انكتمت تماماً أو خرست رغم أنها تصرخ بكل عزمها..

ووسط كل هذا ظهرت الممرضة عند الباب وهي تنظر إلى مريم نفس النظرة المؤدبة وتقول:

- سيدتي يبدو أن الوقت طال معذرة هل تحتاجين شيئاً.. سيدتي..

يبدو أنك نائمة.. لا بأس..

مدت الممرضة يدها تغلق الباب ومريم مشلولة مفتوحة العين تهز رأسها للممرضة ألا تفعلي.. لكن الممرضة ألقت إليها نظرة ساخرة وأغلقت الباب في قوة.

نظرت مريم إلى ذلك الظل ولم تجده في الغرفة كأنما ذهب من المكان كله.. لكن الجاثوم كان لا يزال يقيد جسدها بأغلال من حديد.. ووسط هذا الصمت سمعت من جوار أذنها صوت شخص يتنفس.. شهيق وزفير واضح جداً وقريب من جانبها كأنما يتعمد أن يجعلها تسمع الأنفاس.. نظرت إلى جهة الصوت بذعر.. ولم تجد شيئاً يتنفس.. ثم شعرت بيد باردة توضع على معصمها من الجهة الأخرى فالتفتت بقلب يكاد يتوقف وكيان يكاد يتقطع من الرجفة..

فرأت ذلك الرجل الأسود بكيانه كله جالساً بجوارها.. كانت يده على معصمها وذلك الخاتم ظاهر في إصبعه.. وعينه تحولت إلى السواد الكامل.. وصرخت مريم وصرخت كثيراً بلا أي صوت.. ولم يكن الشيطان وحده.. ففي لحظة واحدة عرفت مريم هوية تلك الظلال التي رأتها تدخل الغرفة في الحلم..

فبينما هي تصرخ بتلك الحرقة.. وجدت رجالاً سود الوجوه.. طويلي الشعر.. يجلس كل واحد منهم على كرسي من كراسي غرفة الانتظار.. وينظرون إليها بعيون سوداء كاملة السواد..

الفصل السادس

الموت

دفع الكلب المتوحش مخالبه في وجه المهندس حازم وصدره وهو ينبح بقسوة شديدة كأنما فقد عقله تمامًا ولم يعد يحمل في رأسه سوى أمر واحد بالقتل.. وبأبشع صورة ممكنة.

سالت الدماء من حازم وهو يقاوم الكلب وسقط على ظهره بينما يرفع ذراعه في رقبة الكلب وقدمه تحاول بكل طريقة أن تركل جسده وتبعده.. بينما الكلب يمد عنقه يمنة ويسرة يريد أن ينهش حازم بأسنانه ولعابه يسيل في هياج.

ثم شعر حازم بقوة الكلب الهائج تخف ونباحه يتحول إلى الزمجرة المكتومة وهو يسحب مخالبه فجأة ويتراجع في غضب شديد ويقفز متجاوزًا حازم ليقف بوداعة عند صاحبه ثم يرقد في سكون..

نظر حازم فزعًا وراءه وأصابته في هذه اللحظة دهشة أنسته كل وجع المخالب التي انغرزت في صدره.. فذلك الكلب استقر بهذا الخضوع كله تحت قدم آخر شخص يتوقعه..

الأدهى سوءًا أن حيدر كان واقفًا حاملًا مسدسًا يصوبه مباشرة إلى رأس المهندس حازم وهو يقول:

- معذرة منك.. أنت طيب القلب يا مهندس وكان يمكن أن أتركك إلى القرية تقتلك لكن دماءك يجب أن تسيل بيدي هاتين..

حدق فيه حازم للحظة والألم ظاهر على ملامحه ثم قال بحدة:

- أي لعين أنت يا هذا.. قاتل أم مختل أم ماذا بالضبط؟

قال حيدر:

- ساحر.

سكت حازم وهو ينظر له بازدراء مشوب بالألم من صدره الدامي فقال الساحر حيدر:

- أنت لم تعمل واجبك البحثي عنا يا مهندس.. أغوتك نقود اللبناني ميشال.. ألم تسأل نفسك أبدًا لماذا هذه النقود كثيرة هكذا؟

نظر حازم حوله إلى ناس القرية الذين توقفوا فجأة وأصبحوا ينظرون إليهم في جمود كلهم والساحر يقول:

- لو كنت بحثت قبل أن تأتي لعلمت كثيرًا من الأمور.. كنت ستعلم أن اللبناني ميشال يهودي مثلًا.. وأنني ساحر..

كان حازم يريد كسب مزيدًا من وقت هذه الثرثرة بينما عقله يفكر في شيء ما للخروج من هذا المأزق فقال:

- أي خرف هذا يا بغيض.. أهناك يهود لبنانيون أصلًا؟

أجابه الساحر:

- قليل ومتناثرون أكثرهم يرجع لعائلات يهودية قديمة.. وأجداد ميشال يهود شديدو الأهمية فقد توارثوا سر هذه الأرض منذ قديم الزمن ولولاهم ما جئنا إلى هنا..

صدر من المسدس صوت تلك التكة المميزة لرفع صمام الأمان للاستعداد للإطلاق والساحر يصوبه إلى رأس حازم ويقول:

- هذه البعثة ليست إلا غطاء يا حازم.. وأنت جزء منه.. أنت ومريم مجرد بيادق في هذه اللعبة كلها.

احتدم نفس حازم وقال له بغضب حقيقي:

- أي بيادق.. قل ماذا تقصد يا لعين..

قال الساحر:

- نحن لم نختركما في البعثة عشوائيًا بل بعناية بالغة.. فكلاكما أنت ومريم من سلالة الدم الزوهري من البشر.. وإن كنت لا تعلم فالجن يهفو إليكم ويعشق رائحتكم.. ويطرب لمذاق دمائكم التي أتينا بكما هنا لنسفكها على هذه الأرض.. قربانًا لأهلها من الجن.. حتى يسمحوا لنا بالمرور في أرضهم والحفر.

شعر حازم بثوران غاضب يغشى كيانه مما يقول هذا الرجل وبدأ يمد يده خفية إلى حجر رصدته عينه بالجوار.. فسيطر على ملامحه وهو يقول:

- وأين اللبناني اللعين الآخر؟

قال الساحر وملامحه تتحول إلى الخسة:

- قتلته ووضعت رأسه في هذه الحقيبة فالأحمق كان زوهريًا هو الآخر لكنه لا يصدق بهذه الأمور ويعتبرها هراء سحرة.. حتى إنه عارضني كثيرًا عندما تأخرت في البحث لأنني أريد زوهريين فقط.. الجلف كان ماديًا لا يعنيه سوى الكنز وغالبًا لم يكن يؤمن بالجن أصلاً.

أمسك حازم بالحجر وبدأ يعدل موضع يده الدامية ليملك الوضع المناسب لإلقائه لكن الساحر لاحظ أن حازم يمد يده خفية فخرجت طلقة من مسدسه على الفور ناحية يد حازم وأصابت الأرض بجوار يده التي أبعدها في فزع..

ورفع الساحر المسدس مجددًا في غضب ورفع صمام الأمان ثانية.. وفجأة في ثانية واحدة دوت رصاصة قاتلة.. وتحول وجه الساحر إلى الذهول التام وهناك ثقب واسع داخل عينه تتفجر منه الدماء ثم سقط على الأرض جثة هامدة عوراء..

نبح الكلب بوحشية بالغة ورفع قوائمه ليهجم على المعتدي في غضب.. ثم انقطع نباحه وصدر منه عواء قصير بينما طلقة أخرى شديدة الدقة تستقر بين عينيه فجثا على الأرض بلا حراك..

نظر حازم بدهشة إلى مصدر الطلقات فرأى ظلًا آتيًا يظهر بين أنوار القرية الخافتة.. قال حازم وهو ينظر له بدهشة:

- من أنت.. يا إلهي أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل.

أجابه القادم وهو يرخي مسدسه:

- اسمي ناصر.. ودعك من أمر الإسعاف.. فلا وقت لهذا الهراء.

نظر له حازم بذهول.. كانت كل قطعة في هذا الرجل ملوثة بالدم.. وهناك آثار تقطعات بالغة الخطورة على رقبته وذراعه ووجهه..

قال له ناصر:

- هيا تحرك وقم.. فهذه القرية بيني وبينها ثأر..

· · — · ✶ · — · ·

خرج شهاب من الفندق بعين ما تزال ذاهلة مرتعبة مما رآه في الفيديو الذي خمش فيه القط وجه ناصر.. لقد رأى جزءًا كاملاً من أسفل وجه أبيه ناصر وكأنه زالت عنه طبقة وظهر تحتها شيء آخر.. لم يظهر وراء تلك الطبقة دماء ولا أي شيء مما يمكن أن يظهر وراء جلد الإنسان.. بل ظهر جلد متغير.. وعين سوداء تامة السواد..

مد ذلك الجن يده وأمسك بالقط ورماه بقسوة بالغة على الحائط ثم استدار إلى لين واقترب من الجوال ومد يده إليه.. وسقط الجوال على الأرض وانطفأ الفيديو..

كان المشهد يتكرر في ذهن شهاب وعينه حمراء كالدم من البكاء وهو خارج من الفندق في وجل متجهًا إلى أمه الميتة وانحنى عليها يقبلها ودموعه ما تزال تنهال بلا توقف.. كان قلبه لا يقوى على تركها هكذا..

لكنه أمسك بجواله ونظر إليه بعينين ثابتتين وفتح ذلك التطبيق في جواله ليحدد مكان لين..

أخرج له التطبيق رسالة أن تحديد الموقع صعب بدقة لأن هناك مشكلة في الجي بي إس.. واقترح عليه أن هناك طرقًا أخرى لمعرفة الموقع مدمجة في التطبيق لكنها أقل دقة بكثير..

كان يعرف أن الطرق الأخرى التي سيستخدمها البرنامج مثل البلوتوث وأبراج الجوال والواي فاي وغيرها هي طرق ذات مدى قصير جدًا.. ولن يلتقط الجوال موقع السوار الذي في يد لين إلا إذا وقف شهاب أمام المبنى الذي اختطفت إليه لين..

لكنه كان مستعدًا للمشي في القرية كلها حجرًا حجرًا حتى يجدها..

وحدثته نفسه أن يدفن أمه أولاً.. ولا يتركها هكذا في العراء.. فربما يمثل بها هؤلاء الذين قتلوها.. ثم يتفرغ للبحث عن لين في هذه القرية الواسعة.

سحب شهاب أمه بحرص وعناية شيئًا فشيئًا في الشارع حتى وصل بها إلى مكان فيه تربة.. وهنا انهار شهاب على الأرض.. كان يشهق ويتألم كأن روحه نفسها تنتزع منه.. مرت عليه ساعة عصيبة جدًا وهو يحفر الأرض ويمسح وجهه كل حين من انهمار الدمع المختلط بالتراب حتى أنجز ما يريد.. ودفن أمه في موضع هو أسوأ المواضع شرًا على الأرض.. برهوت..

حتى القط كان يبكي كما تبكي القطط بمواء ضعيف وأنين وانكماش في الجسد ويكاد يدفن نفسه في الأرض.. صلى شهاب صلاة الجنازة بأقدام لا تكاد تقوم.. فما رآه في هذه الليلة وحدها هو أكثر سوادًا مما رآه بعض الناس طوال حياتهم.. ولكن بطريقة ما.. أصبحت نفس شهاب أشد قوة.. فالروح الصغيرة الحائرة إذا نزلت عليها مصيبة كموت الأم.. كل المصائب بعدها تهون..

ولم يدر كيف مر عليه هذا الوقت.. وكيف مشى بعد ذلك وهو ينظر إلى جواله ويفتح تطبيق السوار.. كان يعرف أن الذي قتل أمه الليلة وأخذ لين هم نفر من الجن.. ورغم ذلك كان يمضي ماشيًا لا يرتجف.. بل كل ما شعر به هو الغضب.. والرغبة في الثأر..

وبينما كان شهاب يمشي بين المباني أصدر القط مواءً غاضبًا جدًا وهو يحني جسده على الأرض بطريقة تستعد للانقضاض رغم أنه لا يوجد شيء واحد خطر ظاهر في الأفق..

هذا برز صوت من الجوال، يدل أن هنالك اتصالاً يجري مع السوار، لمح شهاب عينه في المرآه وهو يلمح حوله ثم تقدم من الجهة التي ينظر إليها القط..

والتقط الجوال إشارة من السوار هنا، مبنى معين دون غيره.. ووقف.. شهاب ينظر إلى المبنى..

كان مبنى فاخرًا من عدة أدوار يبدو كالقصر، مكتوب عليه فقط نحاسي بخط شديد الفخامة..

قصر القصور..

وجدت مريم نفسها مشلولة الأطراف.. صرخاتها تدوي بلا صوت.. يحيط بها رجال سود الوجوه طوال الشعر في غرفة مغلقة وسط مستشفى لا تدري ما هي..

لطالما كانت عقليتها العلمية تبث لها أفكارًا أن الجن والشيطان لهم تأويلات أخرى غير التي في الظاهر.. ربما هم وساوس النفس أو البكتيريا.. لكنها اليوم عرفت تأويلهم الحق.

كانوا جلوساً على الجانبين فقط ينظرون ناحيتها.. ثم وقفوا جميعاً.. وسمعت في الأجواء صوت دقات حادة معدنية مثل دقات يد الهون.. وذلك الرجل الأسود يمسك بمعصمها بيد لها ملمس الحرباء..

ثم قام الأسود، ووقف في منتصف الغرفة وهم على جانبيه يصنعون صفين..

قرأت مريم بسرعة في سرها آيات كريمات من سورة الرحمن تحفظها منذ كانت صغيرة وظلت تتلوها وهي ترتجف حتى شعرت

بأطرافها تتحرر تمامًا فجأة من قبضة الجاثوم.. وانطلقت كالسهم إلى باب الغرفة متحاشية ذلك الذي يقف في المنتصف.

وأمام عينها الذاهلة وجدت ذلك الباب الذي تركض إليه لم يعد هناك.. بل وجدت مكانه حائطًا صلبًا اصطدمت فيه بوجهها في عنف..

ولم تكد تفيق من الصدمة وتنظر للغرفة حتى انفتحت عينها من الفزع..

فلقد تغير موضع الباب تمامًا إلى حائط آخر في الغرفة.. وراء أحد الصفين من الجن.. واختفت الكراسي من الغرفة بأكملها.

وضعت مريم يديها على الحائط وهي تستند عليه بظهرها.. كان هذا الذي تراه مستحيلاً بكافة أنواع الاستحالة.. فهذا الذي تستند عليه جدار صلب.. وكان منذ ثانية واحدة جدارًا له باب..

تحسست أصابعها موضع الباب بفزع ولم تجده... كانت تظن هذا الجدار وهمًا.. وأنهم يتلاعبون ببصرها وعقلها.. لكن لا يوجد وهم بهذه الصلابة..

نظرت إليهم بخوف.. كيف يغير هؤلاء الجمادات ويبدلون هندسة مبنى كامل.. هذا مستحيل.

استمر صوت دق الهون وتحولت جميع الوجوه إليها ورفع ذلك الرجل الأسود لها خاتمه.. مدت مريم يدها وراء ظهرها وحركت الحقيبة من ظهرها إلى جانبها بسرعة وأخرجت منها المسدس..

ودون إضاعة لحظة واحدة أطلقت بسرعة طلقة واحدة مباشرة جدًّا إلى وسط رأس الرجل الأسود الذي يرفع الخاتم.

اخترقت الرصاصة رأس الرجل وثقبته ثقبًا واضحًا وسمعت مريم الطلقة تصطدم بإطار النافذة الكبيرة وراءه.. المرعب أن الطلقة

اخترقت رأسه بلا دماء.. فقط صنعت في رأسه ثقبًا مظلمًا صغيرًا لا تدري ما هو.. ولم يلبث الثقب أن التأم كما كان..

لقد سمعت قبل ذلك بتمثل الجن لكنها لم تكن تتخيل في أسوأ كوابيسها أن ترى هذا التمثل يحدث أمامها لحظيًا.. شعرت مريم بغصة مريرة تتكون في حلقها وهي تمسك مسدسها في يأس..

بدأ الجن يدورون حولها بخطوات بطيئة تتوافق مع دقات الهون.. وذلك الأسود يدور معهم في صفهم كأنهم يعملون طقسًا ليست له إلا نهاية واحدة.. روحها..

كان عقلها لا يكف عن التفكير.. هؤلاء جن متمثلون في هيئة بشرية.. وهم قادرون على التمثل في مخلوقات أخرى كالقطط والكلاب والحيات.. لكن لا يبدو أنهم قادرون على التمثل بالأجزاء الداخلية للمخلوقات كالدم والمعدة والخلايا العصبية..

الطلقة التي ثقبت رأس هذا الشيء بلا دماء تدل أنهم مجرد قشرة خارجية يقبع بداخلها جن يتحكم بهذه القشرة من الداخل بكيانه غير المادي..

هذا ليس له سوى معنى واحد.. أن هؤلاء لا يمكن قتلهم إذا تمثلوا.. فمهما أصبت في أجسادهم لن تصيب إلا قشرة خارجية يمكنهم إعادة تكوينها متى شاؤوا..

أدارت مريم يدها وضربت طلقة أخرى إلى النافذة الكبيرة فانكسر جزء كبير منها..

وفي لحظة واحدة أمام عيونها الناظرة في ذهول تكونت النافذة من جديد كأن لم يصبها سوء..

كانت تملك عقلية تحليلية شديدة الذكاء وعيونها تتحرك من وراء نظارتها والأفكار تتلاحق على عقلها كالسيل..

هؤلاء صنعوا قشرة مادية تبدو تماما كهيئة وملمس جلد الإنسان..

فما الذي يمنعهم من صناعة أي شيء..

مثل هذا المكان الذي هي فيه بأكمله..

الزجاج هنا يبدو كالزجاج.. والحائط يبدو كالحائط.. هذا ليس بمستحيل.. فقد سمعت أنهم كانوا يبنون محاريب وتماثيل للنبي سليمان..

أوقف الجن دورانهم حولها وخرج الرجل **الأسود** من بينهم حاملاً ذلك الخاتم..

لقد انتهى اللهو فيما يبدو وانتهت معه مهلة التفكير..

تراجعت حتى التصقت بالحائط وعقلها ما زال يفكر بلا توقف حتى اللحظة الأخيرة.. لكنها فتحت عينها فجأة.. شيء ما التمع في عقلها..

من الذي أعاد تشكيل الزجاج بالضبط.. وغير موضع الباب.. يستحيل أن يكون الصانع من خارج هذا المكان.. فالباب تغير موضعه في اللحظة التي اتجهت فيها إليه.. فالصانع من داخل هذه الغرفة..

ويستحيل أن يكون الصانع أكثر من واحد.. فأي صناعة لحظية يتم إسنادها إلى أكثر من صانع تفسد.

واحد فقط من بين هذه الوجوه القميئة.. هو الصانع..

وبينما كان الجن يقترب.. فجأة ضربت مريم الزجاج بطلقة مسدس أخرى فانكسر مجددًا.. ثم تكون مجددًا.. ولاحظت مريم وجوههم في هذه الثانية.. وبالفعل.. واحد فقط منهم هو الذي نظر إلى الزجاج..

ظهر في عين مريم لمحة من الأمل.. وانتقلت إلى الخطوة الثانية ونفذتها على الفور..

كانت تعتمد على فكرة واحدة بسيطة.. يستحيل لصانع أن يصنع شيئين في نفس الثانية..

وفي غمضة عين ضربت مريم طلقة على زجاج النافذة الأولى ثم طلقة أخرى على النافذة الثانية.. وقبل حتى أن ينظر الصانع للزجاج الذي انكسر.. ضربت رأسه هو..

وانطلقت مريم بأشد ما يمكن من قوة في جسدها لتصدم الزجاج الذي انهال متفتتًا على الأرض..

وخرجت من المكان كله..

· · — · ✶ · — · ·

كان القط يموء بوحشية وغضب حقيقي ويتراجع بتوتر ثم يتقدم كأنه يرى شيئًا.. نظر شهاب إليه في حيرة.. منذ متى كان هذا القط جريئًا هكذا.. إنه هجم على الشيطان ذاته في ذلك الفيديو بمجرد أن استشعر الخطر البالغ على لين.. إنه يحبها.. ولا عجب فلين تقضي معه أكثر مما تقضي مع أي أحد.

توتر شهاب من عصبية القط البالغة وأصبح ينظر إلى القصر وحديقته ولا يرى فيهما شيئًا **ظاهرًا**.. إن هناك كارثة يراها القط ويشعر بها.. ليتهم انتبهوا لشعوره هذا منذ كان يدور في الكرتون كالمجنون داخل السيارة.

أخرج شهاب جواله وفتح الكاميرا وصوبها إلى القصر واستخدم خاصية التقريب الفائق التي تتمتع بها.. كان يصوب على النوافذ وأنحاء الحديقة لربما يرى شيئًا ذا بال..

ثم هبطت على ذهنه فكرة شديدة الجنون تحركت لها حدقة عينه في انفعال.. تذكر الصورة التي رآها في موقع المرور.. والتي ظهر فيها الشيطان جالسًا معهم في السيارة.. كانت تلك صورة تم التقاطها بالفلاش..

لو أنه التقط صورة بالفلاش لذلك الجانب الذي يموء إليه القط بهذه الوحشية.. فهل سيرى في هذه الظلمة شيئًا.

شعر بشيء من الخوف يتملك قلبه لكنه سيطر على شعوره وبدأ يغير إعدادات التصوير في الكاميرا حتى تطلق الفلاش في الصورة التالية بينما ذهنه لا ينفك عن التفكير..

الفلاش يحدث نبضة ضوئية تضرب الأجواء وتختفي في جزء من الثانية.. وفي هذه النبضة الضوئية يلتقط الصورة.. كأنه يحبس جزءًا من الزمن.. هل أثناء تلك النبضة المضيئة الحابسة للزمن التي صورت السيارة.. ظهر طيف الجن البالغ السرعة قبل أن يختفي عن العيون.

ولم تسترسل أفكاره أكثر بل أدار جواله وجعله أفقيًا ثم ضغط زر التقاط الصورة..

وضرب الفلاش في المكان كله..

وبعين شديدة التوتر فتح شهاب الصورة.. وامتقع وجهه وأصابه الشحوب..

فهناك.. وفي حديقة الفيلا.. رآهم شهاب يقفون في الصورة بكل وضوح.. أجساد طويلة كالظلال الجامدة مبثوثة في المكان كله.. لهم شعور منسدلة ووجوه متدثرة بالظلام.. يرتدون البياض ويملؤون حديقة القصر..

ابتلع شهاب ريقه في رعب.. إنهم يحرسون المكان.. وإذا دخل سيفتكون به ويقتلونه على الفور..

ثم نظر مرة أخرى في أرجاء الصورة.. إنهم لا يحتشدون في كامل الرقعة، بل هناك مساحات فارغة بين أجسادهم..

جاءته فكرة متهورة عن المرور بين الأجساد لكنه طردها من ذهنه بلا تردد.. فهم لن يكونوا أوتاداً واقفة بل سيتحركون.. وسيفتكون به بلا تردد.

ثم كيف يعرف مواضعهم من مجرد النظر في الصورة... إن تقدير أبعاد الصورة على أبعاد الوجود الحقيقي صعب جدًّا.

لكن فكرة أخرى التمعت في ذهنه.. ماذا لو استخدم التصوير المتتابع.. عندما تأخذ الكاميرا 10 أو 20 صورة في الثانية الواحدة.. كل صورة بفلاش مستقل.. سيل من الصور المضيئة سيظهر على الشاشة بتتابع ويظهر للعين كأنه فيديو مباشر فيه تقطيع يسير جدًّا.. عندها فقط سيرى حركتهم.

وبالفعل نفذ شهاب الفكرة بطريقة معقدة نوعًا ما.. فشغل عدة تطبيقات في نفس الوقت.. وبدأت الكاميرا تطلق الفلاش المتتابع وفي نفس الوقت تخرج الصور على الشاشة مباشرة.. واهتز قلب شهاب هزًّا من المنظر..

هذه الأجساد تتحرك في حديقة القصر.. وأجزاء من وجوههم الرمادية وعيونهم تظهر في بعض اللقطات..

تذكر كلمات أبيه ناصر وهو يحثه في كل جلسة بينهما على الذكر..

كان يعلمه أذكارًا تحميه عندما يمر به خطر.. كلمات نورانية يحفظها كلها.. قال له يا ولدي إن الصلاة ذكر تصلك بالله دقائق في اليوم.. وذكر اللسان يصلك بالله في كل وقت وحين..

أغمض شهاب عينيه وتنهد ثم قرر أن يدخل رغم كل شيء.. فليكن هذا مسكن الشيطان ذاته.. فإن قتلوه فلا نفع في العيش بعد أمه على أي حال.

ردد شهاب بلسانه وكرر ذلك الذكر الذي علمه والده.. اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم..

ثم تحرك ببطء ولاحظ أن القط لم يجرؤ على الاقتراب.. فقط بقي في مكانه يموء في عصبية.. إن هذا القط يعرف حده على الأقل..

نظر شهاب إلى شاشة الجوال في وجل وهو يرى بعينه حركة الجن..

لكنه تقدم أكثر.. ودفع البوابة الحديدية لحديقة القصر.. ودخل..

كانت أجسادهم ظاهرة بكامل كيانها في جميع كادرات الكاميرا وتحركوا متقدمين إليه جميعهم وهو يردد بصوت عالٍ اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم.. واندفع متقدمًا إليهم في جرأة ممزوجة بالخوف..

ولاحظ في الشاشة أنهم لم يعودوا يقتربوا.. فقط وجوههم كانت ظاهرة بشكل أقرب في الصور مما خلع كيانه وجعل أقدامه لا تكاد تقدر على المضي أكثر.. لكن الذكر كان يطمئن قلبه وهو يرى تجمدهم في مواضعهم وعدم اقترابهم..

شعر بريح باردة تلفح كيانه من اليمين واليسار.. وفجأة أصابه صداع بالغ جدًّا بين عينيه جعله يمسك برأسه وملامحه يظهر عليها الألم البالغ لكنه شد على نفسه وتحامل وتقدم وسط كل هذه الأجساد الهائمة حتى وصل إلى باب القصر.

ومد يده ودفع الباب في بطء فسمع له صريرًا عاليًا مثل جميع أبواب القصور.. لاحظ أن بداخل القصر الظلمة بها ضوء خافت من القمر يتسلل عبر النوافذ العلوية..

ولما فتح شهاب الباب كاملًا..

نظر إلى الداخل نظرة واحدة وقف بعدها في مكانه.. كل شيء لديه سكت.. إلا ضربات قلبه التي تسارعت..

فهناك في وسط بهو القصر.. رأى أمام عينيه شخصًا.. ليس فقط هو آخر من يتوقعه هنا..

بل أقصى ما وصل إليه خياله..

لم يجد أباه ناصر.. ولا أمه الميتة.. ولا لين..

بل وجد نفسه هو ذاته..

· · — · ✶ · — · ·

في قصر القصور كان الكوري راقدًا في غيبوبة أحدثها الفزع.. فقد مرت عليه في نصف ليلة فقط ألوانًا من الرعب لم يرها أو يتخيلها في أبشع كوابيسه..

وفي تلك اللحظة صحا من غيبوبته وهو يشعر بثقل شديد في الرأس.. ثم أصابه صداع مفاجئ دخل بين عينيه ونبض نبضًا حادًا في صدغه.. وبين آلام الصداع نظر إلى المكان الصامت حوله.. لم يعد هناك جن أو أقنعة.. أو هكذا يتمنى.. لكن استوقف نظره شيء أعاد له كل الفزع دفعة واحدة.. باب القصر الذي كان أحرقه بنفسه.. عاد كأنه لم يصبه سوء.

لكن الشيء الذي أفرز في جسده هرمون الخوف إلى أقصاه أنه أصبح يرى ضوءًا يومض وينطفئ كل ثانية خارج باب القصر.. وكان ذلك الضوء الوامض يقترب حتى توقف خارج الباب.. ثم بدأ الباب ينفتح ببطء شديد..

أمسك الكوري عصا المشعل المدببة التي بجواره ونظر في ترقب إلى الباب.. ولم يكن ذلك الذي دخل شخصاً عادياً.. كان شخصاً أكثر فزعاً من أي شيء رآه من قبل..

رأى نفسه بجسده وبشعره الكوري يدخل من الباب ويقف أمامه في البهو.. كل شيء فيه يشبهه تماماً.. إلا عينه التي كانت سوداء قاتمة.. ويبدو أقصر قامة..

كان هذا الذي دخل من الباب حقيقة هو شهاب.. والذي يقف في البهو حقيقة هو الكوري.. لكن الجن كان يريهم صورة ذواتهم على الشخص الواقف أمامهم.. كل واحد يرى الآخر كأنه يرى صورته في المرآة.. نفس الشكل والملامح.. لكن العين سوداء قاتمة.. والوجه مبتسم ابتسامة وحشية.

تجمد شهاب في مكانه ولم يدر ماذا يصنع وهو يرى قرينه أسود العين له قامة أطول منه ويمسك عصا حادة بيده ويقف متحفزاً.. واهتزت جوانب شهاب.. هؤلاء الجن تمثلوا في هيئة أبيه وخدعوا لين.. والآن يتمثلون بصورته هو نفسه..

على الجهة المقابلة كان الكوري يمسك بالعصا بطريقة معينة يعرفها.. فهو منذ صغره كان متدرباً على بعض فنون القتال من متابعته لليوتيوب.. ولقد تعلم من هذا كثيراً.. ورغم الفزع الذي أصابه عندما رأى نفسه داخلة عليه.. إلا أن هؤلاء الجن قد أوصلوه إلى مرحلة من الجنون لم يعد فيها يتعجب من أي شيء.

وكان الكوري أول من تحرك.. لاحظ أن خصمه قرينه أقصر نوعاً ما ويتحرك ببطء فقبضت يده على العصا وانطلق بطريقة قتالية سريعة وهوى بسن العصا مباشرة على رقبة غريمه في لقطة قاتلة.

تحرك شهاب حركة مفزوعة إلى اليمين ساعدته أن يبتعد سنتيمترات قليلة.. وبدلاً أن تصيب العصا عنقه أصابت كتفه فتراجع إلى الوراء في ألم شديد وهو يمسك كتفه.

كان الكوري يرى أن قرينه القصير الذي يبتسم بطريقة مستفزة نجح في تفادي الضربة القاتلة فأصابته في كتفه فتراجع للوراء وهو يبتسم نفس الابتسامة المستفزة.. ثم أمسك كتفه وهو يبتسم أيضاً وعدل من نفسه ووقف يواجهه مجدداً.

كانت هذه الابتسامة تجعل الكوري يغضب أكثر فأمسك بالعصا بطريقة مائلة ليضرب بها ضربة يعرفها.. وانحنى الكوري ومال قليلاً وهو يهجم ثم هوى بالعصا مباشرة على رأس شهاب.. وفي هذه المرة أصابت العصا شهاب بأقصى قوة على رأسه ففجرت منها الدماء.

ورفع الكوري العصا مرة أخرى وملامحه تزداد غضباً لكنه توقف فجأة وهو يرى غريمه يهوي إلى الأرض بلا حراك.. وهناك نظارة كأنها اندفعت من اللا مكان وانزلقت على الأرض بعيداً عن الجسد الساقط.. نظر الكوري إلى الدماء التي أحدثها قرينه على الأرض.. وإلى النظارة التي طارت.. وبدأ ينظر في توتر وهو يقترب من النظارة ويلتقطها.

كانت نظارة عادية سقط عنها زجاجها من السقطة.. وانقبض قلب الكوري بعنف وهو ينظر إلى أحد قوائم النظارة ويرى عليها كلمة صنع في الصين بخط صغير جداً..

وفجأة أصدر جوال شهاب صوتاً.. كان البرنامج المتصل بسوار أمين يصدر إشعاراً له صوت مميز جداً.. فاتسعت عين الكوري وهو ينظر إلى الجسد الساقط.

مد الكوري يده في جيب قرينه بتوتر بالغ وأخرج الجوال.. كانت على شاشة الجوال خلفية جميلة.. صورة لفتاة صغيرة ذات ملامح شرقية تضحك وبجوارها مراهق يرتدي نظارات..

نظر الكوري إلى ذلك الجسد الهامد على الأرض في ذهول.. وهنا انطفأت الصورة التي صورها الجن.. فالقاعدة أن العين إذا كشفت الصورة بطلت وعادت إلى حقيقتها..

ورأى الكوري وجه شهاب الدامي ساقطاً على الأرض بلا حراك..

· · — ·✶· — · ·

في اللحظة التي وضع فيها ياسين القناع على وجهه لم يعد أي شيء كما كان..

فجأة شعر بألم شديد جداً في أماكن الغرز التي عملها ذلك الطبيب.. ولم يكن مجرد ألم عادي.. بل شعر بأن الغرز نفسها تتحرك في وجهه بسرعة بالغة..

لم تكن هذه الغرز مصنوعة بخيوط عادية.. بل بخيوط حية.. تحركت مثل الديدان الشيطانية وأمسكت في جلد القناع وخاطت نفسها به واشتدت إليه حتى صار القناع مخيطاً في الوجه من عدة جهات بلا فكاك.

أطلق ياسين صرخة ألم عالية انكتمت بداخل القناع وهو يحاول شده من مكانه بقوة.. لكن لم يعد هذا ممكناً بأي حال.. فقد تبين له أنه لو أراد خلع هذا القناع يجب أن يخلع جزءاً من وجهه معه..

جميع صرخات الألم والشد لم تعد مجدية، بل إنه كلما شد القناع للخارج تشتد الخيوط على نفسها أكثر وتغرز أكثر وتسبب ألما أكثر.. فلم يعد يجرؤ أن يمس القناع.

ثم انتبه ياسين وهو ينظر في الأجواء إلى صدمة ثانية لم ينتبه لها للوهلة الأولى.. واتسعت عيناه بفزع لا حد له..

كل شيء حوله بلا استثناء تغير.. كأنما أصبح يرى هذا العالم على حقيقته.. هي نفس غرفة المستشفى.. لكن الحوائط حمراء قانية بلون الدم.. والأسرة سوداء بغيضة المنظر.. والنور أصفر خافت يقبض البصر.. حتى الأرض تحته لم تعد هي أرض المستشفى اللامعة.. بل أرض معدنية نحاسية كأرضيات المناجم.. وهناك آثار دماء متجلطة في كل مكان تقريبًا..

ولم تكن الأجواء صامتة بل يدوي في المكان صوت معدني مثل دق الهون لا ينقطع.. تتخلله صرخات متألمة قصيرة وتأوهات بشرية بشعة تأتي من مكان ما كأنما تصدرها الحوائط..

كل هذا في اللحظة الأولى جعل ياسين ينهار تمامًا ويسقط على ركبتيه غير مستوعب لما رأى..

كأن الأجواء تحولت في غمضة عين إلى عالم سفلي بدل العالم الذي كان يراه...

فجأة سمع طرقًا على الباب ثم صوت الممرضة تقول:

- أيها الشاب.. هل تحتاج شيئًا؟

هناك صوت بشري ها هنا.. حاول الكلام لكن صوته كان مكتومًا تمامًا.. وسمع خطوات الممرضة تبتعد.. فقام وهرع إلى الباب وفتحه بسرعة..

رأى الممرضة من ظهرها تمشي.. فذهب إليها يحاول أن يجعلها تسمعه.. وقبل أن يصل إليها التفتت إليه..

وصعق كيانه كله..

لم يكن وجهها وجه ممرضة بل وجه حية بشعة المنظر تخرج لسانها المشقوق.. فاندفع إلى جهة أخرى ليجد ممرضة ثانية تدفع الكرسي وتحمل وجه حية أخرى..

وهرب ياسين.. انطلق بأقصى سرعة هاربًا في أروقة المستشفى ليخرج من هذا الجحيم.. كان كلما فتح رواقًا وجد رواقًا آخر.. وكل الأروقة ملآنة بالدماء على حوائطها كأنها أروقة مذبح ودق الهون يضرب أذنه بلا هوادة.. إنه لا يذكر أن المستشفى كانت بهذا الاتساع.. ما كانت إلا بضع غرف.. لكن هذه الأروقة لا تنتهي..

وفجأة وسط كل هذا التيه والدم.. سمع ياسين صوت خوار قريب أكثر مما يجب.. وصوت أقدام حيوان تركض وسلاسل تجر على الأرض..

واقترب الصوت سريعًا دون أن يترك له فرصة حتى للهرب.. وما هي إلا ثوانٍ حتى ظهر في آخر الرواق..

وتصلب ياسين مكانه بلا حراك.. كان حيوانًا بين الظبي والوعل.. له قرون معقوفة.. ووجهه أشبه ما يكون بوجه ذلك الشيطان الجدي الذي يرسمونه في الصور جالسًا متربعًا.. وتسميه الشعوب اسمًا مقبضًا..

جان السيل..

ولا يمكن أن يتخيل المرء سرعة حيوان كهذا حتى يراه يركض.. اندفع ياسين بكل قوة يملكها إلى الجهة المقابلة وحاول أن يفتح تلك الأبواب الجانبية في طريقه لكنه وجدها مغلقة كلها.. بل وجد الباب الذي دخل منه في بداية الرواق صار مغلقًا هو الآخر.

تراجع ياسين بفزع بالغ وهو ينظر إلى الحيوان الذي انطلق بسرعة ثور بلا رحمة ثم ضرب ياسين بقرنيه بقوة بالغة دفعته إلى الخلف حتى ضرب رأسه في الحائط.. ولم يرحمه الحيوان بل كان يحرك رأسه بتلك القرون ويدفع جسده بقوة محاولًا قتل ياسين..

اندلعت في ياسين طاقة من العزم فجأة أحدثها كل هذا الضغط المستمر فأمسك بقرون الحيوان وهو يحاول دفعه أو مجابهته لكن الحيوان كان شديد البأس فحرك رأسه بقوة بالغة ليرمي ياسين على الحائط في عنف.

ورغم كل هذا قام ياسين.. كان شديد البنية والبأس من تربية صحراء وطعامها لكن هذا الشيء الذي يواجهه كان فوق كل تصور..

ولم تكن القوة ستنفع مع شيء كهذا ولا السرعة..

فقام ياسين وركض بأقصى قوة واختار موضعًا معينًا يقف فيه في نهاية أحد الأروقة ينتهي بباب مغلق أيضًا.. ووقف أمام الباب ونظر إلى الحيوان في وجهه.

وانطلق الحيوان بتلك السرعة البالغة وابتعد ياسين في لحظة أخيرة ليرتطم وجه الحيوان في الباب بعنف شديد حتى اخترق الباب بقرنيه وانحشر رأسه فيه وهو يحرك رأسه بهياج شديد.

أخرج ياسين سلسلة مفاتيحه وضم جميع المفاتيح إلى جوار بعضها ثم هجم على الحيوان ورفع يده ونزل بالمفاتيح بأقصى قوة على رقبته وبطنه وظهره.. كانت المفاتيح تنغرز في جسد الحيوان كالسكين وهو يصدر خوارًا غاضبًا متألمًا..

وانتفض جان السيل وثار وحرك رأسه بسرعة ونفض جسده حتى فك قرنيه من الباب واستدار بكل الغضب والألم في جسده.. وتهيأ أن ينطلق..

وفجأة سمع ياسين من ورائه صوتًا يصرخ فيه:

- ابتعد.

نظر ياسين وراءه ليجد مريم تمسك بمسدس وتصوبه بشكل ثابت ثم تطلق طلقتين متتابعتين إلى رأس الحيوان مباشرة..

وسقط جان السيل.. سقط جاثيًا بين دمائه.. بلا حراك..

هرع الكوري إلى جسد شهاب المضرج في دمائه يحاول إفاقته وينظر إلى جرح رأسه.. جس الكوري نبض شهاب وتنفسه فوجده ما زال يتنفس.. فأسرع إلى الستارة التي صنع منها القناع وقطع منها جزءًا طويلًا ضمه على بعضه وربط رأس شهاب بعناية ليوقف تدفق الدم.

وظل الكوري يراقب شهاب ويخبط على وجهه حتى استبشرت ملامحه بتأوه خفيف صدر من شهاب.. فهرع الكوري يحتضنه ويطمئنه حتى فتح شهاب عينيه في إعياء شديد وهو ينظر إلى الكوري ويقول بصوت ضعيف متحشرج:

-- من أنت؟

ربت الكوري بيده عليه وقال:

- أقسم لك إني كنت أرى أني أقاتل قريني..

فجأة عادت الذاكرة إلى شهاب دفعة واحدة فظهرت ملامح الفهم المفزوع على وجهه وشفتاه ترتجفان وهو يقول:

- أي شيء أنت.. لقد رأيت قريني..

نظر له الكوري بدهشة للحظة ثم أدرك وفهم كل شيء بغتة.. وقال:

- أنا بشري مثلك.

قال شهاب بصوت متألم:

- بشري..

قال له الكوري وهو يساعده للقيام:

- ما اسمك؟

قال شهاب وهو ينظر له في قلق:

- أنا شهاب.

قال الكوري بلهجة عطوفة:

- أنا أدعى هتان.. أخوك من السعودية..

ظهر الألم على وجه شهاب وحكى للكوري سريعًا ما حدث لهم.. غياب أبيه وموت أمه واختطاف لين وكيف تبع إشارتها إلى هذا القصر.. تأثر الكوري من هذا الذي سمع.. لقد مر هذا الصغير بمصيبة لا يتحملها أحد.. وما زال الإصرار في عينيه ساريًا..

ثم حكى الكوري ما حدث في القصر بكل ما فيه من جنون.. وقال إنه لم يلحظ خلال كل هذا دخول أي فتاة صغيرة.

كان شهاب ينظر في جواله ويقوم بصعوبة والكوري يسنده.. ثم قال شهاب:

- إن أختي لين هنا.. هذه الإشارة لا يمكن أن تخطئ.. إذا مشينا قليلًا بين الغرف ستزيد هذه الإشارة أو تقل حسب اقترابنا أو ابتعادنا.

قال له الكوري وهو يربت عليه:

- أنا معك حتى نجدها.

فجأة سمع الاثنان صوتًا من خلفهما خلع قلبيهما.. صوت انغلاق باب حديدي.. نظرا إلى الوراء فوجدا باب القصر الخشبي الكبير تحول إلى باب حديدي غليظ كأن وزنه أطنانًا وصوت انغلاقه الحديدي العالي يرهب القلب..

وقبل أن يكملوا أنفاس اندهاشهم سقطت أغطية حديدية سميكة على جميع نوافذ القصر في وقت واحد محدثة دويًا شديدًا جعلهما يضعان أيديهما على آذانهما ويغمضان عينيهما في فجع.

كان الجن قد تعلموا مما حدث مع مريم فأبدلوا النوافذ والأبواب بحديد غير قابل للاختراق.. ولم يكد الكوري وشهاب ينهون إغماض أعينهما من شدة الصوت حتى أيقظهما من غمضتهما صوتًا عجوزًا يقول:

- أتدرون ما أجمل شيء يصنعه قومنا في عيد النشور؟

نظرا أمامهما فوجدا ذلك العجوز الذي قاد الكوري إلى هنا في أول الأمر.. كان واقفًا في البهو عند أول السلم ينظر بوجهه الحكيم المخادع.. وفور أن انتهى من نطق جملته.. ظهر حوله أصحاب الأقنعة كأنما برزوا جميعًا من ظلمة البهو..

ثم قال العجوز:

- أجمل شيء نصنعه في هذا العيد.. هو إطلاق النار.

وفي لحظة واحدة رفع أكثر من مئة شيطان بندقية معدنية طويلة يصوبونها ناحية شهاب والكوري..

ودوى صوت تعمير البنادق في وقت واحد استعدادًا للإطلاق..

الفصل الأخير

الجنون

في اللحظة التي كسرت مريم فيها النافذة هاربة من غرفة الرجال السود.. كان عقلها يفكر قبل حتى أن تهبط من سقطتها.. إلى الأرض.. وفي اللحظة التي هبطت نفذت ما فكرت فيه والتجأت إلى حائط من حوائط المستشفى الخارجية ولم تهرب بعيدًا إلى البلدة.. كانت تمنى نفسها وهي تستند إلى الحائط في وضع متصلب ألا يكون الجن من طراز الكائنات الذي يملك حواس خارقة فيعرفونها من رائحة البشر أو يشعرون بحرارتها.. فلو كانوا كذلك ستظل في هذه المطاردة حتى يقتلوها ولن تتحمل طويلاً.

لكنها اطمأنت عندما رأت ظلالهم السوداء تخرج من النافذة تتهادى كالأطياف في الجو بسرعة عالية متجهة بعيدًا ناحية البلدة.. نظرت مريم إلى ابتعادهم وتنهدت مريم في ارتياح.. فقد تبين أن حواسهم عادية.. ثم اتسعت عينها مرة أخرى وهي تنظر إلى ناحيتهم.. ليس فزعًا منهم فلم يكونوا هناك أصلاً.. بل من شيء آخر..

رأت حيوانًا جامحًا يأتي راكضًا من بعيد بسرعة لا تصدق.. وسقط قلبها في جسدها المتصلب..

لكن الحيوان الهائج ذا القرون المعقوفة كان لا يأتي إليها بأي حال.. بل كان يتجه إلى باب المستشفى.

حمدت الله واستعدت لتغادر المكان بحرص لكنها توقفت لحظة.. تذكرت أن ذلك الفتى ذا القناع ما زال بالداخل.. إنها متأكدة أنه بشري فقد رأته يحمل جوالاً يظهر على شاشته صور وأضواء.. ولا حاجة للجن أن يستعملوا جوالاً أو حتى يجعلوها ترى أنه يحمل جوالاً..

نظرت مريم إلى مسدسها قليلاً ثم حسمت قرارها.. ودخلت وراء الحيوان ذي القرون.

رأته يركض في الأروقة كالثور الهائج حتى لقي ياسين وبدأ يناطحه.. ثم انحشرت رأسه وتمكن من فكها.. هنا صوبت مريم مسدسها بعناية وأطلقت طلقتين متتاليتين إلى رأس الحيوان مباشرة.. وكلا الطلقتين أصابتا هدفهما.. ومات الحيوان على الفور.

هرعت مريم إلى ياسين تقيمه من الأرض ولم يكن يقدر أن يتكلم.. فقط يشير بألم إلى قناعه.. حاولت مريم بكل الطرق أن تشد القناع لكن بدا أنه كان ملتصقًا بالوجه بطريقة شيطانية ما.. قالت له مريم:

- اهدأ.. اهدأ أيها الشاب.. سأساعدك..

كانت هناك مثل خيوط منغرزة في وجه الفتى ومخيطة في القناع.. فأخرجت مريم من حقيبتها قصافة أظافرها الصغيرة.. وفتحت ذلك الجزء الحديدي المتوسط في القصافة والذي يبدو مثل

سكين صغير يستعمل لبرد الأظافر.. ثم أدخلت السكين من أسفل القناع وتحسست أماكن الخيوط بعناية واتسعت عينها في دهشة ورعب.. هذه الخيوط تتحرك بسرعة كالديدان.

تحاملت مريم على نفسها وعلى القشعريرة التي أصابت كيانها وبدأت تقطع الخيوط جزءًا جزءًا حتى حررت وجه ياسين من القناع تمامًا وخلعته له.. كان وجهه أحمر من الكتمة والضغط وانغلاق القناع وبدأ يشكرها كثيرًا بينما هي منشغلة تمامًا بالنظر إلى تلك الخيوط المتحركة.. وقالت بشرود:

- هذه ليست من قبيل الديدان.. إنها مجرد خيوط جراحية.. تتحرك.. وهناك من يتحكم بها..

وقبل أن تتم جملتها.. رأت تصديق كلامها..

كان الذي يتحكم بالخيوط واقفًا في بهو المستشفى.. ذلك الطبيب برأسه الأصلع وعيونه التي أصبحت سوداء كلها.. وابتسامته التي اتسعت أكثر من ذي قبل.

تقدم ياسين ووقف أمامها وهو يقول:

- دعي لي هذا الكائن.. وأعطيني المسدس..

قالت له مريم:

- لا فائدة.. لقد جربت أن أطلق في الرأس.. إن جلودهم تعيد التشكل.

ظهرت الدهشة على وجه ياسين لكنه قال بعناد:

- أعطيني المسدس سيدتي.

قالت مريم:

- إذا أردت أن تواجه هذا الشيء فسأعينك أنا بالطلقات.. هكذا نكون اثنين.. ولا تقلق فأنا رامية..

نظر لها ياسين لحظة وهو يسترجع طلقاتها الدقيقة على وجه الحيوان ثم قال:

- فليكن.

واستدار بغضب إلى حيث الرجل.. وهجم عليه بجرأة عالية دون أي مقدمات.. بينما مريم مستعدة تمسك مسدسها..

لكن الرجل اختفى من موضعه فجأة وظهر في موضع آخر بعيد في البهو وتلك الابتسامة المستفزة تطغى على وجهه..

توقف ياسين مكانه للحظة وهو ينظر للأصلع.. إن الهجوم على هذا الشيء مستحيل.. فهو أسرع من غمضة العين.. تراجع ياسين بحذر وقال لمريم:

- دعك منه يا أختي.. سنخرج من هنا الآن.

أرادت مريم أن تقول شيئاً لكن ياسين كان قد أمسك بيدها وتوجه إلى الباب وقبل حتى أن يخطو خطوة ثانية تغير موضع باب المستشفى نفسه.. إلى موضع آخر..

وبدأت أوصال ياسين تتفكك وحماسه يتردد.. فهذا الذي يحدث عبث تام.. وليس من حل إلا المواجهة.. استدار ياسين إلى الطبيب ووجد مريم تصوب ناحيته مسدسها في عناية..

وقبل أن يستوعب ياسين أو مريم ما حدث.. فجأة طار المسدس من يد مريم.. لم يطر ليرتمي على الأرض مثل أي شيء يطير بل طفا المسدس في الهواء واستدار موجهاً الفوهة عليها..

نظرت مريم إلى المسدس وقد شل تفكيرها تماماً.. كأنها علمت أنها النهاية.. فهؤلاء القوم يتحكمون بالجمادات ولو اختبأت وراء شيء هنا فكل الأشياء هي مجرد هياكل مصنوعة يتحكم بها الجني ويشكلها.

صرخ بها ياسين فجأة:

- تحركي.. لا تقفي هكذا فتكوني هدفاً سهلاً.

أفاقت مريم من شللها وانطلقت راكضة.. لكن المسدس كان يتبعها بدقة كلما تحركت وكان واضحاً أنه سينطلق في أي لحظة. صرخ بها ياسين:

- اجعلي حقيبتك درعاً..

انتبهت مريم أن حقيبتها هي الشيء الوحيد المادي الحقيقي هنا.. فخلعتها من ظهرها ورفعتها أمامها في وجه المسدس..

فجأة دق جوال مريم داخل حقيبتها فصرخت وقد شعرت بالأمل:

- حازم.

نظر إليها ياسين للحظة ثم نظر إلى المسدس الذي يتحرك بشكل دقيق..

هذه الحقيبة قد لا تنجح في إيقاف الطلقة..

وحتى لو أفلتت من الطلقة فهذا الشخص لا يمكن إدراكه لسرعته البالغة في الاختفاء ثم الظهور..

وأتت لياسين فكرة كانت هي الأكثر جنوناً من أي شيء..

ولم يفكر ثانية أخرى في فائدتها من عدمها.. بل نفذ على الفور..

فجأة ركض ناحية القناع.. وبدون مقدمات.. وضعه على رأسه..

وبالفعل.. رأى ياسين الذي كان يفكر فيه ويتوقعه..

فهذا القناع كان يظهر الأشياء على حقيقتها.. وقد ظهرت الحقيقة لعيون ياسين في اللحظة التي ارتداه فيها الآن..

اتضح أن الأصلع الذي يرونه يختفي ويظهر هو في الحقيقة مجرد صورة يحركها الأصلع الحقيقي الرابض هناك في الركن وراء الجدار.. يخفيها ويظهرها وقتما شاء..

لكن لماذا يختبئ وراء الجدار حتى لا تراه عيونهم.. أليس يقدر أن يصدر الصورة في حالته الجنية الخفية.. أم أن وجودها كصورة يشترط عليه أن يتمثل بها أولاً..

ولم يضع ياسين وقتاً في التحليل.. بل بكل عزمه وسرعته هجم على الرجل..

كان الأصلع قد انتبه لما يحدث فور أن ارتدى ياسين القناع.. لكنه لم يجد ثانية واحدة زائدة ليخرج من الجسد الأصلع الذي تمثل فيه.. إذا جاءه ياسين كالكارثة وأمسك به ووضع إصبعيه في عينيه بقسوة شديدة وبدأ يشد وجهه شداً.. حتى بدأت رأس الرجل تتمزق في يد ياسين..

وخرج منها الكيان الحقيقي.. ورآه ياسين بعين القناع.. وسقط قلبه أسفل قدميه.. وسابت يده بشكل تلقائي..

· · — · ✱ · — · ·

كانت جميع البنادق مصوبة تجاه رأس الكوري وشهاب بينما هما متجمدان مكانهما من المفاجأة..

وفجأة وسط كل هذا التوتر رن جوال شهاب برنة مميزة يجعلها لأبيه.. ولم يكد ينظر بفرح إلى جواله حتى وجده طار من كفه واصطدم بالحائط وسقط على الأرض.. والعجوز يقول:

- ألم يكونوا يعلموك أن النظر في الجوال بينما يكلمك الكبار هو من أشد العيب.

كان الكوري هو أول من أفاق من تلك الصدمة وقال لشهاب وهو يدفعه:

- تحرك.

وركض الكوري بأقصى قوة وهو يشد شهاب إلى باب في يمين البهو دخلا منه وكل ذرة من جسديهما تنتفض خوفًا من طلقة قاتلة قد تنطلق من هذه البنادق..

وجدا أنفسهما في غرفة أصغر قليلًا تملك بابًا في نهايتها دخلوا منه ركضًا ليأخذهم إلى غرفة أخرى ثم إلى غرفة ثالثة فيها ثلاثة أبواب.. واحد فقط من الثلاثة هو الذي كان مفتوحًا فدخلوا منه هاربين وانطلقت أقدامهم تركض حتى توقف الكوري فجأة وأمسك بشهاب بقوة..

نظر له شهاب بتساؤل..

كانا يلهثان من الركض والمفاجأة.. والكوري يقول:

- أصغ سمعك.. لا أحد يتبعنا.. هؤلاء يسيروننا كما شاؤوا.. يفتحون بابًا ويغلقون البقية حتى نمشي في طريق يريدونه هم.. ولو فتحنا هذا الباب ومضينا أكثر فسنجدهم قد جهزوا لنا شيئًا آخر أكبر من ذلك الذي نركض منه.

قال شهاب وهو يلهث:

- هم لم يجعلوا لنا خيارًا آخر.

قال له الكوري:

- اسمع.. هذا الطريق الذي يسيروننا فيه هو بالتأكيد بعيد جدًا عن لين.. إنها مسرحية كبرى ونحن فيها بيادق ليس إلا.. ثم إنهم رموا جوالك هناك في البهو ولن تقدر على تتبع الإشارة.

قال له شهاب:

- لا بأس أعطني جوالك أنت وسأحمل عليه التطبيق وأدخل بحسابي.. وسأتبع إشارة لين.

أعطاه الكوري الجوال وبدأ شهاب يحمل التطبيق ويتحرك فيه بتوتر.. فإشارة لين كانت بعيدة جدًا.. فأمسك به الكوري وقال:

- شهاب اسمعني.. سنعود.

نظر له شهاب بدهشة وقال:

- أين نعود هل جننت..

قال الكوري:

- لا تغرك هذه البنادق .. اسمعني .. هؤلاء يمكن أن يصنعوا أشياء بسيطة كالأبواب والنوافذ والحوائط وحتى البيوت. . لكن أن يصنعوا آلات ميكانيكية دقيقة هندسية مثل البندق فهذا مستحيل تمامًا. . لقد رأيت وثائقيات وقرأت كثيرًا عن الأسلحة. . حتى الطلقات تحتاج لأبعاد معينة ونسب دقيقة جدًا من البارود حتى تنفجر.. إن هذا الذي يصوبون به علينا هو مجرد شكل فقط.. ولو أطلقوا منها فلن تخرج أي طلقات بل سنسمع صوتًا مثل الإطلاق.. إن هؤلاء يصنعون الوهم.

قال له شهاب وهو يحاول إدخال الكلام إلى عقله:

- لكنهم صنعوا الأبواب والنوافذ يا هتان.. وهذه فيها أجزاء ميكانيكية أيضًا.

قال الكوري:

- كل هذه بسيطة يمكن عملها دون ميكانيكية معقدة جدًا وقياسات دقيقة كتلك الموجودة في الأسلحة.

قال شهاب:

- لكن ربما تلك البنادق كانت موجودة في القرية في الأصل وهم استولوا عليها وحملوها ليضربونا بها.

قال الكوري بإصرار:

- مستحيل.. لقد رأيتهم في اجتماعهم في البهو.. ورأيتهم في الدور الثاني فوق.. لم تكن معهم أي بنادق ولو كانت معهم لأخافوني بها.. هذه أشياء صنعوها الآن فقط.

قال شهاب بتوتر وقد بدأ عقله يتشوش:

- أنا لا يعنيني أين نسير.. أريد الوصول إلى لين.

قال الكوري:

- إنها في جهة معاكسة للتي يأخذوننا إليها صدقني.. انظر إلى الإشارة.. ليس منطقيًا أن يقودونا إليها..

نظر شهاب إلى الإشارة التي كانت أضعف كثيرًا عما كانت عليه في البهو فقال له الكوري:

- لا بد أن نعود.. لكنني لا أدري حقًا كيف سنخترق صفوفهم حتى لو كانت بنادقهم هذه مزيفة.

قال شهاب وكثير من الحزم يظهر في وجهه:

- أتدرى.. لو كانوا مجرد جن بلا بنادق حقيقية.. فلن يكون المرور وسطهم مشكلة.. لقد مشيت وسط أفواج الجن في حديقة هذا القصر ولم يجرؤ أحدهم على الاقتراب مني.

رفع الكوري حاجبيه وقال:

- كيف فعلتها؟

قال شهاب:

- بالذكر الذي علمه لي أبي.

قال الكوري متسائلاً:

- أي ذكر؟

قال شهاب:

- كنت وأنا صغير أخشى الجن والظلام فعلمني أبي هذا الذكر وقال يا ولدي إن الذكر يهبط ملائكة من الرحمن يحيطون بك فلا يجرؤ أن يقترب منك جن أو شيطان.

نظر له الكوري وقد فهم ما يقصد وقال:

- إن هذا يحتاج يقينًا من حديد.. اسمعني يا شهاب.. سنعود.. لكن عندما نصل إلى البهو.. سأخرج أنا إليهم.. فهذا الذي قلته لك عن البنادق المزيفة هو مجرد استنتاج.. وربما أكون مخطئًا.. ستنتظرني أنت وراء الباب وتصغي سمعك.. حتى تسمع إطلاقًا من البنادق.. فإذا ناديت عليك بعدها.. فقد كنت أنا على حق.. وإن لم أنادِ عليك فجوالي هذا معك.. ابحث عن لين حتى تجدها.. وإن كلمة سر الشاشة هي حرف Z.

حاول شهاب أن يعترض لكن الكوري قال له:

- لين بحاجتك يا شهاب.. لا وقت للمخاطرة..

أخذ الكوري شهاب من يده.. وعادا من نفس الطريق الذي جاءا منه وفتحا نفس الأبواب ولم يعترض طريقهما أحد.. حتى وصلا إلى باب البهو..

نظر الكوري إلى شهاب وأومأ له برأسه ثم فتح الباب دون تردد.. وخرج إلى البهو.

· · — ·✶· — · ·

مد ناصر يده إلى حازم ليقيمه من الأرض.. لكن حازم أمسك به وقربه إليه فجأة وهو يقول:

- لا تنظر لأحد من هؤلاء السافلين.. إن مجرد تجاهلهم يبعدهم عنك..

ابتسم ناصر ابتسامة باهتة وهو يقول له:

- لقد نظرت كثيرًا في وجوههم القميئة ولم يجرؤ أن يقترب مني أحد..

نظر له حازم بدهشة ولم يفهم.. كان السر هو الخوف.. فبدونه لا يملك هؤلاء من الإنسان شيئًا حتى لو نظر.. ولم تكن في قلب ناصر ذرة واحدة من الخوف.. إلا على عائلته.

مد ناصر يده مجددًا وقال:

- قم وتعال معي ولا تضع وقتي.. فأنا أبحث عن أهلي.

قال حازم وهو ينظر بطرف عينه إلى الجن المنتشرين في الطريق والذين بدؤوا في التحرك:

- هل تعلم أين أهلك؟

سكت ناصر وقال:

- أبحث عنهم منذ ساعة كاملة بلا فائدة.. وجميع جوالاتهم لا ترد..

قال له حازم:

- إذن تعال معي أنت.. سيارة البعثة الهامر يمكنها أن تعرف موقع أي جوال بدقة بمجرد الاتصال به.. والهامر ليست بعيدة عن هنا.. سنعرف الموقع بالضبط ثم نذهب إليه على أقدامنا.. فالهامر عجلاتها تصلبت فجأة بلا سبب مفهوم واضطررنا للنزول منها.. لكن جميع أجهزتها الإلكترونية تعمل.. هيا استند عليّ.. إن حالتك كارثية والهامر بها إسعافات.. سأسعفك بنفسي..

قال ناصر وقد استعاد قلبه شيئًا من الأمل:

- لا بأس لكن سنؤجل أمر الإسعاف هذا حتى نجدهم..

ومشى الاثنان بين أفواج الجن.. حازم يطرق وجهه إلى الأرض.. وناصر ينظر إليهم بكراهية..

وبينما هم في مسيرهم أرسل حازم إلى مريم رسالة على الماسنجر يسألها أين أنت.. لكنها لم ترد.. والماسنجر يظهر أن آخر ظهور لها هو منذ ساعة..

ورغم كل أنواع المحاولات الجنية لاستثارة نظر حازم أو إخافة قلب ناصر إلا أنهما تجاوزا كل شيء ووصلا إلى الهامر..

هرع حازم إلى السيارة يفتحها ويخرج حقيبة الإسعافات لكن ناصر قال له:

- أهلي قبل كل شيء.

قال له حازم:

- فليكن.. بضع دقائق وسأعرف لك موقعهم.. أعطني جوالك.

أخذ حازم الجوال وشغل السيارة وأوصلها ببلوتوث الجوال بسرعة واتصل برقم الابن شهاب فهو أول رقم في قائمة المتصلين حديثًا.. وشغل تقنية التعرف على الموقع بطريق أبراج الجوال والأقمار الصناعية بأكثر دقة ممكنة.. وهي تقنية تضاف إلى سيارات البعثات لأجل الإنقاذ أو عند التيه في الصحراء.

وبينما كانت الهامر تبحث عن الموقع فتح حازم حقيبة الإسعافات وهو يقول:

- السيارة تبحث. الآن.. هي تحتاج لدقائق فقط.. دعني في هذه الدقائق أسعفك أرجوك.. أنت تحتاج إلى هذا.

أومأ ناصر برأسه إيجابًا فبدأ حازم يسعفه بمهارة شديدة وسرعة..

وبينما ينظر إلى موضع في جسد ناصر انفتحت عينه من الدهشة.. فليس هناك موضع سليم في جسد هذا الرجل.. فقال له حازم:

- ما الذي فعل بك كل هذا؟

قال ناصر:

- قبيلة من القرود فقدت عقولها.. عشرات منهم أحاطوا بي وأنشبوا بي مخالبهم القذرة من كل مكان.. ولولا أنني أخرجت مسدسي وقتلت قائدهم ورفعت لهم جثته بيدي ما كانوا قد ابتعدوا.. لكن هذا لم يفدني بشيء.. بل وجدتهم عادوا بأعداد أكبر.. فقد اتضح أن هذه القرود يكون لها أكثر من قائد.

قال حازم بدهشة:

- وماذا فعلت؟

أنزل ناصر عينه في الأرض بإرهاق وقال:

- لم أدر ما أصنع.. ظننت أنهم جن لكن كل الأذكار التي تلوتها لم تؤثر فيهم.. هجموا عليَّ بضراوة ولم يتركوا في جسدي قطعة إلا وضعوا فيها مخالبهم.. ففقدت وعيي وسقطت بلا حراك.. وربما ظنوا أني مت بالفعل فانصرفوا عني..

قال حازم:

- هؤلاء لم يكونوا جنًا بل حيوانات عادية.. الجن فقط تسلط على عقولهم وأطلقهم عليك ثم تركهم وذهب.. فلم تؤثر عليهم الأذكار.

فجأة التقطت الهامر موقع جوال شهاب بدقة شديدة وأظهرت خريطة مموهة غير واضحة التفاصيل لكن عليها نقطة حمراء في جهة من الجهات تبين موقع شهاب.. فقال حازم بارتياح:

- لقد عرفت موقعه.. إنه في الشمال على بعد ثلاثة كيلومترات.. لو مشينا سنصل في نصف ساعة..

قال ناصر بيقين:

- لا حاجة للمشي.. فقط شغل سيارتك واستعذ بالله وقل دعاء الركوب وسيذهب عن هذه المدرعة سحر الجن.. فهؤلاء السفلة غالبًا وضعوا لك شيئًا من أسحارهم الهشة داخل الماكينة.. ولا يوجد سحر على الأرض لا يبطله الذكر..

نظر له حازم بأمل ثم شغل السيارة في توتر.. وأغمض عينيه وبدأ يتلو الأذكار موقنًا بها.. ويتلو دعاء الركوب.. وكذلك ناصر.. ثم حرك حازم ذراع المكابح وحاول تحريك السيارة..

وتحركت..

خرج الكوري إلى البهو ينظر في قلق.. كان فارغًا تمامًا.. ثم لم تلبث وجوه القوم بأقنعتهم البغيضة تظهر متتابعة من جنح الظلام كأنما يسكنون فيه.. ووجد العجوز في وسطهم كأنه لهم قائد..

مشى الكوري بضع خطوات مترددة إلى ناحيتهم.. ثم سمع ذلك الصوت الذي يسقط أوصال الروح.. أكثر من مئة بندقية تتعمر وترتفع في وجهه.. شعور بارد أن هناك أشياء معدنية باردة ستخترق كيانك وتمزقه حتى تموت في الحال.. لكنه كان واثقًا من ذلك الذي وصل إليه بعقله.. هؤلاء مجرد مهرجون.. ولا شيء مما في أيديهم له حقيقة.. لو كانوا يصنعون الآلات لحل السحرة جميع مشاكل البشر..

تنهد الكوري بعمق ثم تحرك إلى وسطهم بخطوات سريعة شديدة الاستفزاز بالنسبة لجيش يحمل هذا العدد من البنادق في وجهك..

وظهر شيء من الخشية على وجه العجوز لم يلبث أن غطى عليه بصوته العالي وهو يقول:

- أطلقوا.

وانطلقت جميع البنادق دفعة واحدة..

وأغلق الكوري عينيه وانتفض منكمشًا على ذاته لثوانٍ وهو ينتظر الموت رغم كل الثقة التي كان فيها..

وفي الثانية التالية.. عرف الكوري أنه كان على حق.. وفتح عينيه..

ووجد البنادق كلها قد اختفت من أيديهم.. كأنما مجرد كشفها جعلها تنطفئ.. وظهر الحزم على وجه الكوري وأراد أن ينادي شهاب لكنه سمع شهاب يدفع الباب بسرعة وينظر إلى المنظر في جزع من وراء نظارته.. ثم لم تلبث ملامحه أن ارتاحت وهو يرى الكوري واقفًا بخير حال..

قال له الكوري:

- ما ذلك الذكر الذي علمك والدك يا شهاب؟

قال شهاب وهو يتقدم إليه ناظرًا إلى تلك الوجوه:

- اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم.

بدأ الحزم الذي كان على تلك الوجوه يتغير.. وشهاب يتقدم منهم بجرأة غير مسبوقة..

رأى الكوري كثيرًا من الوجوه المقنعة تختفي من أماكنها وتظهر مجددًا في أماكن أبعد ويقفون هناك في توتر ظاهر.. وشهاب يتلو بقية الأذكار..

بدأ الكوري يمشي هو الآخر ناحية العجوز.. وفجأة ركض الكوري..

ركض ناحية العجوز بقوة.. وفي اللحظة التي ركض فيها اختفى العجوز من المكان كله..

كان الخوف إذا زال من المعادلة.. ودخل الذكر.. يخسر هؤلاء القوم كل شيء.. ويظهرون على حقيقتهم، فإن ملائكة الله يهبطون ويحفون من يذكر الله أو يقرأ آية الكرسي فلا يقربه شيطان بنص الكلام النبوي..

وفي جانب آخر شديد الإظلام من ذلك القصر كانت لين مستلقية على دكة حجرية باردة وعينها مفتوحة عن آخرها من الفزع وكل أطرافها مثبتة بالجاثوم لا تقدر على تحريكها وهي تنظر كل حين إلى رجل طويل يملك ابتسامة مميزة كأنها مثبتة في وجهه.. رأته أول مرة حينما دخلوا للقرية بالسيارة وسأله أبوها عن شيء ما..

قال لها:

- أتدري يا لين لماذا يحب قومنا الدم؟

نظرت له بطرف عينها في رعب وهو يقول:

- إنه يغذي أرواحنا باللذة.. لأن ذرات أرواحكم تمر فيه.

ثم اقترب منها وهو يكمل:

- ودماء الصغار الطاهرة التي لم تتلوث.. ألذ.

لكن فجأة وجدته لين يولي ظهره للدكة الحجرية ويقف في جمود كأنه يصغي إلى شيء.. ثم قال كأنه يحدث نفسه:

- لقد أتى.. وكنت أظنه لا يأتي.. وتجاوز.. وكنت أظنه لا يتجاوز.. وليس لبشري أن يتجاوز شيئًا نصنعه إلا أن نحرق فؤاده.

واستدار لها وقد اختفت تلك الابتسامة من وجهه وهو يقول:

- لين أيتها الصغيرة.. حان وقت الذبح..

وظهر في يده شيء مثل سكين حاد تكون في التو واللحظة وهو يقترب منها..

وفي ذلك البهو كان الكوري وشهاب قد وصلا إلى السلم الكبير، وبدأا يصعدان عليه وهما ينظران بقلق فطري إلى عشائر الجن التي تتهادى على اليمين واليسار ولا تجرؤ على الاقتراب.. وشهاب يمسك جواله ويصغي ويتقدم حتى فتح أحد الأبواب ودخل.. ودخل الكوري وراءه..

كانت الإشارة تشتد وتقوى في كل خطوة يخطوها شهاب..

ظلا يفتحان الأبواب وصوت الجوال يصدر رنات أكثر سرعة.. حتى وصلا إلى غرفة فيها ثلاثة حوائط مصمتة.. وأظهر التطبيق لشهاب رسالة تقول ببساطة..

«لقد وصلت إلى لين».

نظر شهاب حوله بقلق بالغ.. هذه الغرفة فارغة تمامًا..

قال له الكوري:

- إنها وراء أحد هذه الحوائط المصمتة.. هؤلاء يصنعون الأبواب ويزيلونها.. وليس من المنطقي أن يضعوا بابًا في الغرفة التي خبئوا فيها لين.

قال شهاب:

- أي حائط من هذه الثلاثة.. لا أقدر الاعتماد على التطبيق فهو يعتبرنا قد وصلنا.

وقبل أن يتم شهاب كلمته سمع صرخة لين عالية من وراء أحد الحوائط فاتجه إليه في فزع وهو يتلمسه..

وكان فزعه هذا مختلطًا بشيء من اللهفة والحنين والفرح والدمع بطريقة لم يفهمها الكوري أبدًا.. فلين لم تصرخ صرخة عادية.. بل إنها في اللحظة التي سمعت فيها صوت التطبيق وشعرت بارتجاج السوار في يدها.. صرخت باسم شهاب..

كان الشيء الذي هز قلب شهاب إلى أقصاه أن لين فاقدة للقدرة على الكلام منذ أكثر من سنة.. وهي الآن نطقت..

حتى الشيطان الذي بجوارها فتح عينه من الدهشة..

وأصبح شهاب كالمجنون.. لا يدري ما يصنع.. كان يبحث عن شيء يدق به هذا الحائط.. والكوري يفكر معه.. وفجأة قال الكوري بلهجة مليئة بالأمل..

- شهاب.. المشاعل..

نظر له شهاب في تساؤل واستعجال.. ولم يرد الكوري بل خرج من الغرفة راكضًا كالمجنون وهو يقول:

- انتظرني هنا..

كان الكوري يذكر عندما احترق البهو بالأسفل.. فوسط كل الفزع الذي كان فيه.. لاحظ أن النار تمسك حتى في الأرض والجدران بطريقة غير طبيعية.. وكانت نارًا حقيقية ليست وهمًا.. ويفترض

أن أرضية القصر رخامية وجدرانه حجرية وهذه ليست مواد تمسك فيها النار أصلاً.. لكن النار أمسكت فيها كلها بنفس السرعة والشدة..

واسترسلت أفكاره وهو يركض باتجاه البهو..

ربما هذه الجدران والأبواب كلها مصنوعة من مادة جنية واحدة لها القدرة على اتخاذ أي درجة من الصلابة تريد..

وصل الكوري إلى البهو وانحنى إلى الأرض يأخذ أحد تلك المشاعل الساقطة ثم وضع فوقه ذلك القماش الأسود من الستارة التي صنع به القناع..

كانت لدى الكوري فكرة واحدة..

هذه المادة الجنية أيًا كان الشكل الذي ستتخذه في النهاية.. سواء كانت مشعلاً أو ستارة أو حتى جدارًا..

فهي غالبًا مادة قابلة للاشتعال في ذاتها..

وأخرج الكوري ولاعته ووضعها تحت القماش الأسود الموضوع على المشعل.. وفور أن شم القماش النار اشتعلت فورًا بشعلة كبيرة لا تتناسب مع قماش عادي.

وهرع الكوري بشعلة النار صاعدًا للدور الثاني وانطلق إلى تلك الغرفة التي فيها شهاب ووضع المشعل أسفل الحائط الحجري وسحب شهاب ليبتعدا عن الحائط في بطء..

مرت بضع دقائق ثقيلة حتى انتقلت النار من المشعل إلى الجدار.. ثم اندلعت فيه النار كأنه جدار من الوقود.. حتى إن حرارته جعلتهما يتراجعان..

نظر شهاب بدهشة للجدار وهو يقول:

- أي شيء شيطاني هذا..

ثم استدرك قائلاً:

- لكن حتى لو أحرقنا الجدار.. فالجن الذين يحتجزون لين سيعيدون تشكيله تارة أخرى.

قال له الكوري:

- هل نسيت.. نحن معنا الملائكة.

ووراء الجدار كان ذلك الشيطان قد بدأ يتوتر في اللحظة التي اندلعت فيها النار بالجدار.. ليس من النار نفسها بل لأنهما لم يكونا وحدهما هناك.. بل كان معهما ملك من الله حارس.. شعر الجن بوجوده قبل حتى أن يراه.. فهناك طاقة روحية شديدة القوة في المكان.. ولم ينتظر الشيطان لحظة زائدة.. بل اختفى من المكان كله..

صرخ شهاب من وراء الجدار المشتعل:

- لين ابتعدي عن الحائط.. هل تسمعينني يا لين؟

وجدت لين نفسها قد تحررت من قيود الشيطان وانفكت أطرافها فقامت من تلك الدكة والتصقت بالجدار الذي وراءها في رعب وهي ترى النار تأكل الجدار الذي أمامها.

واستبشر وجهها وهي ترى شهاب يظهر من وراء الجدار.. ومعه صديق له يبدو كوري الملامح..

· · — · ✱ · — · ·

حرك المهندس حازم السيارة وهو يمسك جواله ويتصل بمريم فلم ترد.. فأرسل لها رسالة سريعة يقول.. «مريم لقد تحركت الهامر أين أنت».. كان قلبه قلقًا جدًا عليها رغم كل ما هم فيه.. لكن ما باليد حيلة.

مشى حازم بالسيارة ناحية النقطة الحمراء التي توضح موقع شهاب.. وضغط زر الاتصال بشهاب على شاشة السيارة التي كانت متصلة بجوال ناصر..

وفجأة رد شهاب على جواله..

قال شهاب بلهفة:

- أبي.. هل هو أنت..

قال له ناصر وجميع ملامحه تتحرك قلقًا:

- شهاب يا ولدي.. هل أنت بخير يا ولدي؟

قال شهاب:

- أبي أنا بخير.. وهذه لين بجواري أمسك بها في يدي.

قال له ناصر:

- أين أمك يا شهاب..

وسكت شهاب ولم يرد..

قال له ناصر وعينه بدأ يتحرك فيها الدمع:

- شهاب.. هل تسمع..

كان يعرف أنه يسمعه لأن صوت أنفاسه واضحة في المكالمة.. ثم رد شهاب قائلاً:

- البقاء لله يا أبي..

وللحظة ثقيلة توقف الزمن في قلب ناصر وعقله وعجز عن الكلام.. وتجمدت أسارير وجهه وشعر قلبه بوحشة باردة اجتاحت كيانه كأنما كان لم يكن يحتمل الحياة إلا برفيقة عمره.. ولم يطب له شيء في الأرض إلا معها.. وامتلأت مقلتاه بالدمع..

وضع حازم يده على كتف ناصر يربت عليه وأخذ دفة الكلام وقال:

- شهاب.. شهاب أنا حازم.. والدك هنا بجواري سنأتي لنأخذك بسيارة هامر.. لقد حددت موقعك أين أنت بالضبط في أي مبنى.

قال شهاب:

- ستجد قصرًا هو آخر شيء في هذه القرية تقريبًا.. مكتوب عليه قصر القصور.. نحن هناك..

وأغلق حازم المكالمة..

بدأ ناصر ينتحب.. لم يعد قادرًا على التحمل.. لقد فقد عزيزين في بضع سنوات.. أعز عزيزين.. وحازم بجواره يهدئه ويقول له إنا لله وإنا إليه راجعون.. يا ناصر أنت مؤمن..

ودخلت السيارة القرية.. وفور أن دخلت ومشت في أول شارع..

حدث شيء أوقف جميع الخطط دفعة واحدة..

اصطدمت السيارة صدمة بالغة القوة لدرجة أن الوسائد الهوائية كلها انطلقت في عنف..

ونظر حازم أمامه بفزع..

فقد وجد أن السيارة اصطدمت بجبل عملاق.. بينما كان الطريق ظاهرًا أمام عينه كشارع عادي..

· · — ·✶· — · ·

ثوانٍ من الصدمة ظهرت على وجهي حازم وناصر بعد الحادث..

قطعها حازم بأن ضغط زرًّا في السيارة لتنسحب الوسادات الهوائية وهو ينظر إلى الجبل العملاق الذي أمامه بفجع وقال:

- ألست كنت ترى طريقًا ساريًا ومساكن البلدة على الأبواب بأنوارها؟

قال ناصر وهو يمسك موضع أحد جراحه في ألم:

- بلى.. إنهم يخدعون البصر.. يصورون للعين صورة.. والحقيقة شيء آخر تمامًا.. دعنا نخرج من هنا ونمشي على الأقدام.

قال حازم:

- كيف يخدعوننا نحن الاثنين في نفس الوقت.. الوهم يراه شخص واحد فقط.. لكن إذا رآه شخصان فأكثر فهو..

فجأة توسعت حدقات حازم من الفهم وهو يقول:

- مهلًا.. الوهم يمكن أن يراه شخصان.. أو حتى مئة شخص بينما هو مجرد وهم متشكل في الهواء .. مثل الهولوجرام الذي يصنعه البشر .. صورة وهمية متجسدة تراها كل العيون عندما ينكسر الضوء عليها.. هل أوهام السافلين تحمل نفس الفكرة..

قاطعه ناصر وهو يحاول فتح باب السيارة فوجده مغلقًا:

- فليكن أي لعنة في الأرض.. أخرجني من هنا.

رجع حازم بالسيارة إلى الوراء وظهر على وجهه كثير من العزم وهو يشغل التصوير المزود بالكاميرا الحرارية والأشعة تحت الحمراء

ثم قال:

- بل سنذهب.. وبالسيارة.

وانطلق بالهامر بسرعة ولم يعد ينظر في الزجاج أمامه بل في الشاشة التي تظهر صورة الطريق بزاوية واسعة بطريقة الكاميرا الحرارية التي تكشف جميع الجبال الصلبة.. وشغل الأشعة تحت الحمراء التي تخفي الهولوجرام أو أي وهم متشكل تمامًا من التصوير حتى لو كان ظاهرًا أمام عينك..

تأكد حازم من حدسه عندما أظهرت له الشاشة وجود هضبة كبيرة أمام السيارة بينما عينه الحقيقية ترى بيوتًا وعواميد.. فانحرف بالسيارة عن تلك الهضبة وأكمل طريقه وأسرع بالسيارة.

نظر ناصر إلى الشاشة ورأى كل الصخور والجبال التي ينحرف عنها حازم بمهارة.. فقال:

- ما شاء الله عليك يا ولدي.. علم الإنسان ما لم يعلم..

قال له حازم وهو ينظر للشاشة بتركيز:

- معذرة عزيزي ناصر.. سأعطلك بضع دقائق.

بدأت السيارة تسرع فجأة بشكل كبير وتتجه في الكاميرا إلى مبنى واضح تمام الوضوح.. لكن حازم كان يتجه له بسرعة.. وقبل أن يفتح ناصر فمه ليحذره.. كانت السيارة قد دخلت في المبنى وكسرت بوابته الزجاجية العريضة.

كان ذلك المبنى هو المستشفى..

كانت مريم هناك تنظر إلى الأصلع الذي أمسك به ياسين ومزق رأسه تمامًا.. ثم تركه في فزع وابتعد عنه بخوف شديد..

انكمشت مريم على نفسها من صوت دخول واجهة الهامر إلى باب المستشفى وحازم ينادي باسمها بصوت عال.. توردت جميع منابت وجهها بالأمل وهرعت إلى حازم الذي خرج من السيارة وأمسك بيدها في لهفة وهو ينظر بقلق إلى شخص يضع قناعًا ويأتي إليهم في فزع..

فأراد أن يقف في وجهه لولا أن رأى الفتى يخلع القناع ويظهر تحته وجه ياسين الوسيم المنهك وهو يقول لمريم بإعياء:

- هل هذا.. هو حازم؟

نظر له حازم باستغراب فقال له ياسين:

- يبدو أنك عزيز عند هذه البنت يا حازم.. المجنونة كانت تنادي باسمك بصوت عال في وسط الجن كأنك تعويذة.

احمرت وجنتا مريم بينما ابتسم حازم من الدعابة ونظر إلى المكان الذي تعمه الفوضى ثم قال:

- لنذهب من هنا.. لدينا ناجون آخرون.

استبشر ياسين وهو يدخل إلى السيارة وتمنى أن يجد فيها صاحبيه.. وفزعت عينه حينما رأى حالة ناصر الذي لا يوجد مكان فيه إلا وبه ضماد.. وانطلقت السيارة إلى آخر نقطة في القرية.. قصر القصور..

· · — · ✱ · — · ·

نزل الكوري حاملًا المشعل على سلالم قصر القصور وشهاب ولين وراءه..

كانوا ينظرون حولهم إلى هذا الفراغ التام.. لم يعد هناك جني واحد في المكان كله..

مشى الكوري إلى ذلك الباب الحديدي ودس المشعل في أسفله حتى اشتعلت فيه نار صفراء محرقة أكلت أجزاءه سريعًا..

وتحرك الأمل في نفس الجميع عندما سمعوا صوت سيارة تقف في الخارج وصوت أبوابها تفتح..

كان ناصر قد خرج من الهامر بلهفة ورأى النار تأكل باب القصر حتى أصبح رمادًا تذروه الرياح.. وظهر خلف الباب أحب وجه في الدنيا إلى قلبه.. لين..

لين التي عندما رأت أباها بعد كل هذا ركضت إليه وهي تنادي باسمه في لهفة..

وكان هو واقف ينظر إليها وعينه مشلولة حتى عن الدمع..

لقد سمع ابنته.. تنطق..

اندفعت الدموع في وجهه وتحركت قدماه إلى لين التي قفزت إلى حضنه وهي تبكي من الفرح وتقول:

- أبي هل أنت بخير.. أوحشتني..

ولولا بقية من التماسك في نفس ناصر لانهار على الأرض دامعًا.. لكنه أمسك بلين ورفعها ينظر إلى وجهها ورقبتها ويقول:

- حبيبتي هل آذوك.

سكتت ولم ترد.. فاحتضنها طويلًا.. كان مشفقًا عليها أيما إشفاق عندما تعرف خبر أمها.. لكنه أجل التفكير في هذا الأمر وهو يحتضن شهاب..

في تلك اللحظة كان ياسين قد رأى صاحبه الكوري فهرع إليه واحتضنه.. وكلاهما سأل الآخر عن مفلح.. بلا أي إجابة..

ودخل الجميع في السيارة الهامر..

وانطلقت بسرعة مبتعدة عن جحيم برهوت..

وبعد دقائق فقط من السير ظهر إشعار صوتي على شاشة السيارة فقال حازم مستبشرًا:

- إشارة الجي بي إس عادت.. لقد خرجنا من اللعنة.. نحن في..

وقبل أن يتم جملته نظر الجميع إلى المكان الذي دخلت إليه السيارة.. وانقبضت قلوبهم جميعًا في وقت واحد..

فقد كانت السيارة أمام البئر..

بئر برهوت..

أو كما هو اسمه الحقيقي..

خسف فوجيت..

كان هناك شخص ما جالسًا عند البئر..

يحمل في يده شيئًا..

كان متكئًا على سور البئر وطريقة جلوسه تنطق بالسخرية..

أوقف حازم السيارة واستعد ليرجع بها بسرعة..

صرخت لين وهي تنظر إلى الرجل وتقول:

- أبي إنه الرجل الذي اختطفني.

صعد الدم في وجه ناصر وهو ينظر إلى الرجل الذي كان مبتسمًا تلك الابتسامة الواسعة من الخد إلى الخد..

لكنها كانت ابتسامة وحشية هذه المرة..

فجأة اختفى الرجل تمامًا من على سور البئر..

وفي الثانية التالية ظهر واقفًا أمام السيارة مباشرة وهو يقول:

- الجميلة التي في الأمام.. هل نسيت عندنا شيئًا ما كان يجب أن تنسيه؟

في هذه اللحظة رأى الجميع هوية الشيء الذي يحمله.. كان مسدس مريم..

وقبل أن يفعل الرجل أي شيء أطلق ناصر مسدسه من الزجاج الأمامي المكسور للهامر.. لكن الرجل لم يعد هناك..

ظهر الرجل في موضع آخر وأطلق طلقتين من مسدس مريم..

كل طلقة منهما إلى عجلة من عجلات الهامر الأمامية..

وانفجرت الإطارات الأمامية.. ولم يكتفِ بهذا بل اختفى من مكانه وظهر خلف السيارة وأطلق طلقتين أخريين.. فانفجرت الإطارات الخلفية.. كل هذا في أربع ثوانٍ لم يكملوا حتى خمسًا..

ونزلت جميع عجلات الهامر على الأرض.

اتسعت ابتسامة الرجل الوحشية خلف السيارة وهو يستدير مبتعدًا عنها ويرمي المسدس بعيدًا..

وسمع الجميع في تلك اللحظة صوتًا بغيضًا ما كان يجب أن يسمعوه في هذه اللحظة بالذات.. بل أصوات..

مئات الأصوات..

وظهرت في الأفق عشرات الصفوف المتتابعة من القردة الوحشية أحاطت بالسيارة المشلولة من كل ناحية..

· · — · ✶ · — · ·

كانت القرود واقفة في صفوف لا تكاد تنتهي مد البصر.. تنتظر إشارة قائدهم..

وقبل أن يفكروا أي تفكير وجد قائدهم طلقة تصيبه في رأسه من على بعد فسقط على الفور..

وحدث شيء من التخلخل في صفوف القرود..

قال ناصر بعد أن أطلق الطلقة:

- أين أوعية البنزين الكثيرة التي قلت عنها..

خرج حازم ومريم من السيارة وهرعا إلى موضع أوعية البنزين الموضوعة في الصندوق وكانوا أكثر من عشرين وعاءً كبيرًا.. صرخ ناصر:

- اسكبوا البنزين.. اصنعوا دائرة واسعة.. وليخرج لي أحدكم ولاعة.

تحرك الشباب يسكبون البنزين وقد فهموا ما يريد أن يصنعه ناصر.. ومرت دقيقة أو أكثر حتى بدأت القرود تعيد تنظيم صفوفها بعد موت القائد.. ثم انطلقوا في وقت واحد..

قال الكوري:

- لدي ما هو أفضل من الولاعة يا عم.

وقطع جزءًا من القماش الذي صنع به القناع وأشعل فيه النار بولاعته فصعد منه لسان طويل من نار ألقاه الكوري بكل قوته ناحية دائرة

البنزين التي صنعوها فاشتعلت النار في دائرة كاملة واسعة حول السيارة.

وتوقفت صفوف القرود جميعها فجأة عن الهجوم.. وابتعدوا عن لهيب النار.. وقال ناصر:

- هذه النار لن تشتعل لأكثر من دقائق بعدها سيظلون طويلا خائفين من المرور من فوق الأرض الساخنة.. لكننا لا ندري ماذا سيوعز إليهم الشيطان.. لم يعد أمامنا سوى مكان واحد نلجأ إليه.

وأشار إلى مكان لم يتوقعه أحد..

بئر برهوت..

قال شهاب:

- أبي أتريدنا أن ننزل في البئر؟ هذا أسوأ من الأرض التي كنا فيها.

هرع حازم لإخراج الحبال المخصوصة لنزول البئر والتي جهزوا هذه البعثة كلها من أجلها وقال:

- بالعكس.. البئر جنة خضراء من جنات الله في الأرض.. ولو أننا نزلنا فيه سنكون بأمان تام.. وإياكم أن يخاف أحدكم.. فهذا اسمه بئر فوجيت.. ليس هو بئر برهوت المشؤوم الذي تأوي إليه أرواح الكفار والذي ماؤه شر ماء على الأرض.. فذاك في حضرموت.

كان حازم ومريم يعلمان تمام العلم كيف هو بئر فوجيت وتفاصيله من الداخل فلقد جاءا هنا في الأصل ليستكملا عمل البعثة العمانية التي جاءت قبلهما وصورت البئر صورًا وفيديوهات باهرة ما زالت تخلب الألباب.

قال ناصر:

- شهاب.. ابق في السيارة مع لين واحمها بروحك.. وافعل المستحيل لتتصل بالمساعدة.. نحن نعتمد عليك.

أسرع مريم وحازم ينصبان الحبال فوق البئر والشباب يعاونوهما في شدها وربطها..

كانت عبارة عن حبل أفقي يمدونه من جانب البئر إلى جانبه الآخر يتدلى منه حبل طويل إلى أسفل البر.. في طرفه وسادة للجلوس وسوستة تعمل إلكترونيًا للنزول السريع إلى أسفل.

كان ناصر يصوب مسدسه بتركيز إلى دائرة النار منتظرًا أن تنطفئ لينظر ماذا ستفعل القرود.. وبينما هو يصوب المسدس كان يجهز دائرة بنزين أخرى داخل الدائرة الأولى حتى إذا اضطر يشعلها هي أيضًا.

وبالفعل انطفأت النار.. وكانت القرود في هرج ومرج يدورون ويهربون ويعود بعضهم بوحشية ثم إذا وصلوا إلى خط النار يرجعون هاربين مرة أخرى.. كان هذا هو بالضبط التأثير الذي يريده ناصر.. ولقد نجح إلى أقصى حد.

قبضت يد ناصر على الولاعة والمسدس.. غالبًا ستوعز لهم الشياطين ليهجموا مجددًا رغم خوفهم الفطري.. لكن هل سيستجيبون؟

كان أول شخص نزل بالحبل هو ياسين الذي حمل لين ونزل بها في مرة واحدة.. ولم يكن الشخص يحتاج إلى أكثر من دقيقتين لينزل بالحبل السريع إلى أسفل البئر.. فذلك اللبناني كان قد مول هذه البعثة بشيك مفتوح واشترى أفضل المعدات للحفر واستكشاف البئر.

نزل الجميع واحدًا واحدًا وناصر ما زال يصوب مسدسه وينظر إلى صفوف القردة في توتر حتى لم يبق إلا هو وحازم.. فناداه حازم أن ينزل هو أولا.. لأنه يعرف كيف ينزل وحده دون مساعدة..

ألقى ناصر نظرة أخيرة إلى القرود ثم ركض ناحية البئر.. ونزل بالحبل.. ثم نزل وراءه حازم، وهبط الجميع في بئر برهوت..

· · — · ✶ · — · ·

كانت رقاب الجميع كلها تتجه إلى الأعلى وعيونهم تطالع المنظر الذي خلب لب جميع القلوب صغيرها وكبيرها.. فجوة في جوف الأرض تبدو مثل جنة خضراء باهرة مخفية عن العيون.. تبدأ بملاحظتها أثناء نزولك عندما تسمع صوت الشلالات الكبيرة قبل حتى أن تمس قدماك أرض

البئر.. كان بالأسفل نهر صافٍ وأربعة شلالات رائعة الجمال وخضرة منثورة وصخور متشكلة بأشكال تبهر النظر.. وضوء الفجر الخافت قد خرج فوق كل هذا يتجلى على السماء العالية فبدد منها كل ظلمة. دقائق مع السكينة نزلت على أرواح الجميع بعد كل هذا العذاب الذي رآه كل واحد منهم.. وجلس ناصر على صخرة عند النهر وأسند ظهره إليها وقال:

- شهاب هل اتصلت بالنجدة؟

قال شهاب وهو يعدل نظارته:

- نعم اتصلت بالإسعاف اليمني وأخبرتهم بما حدث بالتفصيل.. وجدت الواتس أب يعمل فأرسلت لهم موقعنا وأرسلوا لي موقعهم بطريقة اللايف لوكيشن.. إنهم في الطريق بالفعل وتبقى لهم نصف ساعة فقط.. وسيتصل الآن بنا الطبيب اتصال فيديو من رقم وزارة الصحة الرسمي على واتساب ليخبرنا بما يجب عمله

مع المصابين حتى تصل لنا الإسعاف.. هذه خدمة جديدة في اليمن.

نظروا إليه جميعًا وأنظارهم تزداد ارتياحًا مع كل جملة يقولها.. ولم تمضِ ثوانٍ حتى جاءه اتصال فيديو واتساب بالفعل.. وفتح شهاب الفيديو فظهر فيه طبيب يمني شاب سألهم عن المصابين باهتمام فقال له شهاب إن الأب مصاب بشكل بالغ في كل مكان من جسمه فطلب الطبيب رؤيته بالكاميرا.. ولما رآه ارتفع حاجبا الطبيب في دهشة وهو يقول له:

- سيدي هل فقدت الكثير من الدم؟

نظر له ناصر قليلاً ثم قال:

- لا عليك يا دكتور.. لقد فقدت ما هو أغلى على أي حال.. عليكم أن تأتوا بفرقة عسكرية مسلحة فالمكان مترو س حتى آخره بالقردة الوحشية .. إيا كم أن تأتوا بسيارة إسعاف وحدها وإلا ستنضمون إلينا هنا.

قال الطبيب:

- لا عليك لقد أخبرنا ولدك بكل شيء.. هناك فرقة من الشرطة وقوات الطوارئ في الطريق إليكم مع الإسعاف.. قل لي من وضع لك هذه الضمادات.

دخل حازم في المكالمة وقال:

- أنا يا دكتور.. لقد حاولت تغطية جميع الجراح.. لكن مررنا بظروف سيئة.. فتداعت معظم الضمادات.

قال الطبيب:

- حاول استخدام الضمادات القديمة أو أي شيء في الملابس مثلاً للربط والضغط على الجراح الخطرة.. يجب أن توقف النزيف.. ولا تشد الرباط إلى أقصاه حتى لا تمنع الدورة الدموية.. لقد عرفت أن هناك عضات قرود.. لذلك أحضرنا في الإسعاف حقنة خاصة ضد العدوى..

كان حازم يستمع إلى الطبيب ويبدأ في التنفيذ على الفور وقد أعجبته هذه الخدمة وتساءل في نفسه لماذا لم تكن تنفذ من قبل أصلاً.. وأفلتت منه نظرة إلى مريم كما هي عادته.. فوجدها هذه المرة تنظر إليه بينما تتحدث مع الشباب في جانب من البئر.. ابتسمت له ابتسامة جميلة ثم عادت تكمل حديثها معهم.

كان الكوري يقول:

- جيد أن شهاب وصل للإسعاف.. لقد أرسلت لطلب النجدة كثيرًا عن طريق البرنامج الأسود الذي حدثتكم عنه.. وكثير من الشباب استجابوا في التعليقات وقالوا إنهم في الطريق بالفعل.. لكن لم يأتِ إلينا أحد.

قال له ياسين:

- غالبًا هؤلاء الشباب الذين كتبوا أنهم في الطريق بعضهم جاؤوا بالفعل ووقعوا في فخ القرية وهي تقتل فيهم الآن.. لا بد أن نكتب تجربتنا كاملة في البرنامج حتى لا يقترب من المكان أحد.. وإلا ستكون ضحاياه لا نهائية.

قال الكوري:

- هل لاحظ أحدكم أن الواتساب في القرية كان متعطلاً وتاريخ الجوال يشير إلى قبل ثلاثة أيام؟

قال له ياسين:

- لاحظت هذا.. بل إنني اتصلت بأمي وأنا بالداخل.. كانت تتحدث عن أشياء قديمة كأنها تكلمني من زمن سابق.. منذ ثلاثة أيام بالفعل..

وقبل أن يسمع ياسين تعليقهم أخرج جواله واتصل بأمه فردت عليه وهي تقول:

- عزيزي ياسين كيف حالك.. وكيف حال اليمن وعمان؟

قال لها ياسين وقد استبشر بصوتها:

- أنا بخير حقًا ولله الحمد.. أمي أريد أن أسألك.. هل اتصلت بي قبل سبع ساعات تقريبًا واشتكيت لي من درجات أخي؟

سكتت أمه قليلاً ثم قالت:

- ما بك يا عزيزي أنا لم أكلمك اليوم ولا حتى أمس.. نحن مشغولون.. أخوالك عندنا.. لما اتصلت عليك واشتكيت لك من أخيك كنت أنت عندنا هنا.. ما بالك.. هل أنت بخير يا ولدي..

تجمدت أنظار الجميع وهو ينهي المكالمة.. وقال الكوري بشرود:

- إذا كان الزمن في القرية قبل ثلاثة أيام.. فالمساعدة التي طلبتها وأنا في القرية يوم الجمعة.. رآها العالم الحقيقي قبل ثلاثة أيام يعني يوم الثلاثاء.. فأتى الشباب يوم الثلاثاء الماضي ولم يجدوا أحدًا.. أو جاؤوا فقتلهم الجن.

قالت مريم برعب:

- وهؤلاء الذين جاؤوا يوم الثلاثاء الماضي لو أنهم طلبوا مساعدة ستأتيهم يوم السبت الذي قبله.. وهكذا.. تستمر القرية في جذب ضحاياها إلى الأبد كأنها بؤرة للموت.

قال ياسين:

- مستحيل.. لو كان كذلك كنا سنجد ضحايا في القرية وسيارات إسعاف كثيرة ملقاة هنا وهناك.

قال الكوري:

- يبدو أنهم يطهرون المكان ويحرقون الجثث بعد كل مجموعة من الضحايا.. حتى تعود القرية لاستقبال ضحايا جدد.

كان حازم قد انتهى من تضميد ناصر وتوجه إليهم ليقف بجوار مريم وسمع آخر جزء من المحادثة ثم قال:

- لقد أخبرني ناصر أن رمال القرية كلها عظام مسحوقة.. ولو صحت نظرية الزمن المختلف فهذه العظام المسحوقة لم تكن من الخسف فقط.. بل هي أيضًا بسبب العدد اللانهائي من ضحايا القرية.

قال الكوري:

- هل تعني أننا كنا نسير على مسحوق عظام ضحايا القرية طوال الوقت ونظنها رمالاً عادية؟

قال ياسين:

- لو كان ما تقولون صحيحًا لكان هذا المكان موبوءًا مليئًا بالأساطير ولا يقترب منه أحد.

قال له حازم:

- هذا المكان به أساطير حتى الثمالة.. فتلك التي كنا فيها ليست أي أرض.. تلك أرض برهوت..

ولم يكد يتم جملته حتى سمع الجميع صوتًا بغيضًا من الأعلى فرفعوا رؤوسهم جميعًا في فزع..

وبلغت القلوب الحناجر..

فهناك.. من فوهة البئر.. كان هناك عشرات.. بل مئات القرود يقفزون في جنون..

من الفوهة.. إلى داخل البئر..

مئات القردة الوحشية انهالت فجأة من السماء..

صرخات حادة انبعثت من حلوقهم الحيوانية بينما يهبطون إلى الأرض..

ولم يكن يهبط قرد واحد منهم على أرض البئر.. إلا اندقت عنقه ومات..

فعمق هذا البئر كان كبيرًا جدًا يتجاوز المئة متر.. وهذا يشبه طول عمارة تبلغ أكثر من ثلاثين طابقًا..

وأي مخلوق يسقط من هذا الارتفاع يموت على الفور..

والبئر ضيق من الأعلى ويتسع شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى أقصى اتساع له في الأسفل مما يجعل من المستحيل التعلق بجدرانه خاصة أن صخوره زلقة جدًا..

ابتعد الجميع في الأسفل عن منتصف البئر والتصقوا بالجدران وهم ينظرون إلى المنظر المؤلم حتى إن ناصر اضطر أن يضع يده على عيني لين ويأخذها في حضنه..

قال حازم وهو ينظر إلى هذا الجنون:

- هؤلاء الجن دفعوا القرود حتى تخالف فطرتها وتنتحر وتموت.

قال الكوري: لم يريدوا أن يخسروا اللعبة حتى آخر رمق،

قال ناصر بعد أن انتهى مما يقول من الذكر:

إنهم أحبن من أن ينزلوا إلى هنا بسبب الملائكة التي تحرسنا بالذكر.. فأرسلوا هذه الحيوانات أصحاب العقل البهيمي..

ثم التفت ناصر إلى شهاب وقال:

- شهاب كم بقي على هؤلاء ليصلوا إلى هنا؟

نظر شهاب في جواله ثم قال:

- ربع ساعة فقط يا أبي،

جلس ناصر مسندًا ظهره على حائط البئر العملاق وضم لين إلى صدره وهو يربت عليها.. وجلس شهاب بجوارهما يسند رأسه على كتف أبيه.. وبقوا على هذا الحال بضع دقائق حتى قالت لين:

- أنا غاضبة من شهاب يا أبي.. لأنه سمح لهم أن يميتوا أمي.

نظر لها ناصر برجفة ملأت كيانه.. كيف عرفت البنت.. لقد كان طوال الوقت يغالب خواطره ولا يدري كيف يخبرها بموت أمها حتى لا يحدث لها كما حدث في موت أخيها يحيى.. لكن يبدو أن الأهوال جعلتها أكثر قوة..

فقال لها شهاب:

- من أين عرفت أن أمنا ماتت؟

قالت لين:

- أخبرتني دميتي التي حبستها في الدولاب.. لما نزلتم جميعًا من الغرفة.. حدثتني الدمية من داخل الدولاب.. قالت لي إن أمك ماتت.. لم تعد لك أم.

ضمها ناصر بقوة إلى حضنه ودمعه ينزل على خده بلا توقف وقال:

- لقد فقدناها كلنا يا حبيبتي.. لا بد أن نخرج أمك من أرض الشر هذه ونغسلها ونكفنها وندفنها في مقابر المسلمين من عائلتنا.. هذا أول شيء نعمله لهذه المرأة التي حفظتنا حتى آخر رمق من حياتها.

نزلت دموعهم الساخنة على وجوههم وهم في حضن ناصر.. ثم قال

شهاب وهو شارد:

- لقد كنت أظن أن الجن لا يمكنه أن يقتل يا أبي.. كيف قتلوا أمي؟

قال له ناصر:

- يا ولدي الجن لا يقدر في حالته الجنية أن يفعل شيئًا إلا الوسوسة.. لكنه إذا تمثل في بشر سيقدر أن يسرق أو يقتل.. لكنهم عادة لا يفعلون هذا.. فهم لن يستفيدوا شيئًا إذا قتلوا الإنس بأنفسهم.. بل مهمتهم أن يدفعوا الناس ليقتلوا بعضهم البعض.. فهؤلاء يا شهاب لا يتقربون لسيدهم إبليس بقتل البشر.. بل يتقربون له بإغواء البشر.

قال شهاب:

- ولماذا قتلوا أمي إن كانوا لا يتقربون له بقتل البشر؟

تنهد ناصر وقال:

- لأنه ليس كل الجن على عقيدة واحدة.. لا بد أن يشذ أفراد عن كل عقيدة.. مثل أي عقيدة في الدنيا.. هل كل الجن في الأرض يؤمنون بعقيدة إبليس ويتقربون إليه بإغواء البشر؟ بالطبع لا.. كما أنه ليس كل البشر قتلة متسلسلين.. ويبدو أن العشيرة الجنية التي تسكن هذه القرية شذوا عن السائد وأصبحوا جماعة من القتلة..

يقتلون لمجرد اللهو.

قال شهاب:

- هل هم عشيرة؟

قال له ناصر:

- الطريقة التي يعملون بها تدل أنهم عشيرة سفاكة شديدة التنظيم

يسكنون تلك الأرض..

ثم سكت وقال:

- عشيرة برهوت..

. . _ . ✶ . _ . .

(تم بحمد الله وتوفيقه)

. . _ . ✶ . _ . .

إهداء
الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
الفصل الأخير